

مجلد الأخبار

الجامعة للدراسات الإسلامية الأظهرية عليهم السلام

تأليف

العلماء العلامة العلامة العلامة العلامة

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

طبعة منقحة ومزودة بتعليق

العلامة الشيخ علي التبرازي الشاهرودي قدس سره

المجلد الثالث

٦٠٥

منشورات

مؤسسة الأعلی للمطبوعات

بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجامعة للدراسات الإسلامية والأطباء والباحثين

مَجْلَدُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِدُرَرِ أَخْبَارِ الْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

تَأَلَّفَ

الْعَالِمُ بِعِلْمَةِ الْحُجَّةِ فَزَّادَةُ الْمَوْلَى
الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الْمَجْلِسِ قِيسِي

تَحْقِيقٌ وَتَصْحِيحٌ

لَجَنَةِ مُعَلِّمِي وَالمُحَقِّقِينَ الْأَخْصَاصِيِّينَ

طَبْعَةٌ مُنْقَحَةٌ وَمُزْدَنَةٌ بِقَالِيَةٍ

الْعِلْمِيَّةُ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْإِسْمَاعِيلِيِّ الشَّاهِرُودِيِّ قِيسِي

الجزء الخامس

منشورات

مؤسسة الأعلی للطبوعات

بيروت - لبنان

ص ١٢٠ : ١١٢٠

الطبعة الأولى
جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناسشر
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail: alaalami@yahoo.com

<http://www.alaalami.com>

مؤسسة الألهامى للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب ستر زعرور

هاتف: ٠١ / ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١ / ٤٥٠٤٢٧

صندوق بريد: ٧١٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبواب العدل

١ - باب نفي الظلم والجور عنه تعالى، وإبطال الجبر والتفويض

واثبات الأمر بين الأمرين، وإثبات الاختيار والاستطاعة

الآيات: آل عمران (٣): ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١٨٢).
النساء (٤): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) «وقال»: ﴿وَلَا يَظْلِمُونَ قِتِيلًا﴾ (٤٩) «وقال»: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ (٧٩) «وقال»: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (١٤٧).

الأنعام (٦): ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (١٣١) ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٢).

الأعراف (٧): ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٧) ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (٢٨).

الأنفال (٨): ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٥١).

التوبة (٩): ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٧٠).

يونس (١٠): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٤) «وقال تعالى»: ﴿قُلْ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨).

النحل (١٦): ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢٢) ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ (٢٣).

الحج (٢٢): ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١٠).

المؤمنون (٢٣): ﴿وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٦٢).

النور (٢٤): ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ (١١).

سبا (٣٤): ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٥).

فاطر (٣٥): ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (١٨).

ص «٣٨»: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ «٢٨».

الزمر «٣٩»: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ «٧».

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ «٣١» «وقال تعالى»: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ «٤٠» «وقال تعالى»: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ «١٧».

[فصلت] «٤١»: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ «٤٦».

الزخرف «٤٣»: ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ «٧٦».

ق: ﴿لَا تَحْنَسُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ﴾ «٧٨» مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّْ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾.

الطور «٥٢»: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «١٦» «وقال تعالى»: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «١٩» «وقال سبحانه»: ﴿كُلْ أَمْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ «٢١».

النجم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ﴾ «٢١» «إلى قوله تعالى»: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾ «٣٦» «وَابْتَرَاهِمَ الَّذِي وَقَفَ﴾ «٢٧» «أَلَا نَزِدُّ وَزْرًا وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ «٢٨» «وَأَنْ لِّئِنْ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ «٣٩» «وَأَنْ سَعِيَهُمْ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ «٤٠» ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَ. الواقعة «٥٦»: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «٢٤».

تفسير: المبالغة في قوله تعالى: ﴿يُظَلَّلُونَ﴾ إما غير مقصودة، أو هي لكثرة العبيد أو لبيان أن ما ينسبون إليه تعالى من جبرهم على المعاصي وتعذيبهم عليها غاية الظلم، أو لبيان أنه لو اتصف تعالى به لكان صفة كمال فيجب كماله فيه؛ والفتيل: الخيط الذي في شق النواة؛ وفي تفسير علي بن إبراهيم: هي القشرة التي على النواة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَدْعُ مَثْقَلَةً إِلَىٰ جَمِلَهَا﴾ أي إن تدع نفس أثقلتها الأوزار لحمل بعض أوزارها لم تجب لحمل شيء منه ولو كان المدعو ذا قرابتها.

١- لي: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن صباح بن عبد الحميد، وهشام وحفص وغير واحد قالوا: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «إنا لا نقول جبراً ولا تفويضاً»^(١).

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٣٠ مجلس ٤٧ ح ٨. قال العلامة الفهامة وحيد عصره وفريد دهره العالم بالعلوم القرآنية والمؤيد بالتأييدات الربانية مولانا الأعظم واستاذنا المكرم «الميرزا مهدي الاصفهاني» زاد الله في علو درجاته في كتابه «معارف القرآن» في بيان الحديث المشهور: «لا جبر ولا تفويض» ما محصوله: أن شبهة الجبر والتفويض من الشبهات العضال التي عجز جل أكابر البشر عن حلها بحيث لا يلزم أحد المحذورين: من استغناء المخلوق عن الحق تعالى شأنه واستقلاله في الفاعلية، أو من نسبة =

٢ - يد، ن، لي: السناني، عن الأسدي، عن سهل، عن عبد العظيم الحسني، عن

= الأفعال كلها إلى الحق تعالى فإن الأول شرك والثاني كفر، بل التزموا بأحد المحذورين. وأعظم الحكماء والعرفاء اختاروا صحة نسبة الأفعال كلها إلى الحق المتعال وسمّوه التوحيد الأفعالي. أما صاحب الشريعة المقدسة فقد جاء في حلّها بما يبهّر العقول من تذكره إلى فقر الفاعل في ذاته وأفعاله إلى الحق في عين امتناع نسبة الأفعال إليه سبحانه. وجملة الكلام أنّ البشر من حيث ذاته وقواه لا شبيهة له بذاته بوجه من الوجوه حتّى الشبيهة الماهوية، بل هو حيث الشبيهة والكون بالغير، فحيث ذاته صرف الفقر والعجز والموت والجهل، ولكن الله الذي هو مشيئة الأشياء ومكوّناتها، شئته وكونه وملّكه الحياة والعلم والعقل والقوة والقدرة، في عين كونه تعالى أملك بكلّها حال تمليكها إياها، فلا استقلال له بوجه من الوجوه ولا استغناء له عنه تعالى، فلا تفويض، لا احتياجه في ذاته وقواه في كل الآتات إليه تعالى وإلى حوله وقوته وإطافه وإمداده. وحيث أنّ العبد مالك بالحقيقة لتلك الكمالات والنعومات بتمليكها تعالى، يكون نسبة الأفعال إليه تعالى خلاف مالكية العبد للرأي والاختيار، وحيث إن مالكية الرأي المخصص للطرفين (أي الفعل والترك) عين القدرة على الطرفين، ولا يكون مرجح أحدهما غير الرأي، ولا يتوقف الرأي إلا على القدرة ولا ينشأ ولا يتحقق إلا بها ومنها، فلا جبر، ويمتنع عليه شيء من التوقيفات والخذلانات في تحقق الفعل أو تركه للخلف. بعبارة ثانية من تأمل في القرآن والروايات المتواترة، يرى أنها تذكرة إلى ما هو الظاهر لكل أحد من فقره الذاتي ووجدانه الحياة والعلم والشعور والقوة والرأي مرة وفقدانه أخرى، وإلى تحقق أفعاله المقدورة عن رأيه المخصص لأحد الطرفين بعد فرض المرجحات والمقتضيات لأحد الطرفين، ولظهور ذلك يحكمون بحسن أفعالهم وقبحها واستحقاق الثناء والمدح والعقاب والقدح. مثلاً مدافع البول إذا لم يسلب قدرته، مع أن فيه اقتضاء دفع البول، يكون دفعه أو حبسه عن رأيه فبرأيه ومشيته يدفع أو يمنع، وصدور المقتضى ليس إلا عن رأيه ومشيته، ولا يقع المقتضى عن المقتضى قهراً وجبراً، كما هو واضح. وبعبارة ثالثة التصريح بالاستطاعة في الآيات والروايات، عين التذكر بالقدرة الظاهرة لكل أحد، والتصريح بأنها ملك الله تعالى يملكها العبد بتمليكها تعالى وهو أملك منه، نفي التفويض بمعانيه، فإن توهم كون الاستطاعة والقدرة عين ذات الإنسان، هو الكفر، وتوهم كونها لله ولنفسه معاً، هو الشرك، وتوهم أن القدرة المفاضة عليه مطلقة لا يملكها الحق، ويكون له الأمر والمشية والإرادة على الإطلاق هو عزل الحق عن السلطنة، فلا بدّ من نفي الكل والقول بأنه المالك المملك لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم، وهم مستطيعون بالله لا مع الله ولا من دون الله، كما هو صريح الروايات. وواضح أن قوام القدرة بمالكية الرأي المخصص لأحد الطرفين، فعند القدرة يتحقق المالكية، فلو صدر الفعل أو الترك بالرأي فهو المختار في الفعل والترك، وتكون العلة في الفاعلية والتخصيص رأي الفاعل لا غير، فلو كانت غير رأيه يكون مكرهاً أو مجبوراً أو مضطراً وعناوين الاختيار والاكراه والاضطرار كثيرة في الآيات، والأخبار، واختلاف المفاهيم الثلاثة وأحكامها وآثارها وجداني. إنتهى ما أردنا نقله من إفاداته «قدس سره».

أقول: ومما يدل على نفي الجبر وإثبات الاختيار في الأفعال الصادرة عن العباد أن كل عاقل لا يشك في الفرق بين الحركات الاختيارية والاضطرارية، فإن العاقل يفرق بالضرورة بين ما يقدر عليه كالحركة =

الإمام علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى عليه السلام قال:

= يمنة ويسرة والبطش باليد اختياراً، وبين الحركة الاضطرارية كالوقوع من فوق وحركة المرتعش وحركة النبض، وهذا من الواضحات. ومنه حكم الضرورة في حسن مدح المحسن وقبح ذمه، وحسن ذم المسيء وقبح مدحه، فإن كل عاقل يحكم بحسن مدح من يفعل الطاعات ويبالغ في الاحسان وقبح ذمه، كما أنهم يحكمون بقبح مدح المسيء الظالم الجائر الغاصب القاتل الممتنع من الخير، ومن مدحه على ذلك يعد سفيهاً ويكون ملوماً، ويعلم بالضرورة قبح المدح والذم على كونه طويلاً أو قصيراً أو ذكراً أو أنثى أو ختى، فيعلم بالضرورة جريان المدح والذم في الأفعال الاختيارية دون غيرها. قال الصادق عليه السلام: «ما استطعت أن تلوم العبد عليه، فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه، فهو من فعل الله تعالى، يقول الله تعالى للعبد: لم عصيت؟ لم فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لم زנית؟ فهذا فعل العبد، ولا يقول: لم مرضت؟ لم قصرت؟». إلى أن قال: «لأنه من فعل الله تعالى» الخ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كلما استغفرت الله منه، فهو منك، وكلما حمدت الله عليه، فهو منه» الخ. وأيضاً لو كان الأفعال فعل الله تعالى، لكان التكليف بفعل الطاعات واجتناب السيئات قبيحاً، لانا غير قادرين على ذلك، فإن خلق فينا فعل الطاعة كان واجب الحصول، وإن لم يخلقه كان ممتنع الحصول. ولو لم يكن العبد قادراً على الفعل والترك كانت أفعاله جارية مجرى حركة الجمادات، فكما أنه لا يصح تكليف الجمادات كذلك لا يصح التكليف، وهذا واضح البطلان.

وأيضاً يلزم مخالفة الكتاب العزيز ونصوصه والآيات الكثيرة الدالة على استناد الأفعال إلينا، كقوله تعالى حكاية عن آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ و﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُشِيرَ نُورُهُ﴾ و﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ و﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ و﴿إِلَيْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْوَعْدِ﴾ و﴿يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ و﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ و﴿مَنْ يَمْعَلْ سُوءًا يَجْزِ بِهِ﴾ و﴿كُلُّ أُنْفُسٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ و﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ و﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ و﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ و﴿إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْفَالِقِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

وقال الرضا عليه السلام في حديث: ما وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده. وقال في رواية أخرى: ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر.

ومن الآيات في ذلك، ما نزل من مدح المؤمن على إيمانه وما وعده من الثواب وذم الكافر على كفره وما أوعده من العقاب، وهذا من الواضحات.

ومن الآيات الدالة على الاختيار، الآيات النازلة في ذم العباد على الكفر والمعاصي، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ و﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَمْكُونُ﴾ و﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ و﴿يَسْأَلُ أَشْرَقُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ و﴿مَنْ يَمْعَلْ سُوءًا يَجْزِ بِهِ﴾ و﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ والإنكار والتوبيخ مع العجز عنه محال، وقوله: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ ومن المعلوم أن رجلاً لو حبس آخر في بيت بحيث لا يمكنه الخروج عنه، ثم يقول: ما منعك من التصرف في حوائجي؟ لكان قبيحاً، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا﴾ =

خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام فقال له : يا غلام ممن المعصية ؟ فقال عليه السلام : لا تخلو من ثلاثة : إما أن تكون من الله عز وجل وليست منه فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه ، وإما أن تكون من الله عز وجل ومن العبد فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف ، وإما أن تكون من العبد وهي منه فإن عاقبه الله فبذنبه وإن عفى عنه فبكرمه وجوده^(١).

٣ - ب : ابن حكيم ، عن البرزطي قال : سألت أبا الحسن عليه السلام قال : فقال لي : اكتب قال

«فَمَا لَمْ عَنِ التَّنَكُّرَةِ مُرِيضِينَ»، «مَعَا اللَّهَ عَنكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ»، «لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَمَّلَ اللَّهُ لَكَ» وكيف يجوز أن يقول : لم تفعل ؟ مع أنه ما فعله ، وقوله : «لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» و «لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ» وغير ذلك كثير . وكيف يصح أن يخلق فيهم الكفر ثم يقول : كيف تكفرون ؟ ويخلق فيهم لبس الحق بالباطل ثم يقول : لم تلبسوا الحق بالباطل ؟ وصددهم عن سواء السبيل ثم يقول : لم تصدوا عن سبيل الله ؟ وهكذا . ومن الآيات في ذلك ، الآيات الكثيرة الدالة على تخيير العباد في أفعالهم وتعليقها بمشيتهم ، مثل قوله تعالى : «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ»، «أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»، «فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ»، «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا»، «فَاتَّخَذُوا حَرَقَكُمْ أَنْ شِئْتُمْ»، «فَاتَّبَعُوا مَا يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِهِ»، «وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ» ولا يصح التكليف بغير المقدور .

ومن الآيات في ذلك ما أمر الله تعالى العباد بالأفعال والمساورة إليها مثل قوله تعالى : «وَسَارِعُوا» و «فَاسْتَسْقُوا الْعَذْرَ» و «أَجِبُوا» و «آمِنُوا» و «اعْبُدُوا» و «اتَّبِعُوا» فإنه لا يعقل الأمر بما يكونون عاجزين غير قادرين ، ولا يصح النهي عما لا يستطيع تركه ، وهل يكون أحد أقبل للعدر الصحيح من الله تعالى فإن اعتذر العبد يوم القيامة بالعدر الصحيح فيقول : يا رب ما قدرت وإنك منعنا عن الطاعة ، مع أنه لم يقدر على قول المجبرة ، يكون معذوراً بالعدر الصحيح ، فلا يجوز عذابه ولا عذاب أحد أبداً ، وهذا خلاف قول أهل الملل كلهم . وفيما ذكرنا ذكرى لمن كان له قلب .

وفي قول الكاظم عليه السلام في المعصية : لا يخلو من ثلاث : إما تكون من الله تعالى وليست منه ، فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه ، وإما تكون من الله والعبد ، فلا ينبغي للشريك القوي أن يعذب الشريك الضعيف ، وإما تكون من العبد فقط . فالأولان باطلان للعذاب ، ثبت الثالث . وهذا الاستدلال عقلي نبه عليه الكاظم عليه السلام .

وفي مضمون الرواية : إن الذي يذنب ويحمل ذنبه على الله تعالى من الخمسة الذين لا تغطي نيرانهم . وعن رسالة الإهليلجة قال الصادق عليه السلام : فعر من جل عن الصفات ومن نزه نفسه عن أفعال خلقه . وسئل أبو الحسن الثالث عليه السلام عن أفعال العباد أهى مخلوقة له تعالى ؟ فقال : لو كان خالفا لما تبرأ منها ، وقد قال سبحانه : «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم ، وإنما برأ من شركهم وقبائحهم ؛ الخبر . [مستدرک السفينة ج ٢ لغة «جبر»].

(١) التوحيد ، ص ٩٦ باب ٥ ح ٢ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ١ ، ص ١٢٦ باب ١١ ح ٣٧ ، وأمالى الصدوق ص ٣٣٥ مجلس ٦٤ ح ٤ . أقول : هذا استدلال عقلي وبطلان الأولين واضح بأدلة ثبوت العذاب وبقي الثالث [النمازي] .

الله تعالى: «يا بن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء، وبنعمتي أدبت إليّ فرائضي، وبقدرتي قويت على معصيتي، خلقتك سمياً بصيراً، أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني لأنني لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون، قد نظمت جميع ما سألت عنه»^(١).

٤ - ب: أحمد بن محمد، عن البرنطي، عن الرضا عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا ناجى ربه قال: يا رب قويت على معصيتك بنعمتك. قال: وسمعه يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُمْ﴾^(٢) فقال: إن القدرة يحتجون بأولها وليس كما يقولون ألا ترى أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُمْ﴾ وقال نوح على نبينا وآله وعليه السلام ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم. قال: الأمر إلى الله يهدي من يشاء^(٣).

بيان: اعلم أن لفظ القدري يطلق في أخبارنا على الجبري وعلى التفويضي، والمراد في هذا الخبر هو الثاني، وقد أحال كل من الفريقين ما ورد في ذلك على الآخر قال شارح المقاصد: لا خلاف في ذم القدرة، وقد ورد في صحاح الأحاديث: لعن الله القدرة على لسان سبعين نبياً، والمراد بهم القائلون بنفي كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيئته سموا بذلك لمبالغتهم في نفيه، وقيل: لإثباتهم للعبد قدرة الإيجاد وليس بشيء لأن المناسب حينئذ القدري بضم القاف. وقالت المعتزلة: القدرة هم القائلون بأن الخير والشر كله من الله وبتقديره ومشيئته لأن الشائع نسبة الشخص إلى ما يشته ويقول به كالجبرية والحنفية والشافعية، لا إلى ما ينفيه، ورد بأنه صح عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «القدرة مجوس أمّتي» وقوله: «إذا قامت القيامة نادى مناد: أهل الجمع أين خصماء الله؟ فتقوم القدرة ولا خفاء في أن المجوس هم الذين ينسبون الخير إلى الله والشر إلى الشيطان، ويسمونهما يزدان وأهرمن وأن من لا يفوض الأمور كلها إلى الله تعالى ويفرز بعضها فينسبها إلى نفسه يكون المخاصم لله تعالى، وأيضاً من يضيف القدر إلى نفسه ويدّعي كونه الفاعل والمقدر أولى باسم القدري ممن يضيفه إلى ربه. انتهى.

وقال العلامة رحمته الله في شرحه على التجريد: قال أبو الحسن البصري ومحمود الخوارزمي وجه تشبيهه عليه السلام المجبرة بالمجوس من وجوه:

أحدها: أن المجوس اختصوا بمقالات سخيفة، واعتقادات واهية معلومة البطلان وكذلك المجبرة.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

(١) قرب الإسناد، ص ٣٥٤ ح ١٢٦٧.

(٣) قرب الإسناد، ص ٣٥٨ ح ١٢٨٢.

وثانيها: أن مذهب المجوس أن الله تعالى يخلق فعله ثم يتبرأ منه كما خلق إبليس ثم انتفى عنه، وكذلك المجبرة قالوا: إنه تعالى يفعل القبائح ثم يتبرأ منه^(١).

وثالثها: أن المجوس قالوا: إن نكاح الأخوات والأمهات بقضاء الله وقدره وإرادته، ووافقهم المجبرة حيث قالوا: إن نكاح المجوس لأخواتهم وأمهاتهم بقضاء الله وقدره وإرادته.

ورابعها: أن المجوس قالوا: إن القادر على الخير لا يقدر على الشر وبالعكس والمجبرة قالوا: إن القدرة موجبة للفعل غير متقدمة عليه فالإنسان القادر على الخير لا يقدر على ضده وبالعكس انتهى^(٢).

أقول: سيتضح لك أن كلاهما ضالٌّ، صادق فيما نسب إلى الآخر، وأن الحق غير ما ذهبوا إليه، وهو الأمر بين الأمرين.

٥ - **ب:** بالإسناد المذكور قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا ناجى ربه قال: اللهم يا رب إنما قويت على معاصيك بنعمك^(٣).

٦ - **فس:** قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إلى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾^(٤) قال الصادق عليه السلام: إن هذا القول من الله ردّ على من زعم أن الله تبارك وتعالى يضلّ العباد، ثم يعذبهم على ضلالتهم^(٥).

بيان: الظاهر أنه عليه السلام جعل قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من جملة قول الذين كفروا على خلاف ما ذهب إليه المفسرون من أنه من كلامه تعالى جواباً لقولهم.

٧ - **ل:** الخليل بن أحمد، عن ابن منيع، عن الحسن بن عرفة، عن علي بن ثابت عن إسماعيل بن أبي إسحاق، عن ابن أبي ليلى، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدرية^(٦).

٨ - **كنز الكراجكي:** عن محمد بن علي بن محمد بن الصخر البصري، عن عمر بن محمد بن سيف، عن علي بن محمد بن مهرويه القزويني، عن داود بن سليمان، عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام مثله^(٧).

(١) في المصدر: منها، وهو الصواب. (٢) كشف المراد في شرح التجريد، ص ٢٩٥.

(٣) قرب الإسناد، ص ٣٧٧ ح ١٣٣٢. (٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٨.

(٦) الخصال، ص ٧٢ باب الإثني ح ١١٠. ورواه العامة في كتاب التاج ج ١ ص ٤٠ [النمازي].

(٧) كنز الفوائد، ج ١ ص ١٢٥.

بيان: قال الكراجكي: ظننت المعتزلة أن الشيعة هم المرجئة لقولهم: إنا نرجو من الله تعالى العفو عن المؤمن إذا ارتكب معصية ومات قبل التوبة، وهذا غلط منهم في التسمية، لأن المرجئة مشتق من الإرجاء، وهو التأخير بل هم الذين أئخروا الأعمال ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان. ثم قال: إن المعتزلة لها من الزلات الفظيعة ما يكثر تعداده وقد صنف ابن الراوندي كتاب فضائحهم فأورد فيه جملاً من اعتقاداتهم وآراء شيوخهم مما ينافر العقول ويضاد شريعة الرسول وقد وردت الأخبار بذهمهم عن أهل البيت عليه السلام ولعنهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: لعن الله المعتزلة أرادت أن توحد فألحدت ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت.

٩ - ل: محمد بن علي بن بشار القزويني، عن المظفر بن أحمد، وعلي بن محمد بن سليمان، عن علي بن جعفر البغدادي، عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي، عن الحسن بن راشد، عن علي بن سالم، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غالي يستمع إلى حديثه ويصدق على قوله، إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام: الغلاة والقدريّة^(١).

١٠ - عدة: اعتقادنا في الاستطاعة ما قاله موسى بن جعفر عليه السلام حين قيل له: أيكون العبد مستطيعاً؟ قال: نعم بعد أربع خصال: أن يكون مخلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله ﷻ، فإذا تمت هذه فهو مستطيع فليل له: مثل أي شيء؟ فقال: يكون الرجل مخلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح لا يقدر أن يزني إلا أن يرى امرأة فإذا وجد المرأة فإما أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف، وإما أن يخلى بينه وبينها فيزني وهو زانٍ ولم يطع الله بإكراه، ولم يعص بغلبة.

١١ - وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الشُّجُورِ وَهُمْ سَافِرُونَ﴾^(٢) قال: مستطيعون للأخذ بما أمروا به، والترك لما نهوا عنه، وبذلك ابتلوا.

١٢ - وقال أبو جعفر عليه السلام: في التوراة مكتوب مسطور: يا موسى إني خلقتك واصطفيتك وقويتك، وأمرتك بطاعتي، ونهيته عن معصيتي، فإن أطعني أعتك على طاعتي وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي، ولي المنة عليك في طاعتك، ولي الحجة عليك في معصيتك^(٣).

١٣ - فس: في رواية أبي الجارود قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ قال: خلقهم حين خلقهم مؤمنًا وكافرًا وشقيًا وسعيدًا، وكذلك يعودون يوم القيامة

(١) الخصال، ص ٧٢ باب الإثني ح ١٠٩. (٢) سورة القلم، الآية: ٤٣.

(٣) اعتقادات الصدوق، ص ٧٢.

مهتد وضال، يقول: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطَانِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١)؛ وهم القدرة الذين يقولون: لا قدر، ويزعمون أنهم قادرون على الهدى والضلالة، وذلك إليهم إن شاؤوا اهتدوا، وإن شاؤوا ضلّوا، وهم مجوس هذه الأمة، وكذب أعداء الله المشيئة والقدرة لله ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ من خلقه الله شقياً يوم خلقه كذلك يعود إليه، ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيداً، قال رسول الله ﷺ: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه^(٢).

١٤ - ل: الفامي وابن مسرور، عن ابن بقة، عن الصفار، ومحمد بن علي بن محبوب، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل زعم أن الله عز وجل أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله عز وجل في حكمه وهو كافر، ورجل يزعم أن الأمر مفوض إليهم فهذا وهن الله في سلطانه فهو كافر، ورجل يقول: إن الله عز وجل كلف العباد ما يطيقون، ولم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ^(٣). يده الوراق، عن ابن بقة مثله.

١٥ - ل: أبي، عن علي، عن أبيه، عن الحسن بن الحسن بن الفارسي، عن سليمان بن جعفر البصري، عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل لما خلق الجنة خلقها من لبنتين، لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وجعل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، وحصبتها اللؤلؤ، وترابها الزعفران والمسك الأذفر، فقال لها: تكلمي، فقالت: لا إله إلا أنت الحي القيوم، قد سعد من يدخلني. فقال عز وجل بعزتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر، ولا سكير، ولا قتات وهو النقام، ولا ديوث وهو القلطان، ولا قلاع وهو الشرطي، ولا زنوق وهو الخنثى، ولا خيوف وهو النباش، ولا عشار، ولا قاطع رحم، ولا قدر^(٤).

توضيح: السكير بالكسر وتشديد الكاف: الكثير السكر، والفرق بينه وبين المدمن إما بكون المراد بالخمير ما يتخذ من العنب وبالسكير من يسكر من غيره، أو بكون المراد بالمدمن أعم ممن يسكر. وشرط السلطان: نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده، والنسبة إليهم شرطي كتركبي، ولم أجد اللغويين فسروا الزنوق والخيوف بما فسرا به في الخبر.

١٦ - ل: أبي وابن الوليد، عن أحمد بن إدريس، ومحمد العطار، عن الأشعري عن

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣٣.

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٩-٣٠.

(٤) الخصال، ص ٤٣٥ باب العشرة ح ٢٢.

(٣) الخصال، ص ١٩٥ باب الثلاثة ح ٢٧١.

محمد بن الحسين بإسناد له يرفعه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا سكير، ولا عاق، ولا شديد السواد، ولا ديوث، ولا قلاع وهو الشرطي، ولا زنوق وهو الخنثى، ولا خيوف وهو النباش، ولا عشار، ولا قاطع رحم، ولا قدرى.

قال الصدوق رحمه الله : يعني بشديد السواد الذي لا يبيض شيء من شعر رأسه، ولا من شعر لحيته مع كبر السن، ويسمى الغريب^(١).

١٧ - ن : السناني، عن الأسدي، عن سهل، عن عبد العظيم الحسيني، عن إبراهيم بن أبي محمود قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله ﷻ : ﴿وَرَكَّعَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٢) فقال : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالتارك كما يوصف خلقه، ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف، وخلق بينهم وبين اختيارهم. قال : وسألته عن قول الله ﷻ : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾^(٣) قال : الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى : ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤) قال : وسألته عن الله ﷻ : هل يجبر عباده على المعاصي؟ فقال : بل يخيّرهم ويمهلهم حتى يتوبوا، قلت : فهل يكلف عباده ما لا يطيقون؟ فقال : كيف يفعل ذلك وهو يقول : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٥) ثم قال عليه السلام : حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر ابن محمد عليه السلام أنه قال : من زعم أن الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً^(٦).

ج : رسلاً عن الحسيني مثله^(٧).

١٨ - ن : تميم القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال : دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له : يا بن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين فما معناه؟ فقال : من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله ﷻ فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليه السلام فقد قال بالتفويض فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك. فقلت له : يا بن رسول الله فما أمر بين أمرين؟ فقال : وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه. فقلت له : فهل لله ﷻ مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال : أمّا الطاعات فإرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها، والرضا لها، والمعاونة عليها؛ وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها، والسخط لها، والخذلان عليها. قلت : فله ﷻ فيها القضاء؟

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٧.

(١) الخصال، ص ٢٣٦ باب العشرة ح ٢٣.

(٤) سورة النساء، الآية : ١٥٥.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٧.

(٥) سورة فصلت، الآية : ٤٦.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١١٣ باب ١١ ح ١٦. (٧) الاحتجاج، ص ٤١٣.

قال: نعم ما من فعل يفعله العباد من خير وشر إلا والله فيه قضاء. قلت: فما معنى هذا القضاء؟
قال: الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة^(١).
ج: رواه مرسلًا مثله^(٢).

١٩ - ن: الدقاق، عن محمد بن الحسن الطائفي، عن سهل بن زياد، عن علي بن جعفر الكوفي قال: سمعت سيدي علي بن محمد عليه السلام يقول: حدثني أبي محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه عليه السلام.

وحدثنا محمد بن عمر الحافظ البغدادي، عن إسحاق بن جعفر العلوي، عن أبيه، عن سليمان بن محمد القرشي، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام.

وحدثنا أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي الغرائمي، عن أحمد بن محمد ابن رميح النسوي، عن عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر، عن عبد الوهاب بن عيسى المروزي، عن الحسن بن علي بن محمد البلوي، عن محمد بن عبد الله بن نجيع، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه عليه السلام.

وحدثنا أحمد بن الحسن القطان، عن السكري، عن الجوهري، عن العباس بن بكار الضبي، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس قالوا: لما انصرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من صفين قام إليه شيخ ممن شهد الواقعة معه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا هذا أبقضاء من الله وقدر؟ وقال الرضا في روايته عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ فوالله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا أبقضاء من الله وقدر؛ فقال الشيخ عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال: مهلاً يا شيخ لعلك تظن قضاءً حتماً وقدرًا لازماً، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعد والوعيد، ولم تكن على شيء لائمة، ولا لمحسن محمداً، ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن، وقدريّة هذه الأمة ومجوسها، يا شيخ إن الله تعالى كلف تخيراً، ونهى تحذيراً، وأعطى القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، قال: فنهض الشيخ وهو يقول:

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١١٤ باب ١١ ح ١٧.

(٢) الاحتجاج، ص ٤١٤.

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه إحسانا
فليس معذرة في فعل فاحشة قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
لا لا ولا قابلاً ناهيه أوقعه فيها عبدت إذا يا قوم شيطانا
ولا أحب ولا شاء الفسوق ولا قتل الولي له ظلماً وعدوانا
أنى يحب وقد صحت عزيمته؟ ذو العرش أعلن ذاك الله إعلانا

لم يذكر محمد بن عمر الحافظ في آخر هذا الحديث من الشعر إلا بيتين من أوله^(١).
يده: زاد ابن عباس في حديثه: فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين القضاء والقدر اللذان
ساقانا؟ وما هبطنا وادياً وما علونا تلة إلا بهما؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الأمر من الله
والحكم، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢) ^(٣).
بيان: التلة: ما ارتفع من الأرض.

قوله: عند الله احتسب عنائي أي لما لم نكن مستحقين للأجر لكوننا مجبورين فأحتسب
أجر مشقتي عند الله لعله يشيني بلطفه، ويحتمل أن يكون استفهاماً على سبيل الإنكار، وقال
الجزري: الاحتساب من الحساب كالاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله:
احتسبه لأن له حيث أن يعتد عمله، والاحتساب في الأعمال الصالحات، وعند المكروهات
هو البدار إلى طلب الأجر، وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها
على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها. انتهى.

قوله عليه السلام: ولكان المذنب أولى بالإحسان أقول: لأنه حملة على ما هو قبيح عقلاً
وشرعاً، وصيره بذلك محلاً للائمة الناس، فهو أولى بالإحسان لتدارك ذلك وأيضاً لما حمل
المحسن على ما هو حسن عقلاً وشرعاً وصار بذلك مورداً لمدح الناس فإن عاقبه وأضر به
تداركاً لما أحسن إليه كان أولى من جمع الإضرارين على المسيء، وقيل: إنما كان المذنب
أولى بالإحسان لأنه لا يرضى بالذنب كما يدل عليه جبره عليه، والمحسن أولى بالعقوبة لأنه
لا يرضى بالإحسان لدلالة الجبر عليه، ومن لا يرضى بالإحسان أولى بالعقوبة من الذي
يرضى به.

ويحتمل أن يكون هذا متفرعاً على ما مر أي إذا بطل الثواب والعقاب والامر والنهي
والوعد والوعيد لكان المذنب أولى الخ؛ ووجهه أنه لم يبق حيثن إلا الاحسان والعقوبة
الدنيوية، والمذنب في الدنيا متنعم بأنواع اللذات، وليست له مشقة التكليف الشرعية،
والمحسن في التعب والنصب بارتكاب أفعال لا يشتهيها، وترك ما يلتذ بها مقتر عليه

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٢٦ باب ١١ ح ٣٨ وفيه: قائلاً بدل قابلاً.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) التوحيد، ص ٣٨٢ باب ٦٠ ح ٢٨.

لاجتنب المحرمات من الأموال، فحيث لا إحسان الواقع للمذنب أكثر مما وقع للمحسن، فهو أولى بالإحسان من المحسن، والعقوبة الواقعة على المحسن أكثر مما وقع على المذنب فهو أولى بالعقوبة من المذنب. والقدرية في هذا الخبر أطلقت على الجبرية وقوله: لم يعص على بناء المفعول، وكذا قوله: ولم يطع مكرهاً - بكسر الراء - وفي الفتح تكلف.

وفي الكافي بعد ذلك: ولم يملك مفوضاً. إشارة إلى نفي التفويض التام، بحيث لا يقدر على صرفهم عنه، أو بحيث لا يكون لتوفيقه وهدايته مدخل فيه.

٢٠ - يد، ن: ابن مسرور، عن ابن عامر، عن معلى بن محمد البصري، عن الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته فقلت: الله فوض الأمر إلى العباد؟ قال: الله أعز من ذلك؛ قلت: فأجبرهم على المعاصي؟ قال: الله أعدل وأحكم من ذلك، ثم قال: قال الله عز وجل يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك^(١).

٢١ - يد، ن: الطالقاني، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة، ولا تقبلوا لهم شهادة، إن الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا تكسب كل نفس إلا عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى^(٢).

٢٢ - يد، ن: أبي، عن سعد، عن البرقي، عن أبيه، عن الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ذكر عنده الجبر والتفويض فقال: ألا أعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا يخاصمكم عليه أحد إلا كسرتموه؟ قلنا: إن رأيت ذلك؛ فقال: إن الله عز وجل لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكتهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادراً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه^(٣).

ج: مراسلاً مثله. «ص ٤١٤».

بيان: لعل ذكر الائتمار ثانياً للمشكلة، أو هو بمعنى الهم، أو الفعل من غير مشاورة، كما ذكر في النهاية والقاموس.

٢٣ - يد، مع: حدثنا أبو الحسن محتمل بن سعيد السمرقندي الفقيه بأرض بلخ قال:

(١) التوحيد، ص ٣٦٢ باب ٥٩ ح ١٠، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٣١ باب ١١ ح ٤٦.

(٢) التوحيد، ص ٣٦٢ باب ٥٩ ح ٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٣١ باب ١١ ح ٤٧.

(٣) التوحيد، ص ٣٦١ باب ٥٩ ح ٧، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٣١ باب ١١ ح ٤٨.

حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الزاهد السمرقندي بإسناد رفعه إلى الصادق عليه السلام أنه سأل رجل فقال له: إن أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثير لا بد لعاقل منه، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه، ويتهيأ حفظه، فقال: أما التوحيد فإن لا تجوز على ربك ما جاز عليك، وأما العدل فإن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه^(١).

٢٤ - فس: قوله: ﴿وَقَرَّبْتُمْ وَفَرَعْتُمْ وَهَمَكْتُمْ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سَيِّفِيكَ﴾^(٢) فهذا رد على المجبرة الذين زعموا أن الأفعال لله عز وجل، ولا صنع لهم فيها ولا اكتساب، فرد الله عليهم فقال: فكلاً أخذنا بذنبه، ولم يقل: بفعلنا لأنه عز وجل أعدل من أن يعذب العبد على فعله الذي يجبره عليه^(٣).

٢٥ - فس: محمد بن أبي عبد الله، عن موسى بن عمران، عن النوفلي، عن السكوني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: وجدت لأهل القدر أسماء في كتاب الله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾^(٤) ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾^(٥) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٦). فهم المجرمون^(٧).

٢٦ - ج: عن أبي حمزة الثمالي أنه قال: قال أبو جعفر عليه السلام للحسن البصري: إياك أن تقول بالتفويض فإن الله عز وجل لم يفوض الأمر إلى خلقه وهنا منه وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً. الخبر^(٨).

٢٧ - يد: الدقاق، عن الأسدي، عن خنيس بن محمد، عن محمد بن يحيى الخزاز، عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا جبر ولا تفويض ولكن أمرين أمرين، قال: قلت: ما أمرين أمرين؟ قال: مثل ذلك مثل رجل رأته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية^(٩).

٢٨ - عدة: اعتقادنا في الجبر والتفويض قول الصادق عليه السلام: لا جبر ولا تفويض^(١٠).

أقول: وساق الخبر إلى آخر ما رواه المفضل، وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرحه: الجبر هو الحمل على الفعل، والاضطرار إليه بالقسر والغلبة، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون له قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه، وقد يعبر عما يفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الاكراه له على التخويف والالجاء أنه جبر، والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قدمناه، وإذا تحقق القول في الجبر

(١) التوحيد، ص ٩٦ باب ٥ ح ١، ومعاني الأخبار ص ١١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣٩.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٧.

(٤) سورة القمر، الآيات: ٤٧-٤٩.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢٠.

(٦) الاحتجاج، ص ٢٢٧.

(٧) التوحيد ص ٣٦٢ باب ٥٩ ح ٨.

(٨) اعتقادات الصدوق، ص ٦٩.

على ما وصفناه كان مذهب الجبر هو قول من يزعم أن الله تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدها والامتناع منها، وخلق فيهم المعصية كذلك، فهم المجبرة حقاً، والجبر مذهبهم على التحقيق، والتفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق فالأفعال والإباحة لهم، مع ما شاؤوا من الأعمال، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات، والواسطة بين هذين القولين أن الله أقدر الخلق على أفعالهم، ومكنهم من أعمالهم، وحد لهم الحدود في ذلك، ورسم لهم الرسوم، ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، ووضع الحدود لهم فيها، وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض على ما بيّناه^(١).

٢٩ - ج: عن هشام بن الحكم قال: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: أخبرني عن الله عز وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحددين وكان على ذلك قادراً؟ قال عليه السلام: لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب لأن الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم تكن جنة ولا نار، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، واحتج عليهم برسله، وقطع عذرهم بكتبه ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون، ويستوجبون بطاعتهم له الثواب، وبمعصيتهم إياه العقاب. قال: فالعمل الصالح من العبد هو فعله، والعمل الشر من العبد هو فعله؟ قال: العمل الصالح العبد يفعله والله به أمره، والعمل الشر العبد يفعله والله عنه نهاه؛ قال: أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه؟ قال: نعم، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر بها على الشر الذي نهاه عنه. قال: فإلى العبد من الأمر شيء؟ قال: ما نهاه الله عن شيء إلا وقد علم أنه يطيق تركه، ولا أمره بشيء إلا وقد علم أنه يستطيع فعله لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون.

قال: فمن خلقه الله كافراً يستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجة؟ قال عليه السلام: إن الله خلق خلقه جميعاً مسلمين، أمرهم ونهاهم، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً إنه إنما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجة من الله فعرض عليه الحق فجحدته فبإنكاره الحق صار كافراً، قال: فيجوز أن يقدر على العبد الشر ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعمل ويعدبه عليه؟ قال: إنه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدر على العبد الشر ويريده منه، ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أخذه، والانزاع عما لا يقدر على تركه، ثم يعدبه على تركه أمره الذي علم أنه لا يستطيع أخذه، الخبر^(٢).

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ٣٢.

(٢) الاحتجاج، ص ٣٤٠. أقول: الأحسن قبل الخوض في تحقيق ذلك ذكر الآيات المربوطة بذلك قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. وقال لعيسى: ﴿وَإِذْ أَخْلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِنَا فَتَنَفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَمْرِي﴾. وقال حكاية عن عيسى: ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ =

عده اعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنه لم يزل الله عالماً بمقاديرها^(١).

أقول: قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرح العقائد عند شرح هذا الكلام الذي ذكره أبو جعفر عليه السلام: قد جاء به حديث غير معمول به، ولا مرضي الإسناد، والأخبار الصحيحة بخلافه، وليس نعرف في لغة العرب أن العلم بالشيء هو خلق له، ولو كان ذلك كما قال المخالفون للحق لوجب أن يكون من علم النبي عليه السلام فقد خلقه، ومن علم السماء والأرض فهو خالق لهما، ومن عرف بنفسه شيئاً من صنع الله تعالى وقرره في نفسه أن يكون خالقاً له؛ وهذا محال لا يذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعية الائمة عليهم السلام فضلاً عنهم.

فأما التقدير فهو الخلق في اللغة لأن التقدير لا يكون إلا بالفعل، فأما بالعلم فلا يكون تقديرًا، ولا يكون أيضاً بالفكر، والله متعال عن خلق الفواحش والقبايح على كل حال. وقد روي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه سئل عن أفعال العباد أهي مخلوقة لله تعالى؟ فقال عليه السلام لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

= **فَيَكُونُ طَبَرًا يَدِينُ اللَّهُ.** وقال: ﴿وَيَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾. يظهر من هذه الآيات أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها، ولا اشكال فيه، وما في الآيات من أنه تعالى خالق كل شيء فهو منصرف عن أفعال العباد إلى أجسامهم ويشهد لذلك صدر الآية، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْخُذْتُمْ مِنْ دُرِّيذٍ أُولِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَمَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وقوله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ و﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿إِذْ دَنَاتِ الْإِمَادُ (٧)﴾ التي لم يخلق مثلها في البلاد (٨). والآيات المشتملة على مثل قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ ناظرة إلى ألتهم التي يدعون من دون الله، كما في سورة النحل الآية ٢٠: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٠)﴾ أتوت غير لحياتكم؛ الآية. وهكذا الكلام في قوله في هذه السورة: ﴿أَفَسَوْفَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ويشهد لرواية الفتح المذكورة رواية الصدوق عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تعالى فوض الأمر إلى ملك من الملائكة، فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء؛ الخبر. وذكر في آخره أنه دخله العجب، فأرسل الله إليها نورية فأحرقت جميعها. والروايات الصحيحة في خلقه الإنسان في الرحم، منها قول الرضا عليه السلام: وإذا تمت الأربعة أشهر بعث الله تبارك وتعالى إليها ملكين خلقتين يصورانها ويكتبان رزقه وأجله؛ الخبر. وفي معناه غيره. والتحقيق أن يقال: إن صفة الخالقية لا من شيء مختصة بالله تعالى ومن صفات فعله القدوس. وأما الخالقية من شيء فتطلق على غيره تعالى أيضاً. مثلاً خلق الله الأشياء وصنعها من شيء وهو الماء وخلق الماء لا من شيء. وعيسى يخلق من الطين وكل صانع فمن شيء صنع وصانع الأشياء لا من شيء صنع. وقال الإمام الصادق عليه السلام: لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله. [مستدرک السفينة ج ٣ لغة «خلق»].

ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم، وكتاب الله تعالى المقدم على الأحاديث والروايات، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحق دون ما سواه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(١) فخبر بأن كل شيء خلقه فهو حسن غير قبيح، فلو كانت القبائح من خلقه لما حكم بحسن جميع ما خلق، وقال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾^(٢) فنفي التفاوت عن خلقه، وقد ثبت أن الكفر والكذب متفاوت في نفسه، والمتضاد من الكلام متفاوت فكيف يجوز أن يطلقوا على الله تعالى أنه خالق لأفعال العباد وفي أفعال العباد من التفاوت ما ذكرناه^(٣)؟

٣٠ - ج: مما أجاب به أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض أن قال: اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها، فهم في حالة الاجتماع عليه مصيبون، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون لقول النبي ﷺ: لا تجتمع أمتي على ضلالة، فأخبر النبي ﷺ أن ما اجتمعت عليه الأمة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحق، فهذا معنى الحديث لا ما تأوله الجاهلون، ولا ما قاله المعاندون من إبطال حكم الكتاب، واتباع حكم الأحاديث المزورة، والروايات المزخرفة، واتباع الأهواء المردية المهلكة التي تخالف نص الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النيرات ونحن نسأل الله أن يوفقنا للصواب، ويهدينا إلى الرشاد.

ثم قال عليه السلام: فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فانكرته طائفة من الأمة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزورة فصارت بإنكارها ودفعها الكتاب كفاراً ضاللاً، وأصبح خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله ﷺ، حيث قال: إني مستخلف فيكم خليفتي كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتكم بهما لن تضلوا بعدي، وإني لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض. واللفظة الأخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإني لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض، أما إنكم إن تمسكتكم بهما لن تضلوا. فلما وجدنا شواهد هذا الحديث نصاً في كتاب الله مثل قوله: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾^(٤) ثم اتفقت روايات العلماء في ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام أنه تصدق بخاتمه وهو راع فشكر الله ذلك له، وأنزل الآية فيه، ثم وجدنا رسول الله ﷺ قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقوله ﷺ عليّ يقضي ديني، وينجز مواعيدي، وهو خليفتي عليكم بعدي. وقوله ﷺ حيث استخلفه على المدينة فقال: يا رسول الله أتخلفني على النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من

(١) سورة السجدة، الآية: ٧.

(٢) سورة الملك، الآية: ٣.

(٣) تصحيح الاعتقاد، ص ٢٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

موسى إلا أنه لا نبي بعدي. فعلمنا أن الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار، وتحقيق هذه الشواهد فيلزم الأمة الإقرار بها كانت^(١) هذه الأخبار موافقة للقرآن، ووافق القرآن هذه الأخبار، فلما وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله وجدنا^(٢) كتاب الله موافقاً لهذه الأخبار وعليها دليلاً كان الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد والفساد.

ثم قال عليه السلام: ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانهما، وإنما قدّمنا ما قدّمنا لكون اتفاق الكتاب والخبر إذا اتفقا دليلاً لما أردناه وقوة لما نحن ميّتونه من ذلك إن شاء الله، فقال: الجبر والتفويض يقول الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عندما سئل عن ذلك فقال: لا جبر ولا تفويض بل أمرين أمرين. وقيل: فماذا يابن رسول الله عليه السلام؟ فقال: صحة العقل، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد من قبل الراحلة، والسبب المهيّج للفاعل على فعله، فهذه خمسة أشياء فاذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، وأنا أضرب لكلّ باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين مثلاً يقرب المعنى للطالب، ويسهل له البحث من شرحه، ويشهد به القرآن بمحكم آياته وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب، وبالله العصمة والتوفيق.

ثم قال عليه السلام: فأما الجبر فهو قول من زعم أن الله تعالى جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذبه وردّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣) وقوله جلّ ذكره: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤) مع أي كثيرة في مثل هذا، فمن زعم أنه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله تعالى وظلمه في عقوبته له، ومن ظلم ربه فقد كذب كتابه، ومن كذب كتابه لزمه الكفر باجتماع الأمة. والمثل المضروب في ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك إلا نفسه، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا، ويعلم مولاه ذلك منه، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق بحاجة يأتيه بها، ولا يملكه ثمن ما يأتيه به، وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور، فأوعد عبده إن لم يأت به بالحاجة أن يعاقبه، فلما صار العبد إلى السوق وحاول أخذ الحاجة التي بعثه المولى للإيتان بها وجد عليها مانعاً يمنعه منها إلا بالثمن، ولا يملك العبد ثمنها، فأنصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه لذلك، وعاقبه على ذلك فإنه كان ظالماً متعدياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن لم يعاقبه كذب نفسه أليس يجب أن لا يعاقبه؟ والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة، تعالى الله عما يقول المجترّة علواً كبيراً.

(١) في المصدر: فلزم الأمة الإقرار بها إذا كانت... (٢) الصواب: ووجدنا، كما في المصدر.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٤) سورة الحج، الآية: ١٠.

ثم قال العالم عليه السلام بعد كلام طويل : فأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به فهو قول القائل : إن الله تعالى فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهمّهم ، وفي هذا كلام دقيق لم يذهب إلى غوره ودقته إلا الأئمة المهديّة عليهم السلام من عترة آل الرسول صلوات الله عليهم ، فإنهم قالوا : لو فوّض الله أمره إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضا ما اختاره ^(١) ، واستوجبوا به من الثواب ، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب إذ كان الإهمال واقعاً ، وتنصرف هذه المقالة على معنيين : إمّا أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه قبول اختيارهم بأرائهم ضرورة ، كره ذلك أم أحبه ، فقد لزمه الوهن ، أو يكون جلّ وتقدّس عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي عن إرادته ، ففوّض أمره ونهيه إليهم ، وأجراهما على محبتهم ، إذ عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه لخدمه ، ويعرّف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيه ، وادّعى مالك العبد أنّه قادر قاهر عزيز حكيم ، فأمر عبده ونهاه ، ووعدّه على اتّباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيه ، فأبى أمر أمره به أو نهى نهاه عنه لم ياتمر على إرادة المولى بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه ، وبعثه في بعض حوائجه وفيها الحاجة له ، فصار العبد بغير تلك الحاجة خلافاً على مولاه ، وقصد إرادة نفسه ، واتّبع هواه ، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف ما أمره فقال العبد : اتكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبعته هواي وإرادتي لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحصيل ^(٢) .

ثم قال عليه السلام : فمن زعم أن الله فوّض قبول أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز ، وأوجب عليه قبول كلّ ما عملوا من خير أو شرّ ، وأبطل أمر الله تعالى ونهيه ، ثمّ قال : إنّ الله خلق الخلق بقدرته وملكهم استطاعة ما تعبدّهم به من الأمر والنهي ، وقبل منهم اتّباع أمره ، ورضي بذلك منهم ، ونهاهم عن معصيته ، وذمّ من عصاه وعاقبه عليها ، ولله الخيرة في الأمر والنهي ، يختار ما يريد ويأمر به وينهى عمّا يكره ، ويشيب ويعاقب بالاستطاعة التي ملكها عباده لا تتّباع أمره واجتناب معاصيه لأنّه العدل ، ومنه النصفة والحكومة ، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار ، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده ، اصطفى محمّداً صلوات الله عليه وآله ، وبعثه بالرسالة إلى خلقه ، ولو فوّض اختيار أموره ، إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمّد لما قالوا : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ^(٣) يعنونهما فهذا هو القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض ، بذلك أخبر أمير المؤمنين عليه السلام حين سألّه عباية بن ربعي الأسدي عن الاستطاعة ،

(٢) الصواب : التحضير كما في المصدر .

(١) الصواب : اختاروه كما في المصدر .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٣١ .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية بن ربعي ، فقال له : قل يا عباية ؛ قال : وما أقول؟ قال : إن قلت : تملكها مع الله قتلتك وإن قلت : تملكها من دون الله قتلتك ، قال : وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال : تقول : تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن ملككها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه ، وهو المالك لما ملكك ، والمالك لما عليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حيث يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فقال الرجل : وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال : لا حول لنا عن معاصي الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله ، قال : فوثب الرجل وقبل يديه ورجليه .

ثم قال عليه السلام : في قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَفْبَارِكُكُمْ﴾ ^(١) وفي قوله : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢) وفي قوله : ﴿أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾ ^(٣) وفي قوله : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ^(٤) وفي قوله : ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ ^(٥) وقول موسى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ^(٦) وقوله : ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ ^(٧) وقوله : ﴿ثُمَّ مَكْرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِنَبْتَلِيَكُمْ﴾ ^(٨) وقوله : ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ ^(٩) وقوله : ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ^(١٠) وقوله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ^(١١) وقوله : ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِنَبْلُوًا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ ^(١٢) إن جميعها جاءت في القرآن بمعنى الاختبار .

ثم قال عليه السلام : فإن قالوا : ما الحجة في قول الله تعالى : ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ و﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ وما أشبه ذلك؟ قلنا : فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين : أحدهما أنه إخبار عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشاء وضلالة من يشاء ، ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ، ولا عليهم عقاب على ما شرحناه . والمعنى الآخر أن الهداية منه : التعريف ، كقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ ^(١٣) وليس كل آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجة على حكم الآيات اللاتي أمر بالأخذ بها وتقليدها وهي قوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ الآية ^(١٤) ، وقال : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ۖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

(١) سورة محمد ، الآية : ٣١ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٢ .

(٣) سورة طه ، الآية : ٨٥ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ .

(٥) سورة القلم ، الآية : ١٧ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ١٢٤ .

(٧) سورة فصلت ، الآية : ١٧ .

(٨) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٢ .

(٩) سورة ص ، الآية : ٣٤ .

(١٠) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥ .

(١١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(١٢) سورة الملك ، الآية : ٢ .

(١٣) سورة محمد ، الآية : ٤ .

(١٤) سورة آل عمران ، الآية : ٧ .

فَيَسْئَلُونَ أَحْسَنَهُ أَؤُلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أَزْوَاجُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾^(١) وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَا يَحِبُّ وَيَرْضَى، ويقرب لنا ولكم الكرامة والزلزلى، وهدانا لما هو لنا ولكم خير وأبقى، إنه الفعّال لما يريد، الحكيم الجواد المجيد^(٢).

٣١- ج: عن داود بن قبيصة قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: سئل أبي عليه السلام هل منع الله عما أمر به؟ وهل نهى عما أراد؟ وهل أعان على ما لم يرد؟ فقال عليه السلام: أما ما سألت: هل منع الله عما أمر به؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم، ولو منع إبليس لعذره ولم يلعبه؛ وأما ما سألت: هل نهى عما أراد؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها، ولو أراد منه أكلها ما نادى عليه صبيان الكتائب ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(٣) والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره؛ وأما ما سألت عنه من قولك: هل أعان على ما لم يرد؟ فلا يجوز ذلك، وجلّ الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم، وقتل الحسين بن عليّ والفضلاء من ولده، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعدّ جهنم لمخالفيه، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته، وارتكابهم لمخالفته؛ ولو جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادّعائه أنه ربّ العالمين! أفترى أراد الله من فرعون أن يدّعي الربوبية؟ يستتاب قاتل هذا فإن تاب من كذبه على الله. وإلا ضربت عنقه^(٤).

٣٢- ج: وروي عن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام أن أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذنه، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى، كما قال تعالى: ﴿يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٥).

قوله عليه السلام: ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذنه أي بتخليته وعلمه.

٣٣- ج: وروى أنه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له: يا أبا حنيفة إن ههنا جعفر بن محمّد من علماء آل محمّد عليه السلام فاذهب بنا إليه نقبس منه علماً فلما أتيا إذا هما بجماعة من شيعة ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث فقام الناس هيبة له، فالتفت أبو حنيفة فقال: يا بن مسلم من هذا؟ قال هذا موسى ابنه، قال: والله لأجبهته بين يدي شيعة قال: مه لن تقدّر على ذلك، قال: والله لأفعلنه ثم التفت إلى موسى عليه السلام فقال: يا غلام أين يضع الغريب حاجته في بلدكم هذه؟ قال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقّى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومسقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا

(١) سورة الزمر، الآية: ١٨.

(٢) الاحتجاج، ص ٤٥٠.

(٣) سورة طه، الآية: ١٢١.

(٤) - (٥) الاحتجاج، ص ٣٨٧.

يستدبرها، فحينئذ يضع حيث شاء، ثم قال: يا غلام ممن المعصية؟ قال: يا شيخ لا تخلو من ثلاث إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإما أن تكون من العبد ومن الله والله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء فإن شاء عفى وإن شاء عاقب. قال: فأصابت أبا حنيفة سكتة كأنما ألقم فوه الحجر، قال: فقلت له ألم أقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله ﷺ؟

وفي ذلك يقول الشاعر هذه الأبيات:

لم تخل أفعالنا اللاتي نذم بها إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إما تفرد باريها بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشئها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أولم يكن لاله في جنايتها ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيتها^(١)

فس: وأما الرد على المجبرة الذين قالوا: ليس لنا صنع ونحن مجبرون، يحدث الله لنا الفعل عند الفعل، وإنما الأفعال هي منسوبة إلى الناس على المجاز لا على الحقيقة، وتأولوا في ذلك آيات من كتاب الله ﷻ لم يعرفوا معناها، مثل قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(٣) وغير ذلك من الآيات التي تأويلها على خلاف معانيها، وفيما قالوه إبطال الثواب والعقاب، وإذا قالوا ذلك ثم أقرّوا بالثواب والعقاب نسبوا الله إلى الجور، وأنه يعذب على غير اكتساب وفعل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً أن يعاقب أحداً على غير فعل وبغير حجة واضحة عليه، والقرآن كله ردّ عليهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٤) فقوله ﷻ: ﴿لَهَا﴾ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ هو على الحقيقة لفعلها، وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٥) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره^(٦) وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾^(٧) وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ﴾^(٨)، وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(٩) وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ يعني بينا له طريق الخير وطريق الشر ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾^(٩) وقوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْتُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلْتُمْ فَبَدَّلْتُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾^(١٠)

(٢) سورة الانسان، الآية: ٣٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٦) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٨) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(١) الاحتجاج، ص ٣٨٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٥) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.

(٩) سورة الإنسان، الآية: ٣.

وَقَرَّبُوا وَيُفَرِّجُونَ وَهَمَّتْ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ثَمُوزُ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا مَسِيقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ ﴿١﴾ فلم يقل: بفعلنا ﴿٢﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣﴾ ومثله كثير (٢).

أقول: سيأتي مثل هذا الكلام بوجه أبسط في كتاب القرآن في تفسير النعماني فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣٤- يده: المفسر بإسناده إلى أبي محمد عليه السلام قال: قال الرضا عليه السلام: ما عرف الله من شبهه بخلقه، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده، الخبر (٣).

٣٥ - ن: ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان قال: كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن أفعال العباد أم مخلوقة أم غير مخلوقة؟ فكتب عليه السلام: أفعال العباد مقدرة في علم الله تعالى قبل خلق العباد بألفي عام (٤).

٣٦ - يده، ل، ن: أبو الحسن محمد بن عمرو بن علي البصري، عن علي بن الحسن الميثمي، عن علي بن مهرويه القزويني، عن أبي أحمد الغازي، عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: سمعت أبي علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: الأعمال على ثلاثة أحوال: فرائض، وفضائل، ومعاصي، فأما الفرائض فبأمر الله تعالى وبرضى الله وبقضائه وتقديره ومشيته وعلمه؛ وأما الفضائل فليست بأمر الله ولكن برضى الله وبقضائه الله وبقدر الله وبمشية الله وبعلم الله، وأما المعاصي فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله وبقدر الله وبمشية الله وبعلمه ثم يعاقب عليها (٥).

يده، ن: قال مصنف هذا الكتاب: المعاصي بقضاء الله معناه ينهي الله، لأن حكمه تعالى فيها على عباده الانتهاء عنها، ومعنى قوله: بقدر الله أي بعلم الله بمبلغها ومقدارها، ومعنى قوله: بمشيئة الله فإنه تعالى شاء أن لا يمنع العاصي إلا بالزجر والقول والنهي والتحذير، دون الجبر والمنع بالقوة، والدفع بالقدرة (٦).

٣٧ - مع، ن: ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان، عن الهروي قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: أفعال العباد مخلوقة، فقلت: يا بن رسول الله ما

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٣٨-٤٠. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤.

(٣) التوحيد، ص ٤٧ باب ٢ ح ١٠.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٣٤ باب ١١ ح ١٠.

(٥) التوحيد، ص ٣٦٩ باب ٦٠ ح ٩، والخصال، ص ١٦٨ باب الثلاثة ح ٢٢١ وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١٣٠ باب ٨ ح ٤٤. وفي الخصال: المثنى بدل الميثمي.

(٦) التوحيد، ص ٣٧٠ باب ٦٠ ح ٩.

معنى مخلوقة؟ قال: مقدرة^(١).

٣٨ - ن: ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل، عن الرضا عليه السلام فيما كتب للمأمون: من محض الإسلام أن الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلّا وسعها، وأن أفعال العباد مخلوقة لله خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كل شيء، ولا نقول بالجبر والتفويض^(٢).

٣٩ - يده: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن معروف، عن ابن أبي نجران، عن حماد بن عثمان، عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك اختلف الناس في أشياء قد كتبت بها إليك، فإن رأيت جعلت فداك أن تشرح لي جميع ما كتبت إليك، اختلف الناس - جعلت فداك - بالعراق في المعرفة والجحود، فأخبرني - جعلت فداك - أهما مخلوقتان؟ واختلفوا في القرآن فزعم قوم أن القرآن كلام الله غير مخلوق وقال آخرون: كلام الله مخلوق، وعن الاستطاعة أقبل الفعل أو مع الفعل؟ فإن أصحابنا قد اختلفوا فيه ورووا فيه، وعن الله تبارك وتعالى هل يوصف بالصورة وبالتخطيط؟ فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد، وعن الحركات أهي مخلوقة أو غير مخلوقة؟ وعن الإيمان ما هو؟.

فكتب صلى الله عليه عليه على يدي عبد الملك بن أعين: سألت عن المعرفة ماهي؟ فاعلم رحمك الله أن المعرفة من صنع الله عز وجل في القلب مخلوقة، والجحود صنع الله في القلب مخلوق، وليس للعباد فيهما من صنع، ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب، فبشهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين، وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضالّالاً، وذلك بتوفيق الله لهم، وخذلان من خذله الله، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم؛ وسألت رحمك الله عن القرآن واختلاف الناس قبلكم فإن القرآن كلام الله محدث غير مخلوق، وغير أزلي مع الله تعالى ذكره، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، كان الله عز وجل ولا شيء غير الله معروف ولا مجهول كان عز وجل ولا متكلم ولا مريد ولا متحرك ولا فاعل، جلّ وعزّ ربنا، فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث الفعل منه، جلّ وعزّ ربنا، والقرآن كلام الله غير مخلوق، فيه خبر من كان قبلكم، وخبر ما يكون بعدكم، أنزل من عند الله على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وسألت رحمك الله عن الاستطاعة للفعل فإن الله عز وجل خلق العبد وجعل له الآلة والصحة، وهي القوة التي يكون العبد بها متحركاً مستطيعاً للفعل، ولا متحرك إلّا وهو يريد الفعل، وهي صفة مضافة إلى الشهوة التي هي خلق الله عز وجل، مركبة في الإنسان فإذا تحركت الشهوة للإنسان اشتهى الشيء وأراد، فمن ثم قيل للإنسان: مريد، فإذا أراد الفعل

(١) معاني الأخبار، ص ٣٩٦ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٨١ باب ٢٨ ح ٩٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٣٢ باب ٣٥ ح ١.

وفعل كان مع الاستطاعة والحركة، فمن ثم قيل للعبد: مستطيع متحرك، فإذا كان الإنسان ساكناً غير مريد للفعل وكان معه الآلة وهي القوة والصحة اللتان بهما تكون حركات الإنسان وفعله كان سكونه لعلّة سكون الشهوة فقيل: ساكن، فوصف بالسكون فإذا اشتهى الإنسان وتحركت شهوته التي رغبته فيه انتهى الفعل وتحرك بالقوة المركبة فيه، واستعمل الآلة التي يفعل بها الفعل فيكون الفعل منه عندما تحرك واكتسبه فقيل: فاعل ومتحرك ومكتسب ومستطيع أولاً ترى أن جميع ذلك صفات يوصف بها الإنسان؟ وسألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون الله تبارك وتعالى بخلقه، المفترون على الله عز وجل، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل، فانف عن الله البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه هو الله عز وجل، الثابت، الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تعدّ القرآن فتضلّ بعد البيان، وسألت رحمك الله عن الإيمان فالإيمان هو إقرار باللسان، وعقد بالقلب، وعمل بالأركان، فالإيمان بعضه من بعض، وقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي، أو صغيرة من صفات المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان، وساقطاً عنه اسم الإيمان، وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى الإيمان، ولم يخرج به إلى الكفر والجحود والاستحلال، وإذا قال للحلال: هذا حرام، وللحرام: هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر، وكان بمنزلة رجل دخل الحرم ثم دخل الكعبة فأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار^(١).

قال الصدوق رحمته الله: كان المراد من هذا الحديث ما كان فيه من ذكر القرآن، ومعنى ما فيه أنه غير مخلوق أي غير مكذوب، ولا يعني به أنه غير محدث لأنه قد قال: محدث غير مخلوق، وغير أزلي مع الله تعالى ذكره^(٢).

بيان: قوله على يدي عبد الملك أي أرسلت الكتاب معه. قوله عليه السلام: إن المعرفة من صنع الله أي أصل المعرفة، أو كمالها من الله تعالى بعد اكتسابهم وتفكرهم فالمفيض للمعارف هو الربّ تعالى، وللتفكر والنظر والطلب مدخل فيها، وإنما يثابون ويعاقبون بفعل تلك المبادي وتركها، أو المعنى أن المعرفة ليست إلا من قبله تعالى، إما بإلقائها في قلوبهم، أو ببيان الأنبياء والحجج عليهم السلام، وإنما كلّف العباد بقبول ذلك وإقرارهم به ظاهراً وتخلية النفس قبل ذلك لطلب الحق عن العصية والعناد، وعما يوجب الحرمان عن الحق من تقليد أهل الفساد، وهذا هو المراد بالاختيار من الاكتساب.

(٢) التوحيد، ص ٢٢٩ باب ٣٠ ذيل ح ٧.

(١) التوحيد، ص ٢٢٦ باب ٣٠ ح ٧.

ثم بين عليه السلام أن لتوفيق الله وخذلانه أيضاً مدخلاً في ذلك الاكتساب أيضاً كما سيأتي تحقيقه ؛ ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مما شاة مع العامة، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى فقالوا: إن هذا إلا اختلاق، كما أشار إليه الصدوق رحمه الله . قوله: معروف ولا مجهول أي لم يكن مع الله شيء يعرفه الخلق أو يجهلونه .

٤٠- يده: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمد البرقي، عن أبي شعيب المحاملي، عن أبي سليمان الجمال، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن شيء من الاستطاعة فقال: ليست الاستطاعة من كلامي ولا من كلام آبائي .

قال الصدوق رحمه الله: يعني بذلك أنه ليس من كلامي ولا من كلام آبائي أن يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مُسْتَطِيعٌ كَمَا قَالَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ يُسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾﴾ (١) (٢) .

بيان: لعل منعه عن إطلاق الاستطاعة فيه تعالى لكونه استفعالاً من الطاعة فلا يليق إطلاقه بجنابه تعالى، أو لأن الاستطاعة إنما تطلق على القدرة المتفرعة على حصول الآلات والأدوات، والله تعالى منزّه عن ذلك، وسيأتي تحقيق معنى الخبر .

٤١- يده: أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ (٣) قال: وهم مستطيعون، يستطيعون الأخذ بما أمروا به، والترك لما نهوا عنه، وبذلك ابتلوا، قال: وسألت عن رجل مات وترك مائة ألف درهم ولم يحجّ حتى مات، هل كان يستطيع الحجّ؟ قال: نعم إنما استغنى عنه بماله وصحته (٤) .

بيان: ليس «عنه» في بعض النسخ وهو أظهر، ومع وجوده يحتمل أن يكون «عن» بمعنى «اللام» كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ﴾ ويحتمل أن يكون الاستغناء عنه كناية عن الترك، والباء بمعنى «مع» أي تركه مع وجود ماله وصحته .

٤٢- يده: بهذا الإسناد، عن ابن عيسى، عن علي بن حديد، عن جميل، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ قال: صارت أصلابهم كصياصي البقر - يعني قرونها - ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ قال: وهم سالمون، وهم مستطيعون (٥) .

(١) التوحيد، ص ٣٤٤ باب ٦٥ ح ١ . (٢) سورة المائدة، الآية: ١١٢ .

(٣) سورة الفلم، الآية: ٤٣ . (٤) التوحيد، ص ٣٤٥ باب ٥٦ هامش ح ٢ برقم أ .

(٥) التوحيد، ص ٣٤٦ باب ٥٦ هامش ح ٢ برقم ب .

٤٣ - يده: بهذا الإسناد، عن ابن عيسى، عن محمد البرقي، عن محمد بن يحيى الصيرفي عن صباح الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله زارة - وأنا حاضر - فقال: أفرأيت ما افترض الله علينا في كتابه وما نهانا عنه؟ جعلنا مستطيعين لما افترض علينا، مستطيعين لترك ما نهانا عنه؟ فقال: نعم^(١).

٤٤ - يده: بهذا الإسناد، عن ابن عيسى، عن سعيد بن جناح، عن عوف بن عبد الله الأزدي، عن عمه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: وقد فعلوا؟ فقلت: نعم زعموا أنها لا تكون إلا عند الفعل وإرادة في حال الفعل لا قبله، فقال: أشرك القوم^(٢). بيان: قوله عليه السلام: وقد فعلوا أي نفوا الاستطاعة أيضاً بعدما نفوا سائر ضروريات الدين؛ أو المعنى أنهم فعلوا الفعل باختيارهم فكيف لا يستطيعون.

٤٥ - يده: بهذا الإسناد عن ابن عيسى، عن علي بن عبد الله، عن ابن أبي عمير، عن أبي الحسن الحذاء، عن المعلّى بن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما يعنى بقوله يُذْعَنُونَ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الشُّجُورِ وَهُمْ سَلِفُونَ﴾؟ قال: وهم مستطيعون^(٣).

٤٦ - يده: ابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، ومحمد بن عبد الحميد، وابن أبي الخطاب جميعاً عن البرنظي، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يكون العبد فاعلاً ولا متحرّكاً إلا والاستطاعة معه من الله تعالى، وإنما وقع التكليف من الله تعالى بعد الاستطاعة فلا يكون مكلفاً للفعل إلا مستطيعاً^(٤).

٤٧ - يده: عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، عن أحمد بن الفضل، عن منصور بن عبد الله، عن علي بن عبد الله، عن ابن أبي الخطاب، عن محمد بن أبي الحسين، عن سهل المصيصي، عنه عليه السلام مثله^(٥).

٤٨ - يده: أبي، عن سعد، عن ابن بزيع، عن ابن أبي عمير، عن روه من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: لا يكون العبد فاعلاً إلا وهو مستطيع وقد يكون مستطيعاً غير فاعل، ولا يكون فاعلاً أبداً حتى يكون معه الاستطاعة^(٦).

٤٩ - يده: أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن عيسى، عن علي بن عبد الله عن أحمد ابن محمد البرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٧) قال: أكذبهم الله في قولهم: لو استطعنا لخرجنا معكم، وقد كانوا مستطيعين للخروج^(٨).

(١) التوحيد، ص ٣٤٧ باب ٥٦ ح ٤.

(٢) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٧.

(٣) التوحيد، ص ٣٤٥ باب ٥٦ ح ٢.

(٤) التوحيد، ص ٣٥٠ باب ٥٦ ح ١٣.

(٥) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٦.

(٦) التوحيد، ص ٣٥٠ باب ٥٦ ح ١٢.

(٧) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٨.

(٨) التوحيد، ص ٣٥٠ باب ٥٦ ح ١٣.

(٩) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٦.

(١٠) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٦.

٥٠ - يده: بهذا الإسناد، عن ابن عيسى، عن الحجاج، عن ثعلبة، عن عبد الأعلى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَنْهُمْ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) أنهم كانوا يستطيعون الخروج، وقد كان في العلم أنه لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لفعلوا^(٢).

٥١ - يده: أبي وابن الوليد، عن سعد والحميري، هما عن ابن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أمر العباد إلا بدون سعتهم، فكل شيء أمر الناس بأخذه فهم متسعون له وما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن الناس لا خير فيهم^(٣).

٥٢ - يده: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن عبيد بن زرارة، عن حمزة ابن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبني، فدخلت عليه دخلة أخرى فقلت: أصلحك الله إنه قد وقع في قلبي منها شيء لا يخرجني إلا شيء أسمع منه منك؛ قال: فإنه لا يضرّك ما كان في قلبك؛ قلت: أصلحك الله فإني أقول: إن الله تعالى لم يكلف العباد إلا ما يستطيعون وإلا ما يطيقون، فإنهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلا بإرادة الله ومشيته وقضائه وقدره، قال: هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي؛ أو كما قال.

قال الصدوق رحمته الله: مشية الله وإرادته في الطاعات الأمر بها، وفي المعاصي النهي عنها والمنع منها بالزجر والتحذير^(٤).

٥٣ - يده: العطار، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم، عن ابن بكير عن حمزة بن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لنا كلاماً نتكلم به، قال: هاته؛ قلت: نقول: إن الله تعالى أمر ونهى وكتب الآجال والآثار لكل نفس بما قدر لها وأراد وجعل فيهم من الاستطاعة لطاعته ما يعملون به ما أمرهم به وما نهاهم عنه، فإذا تركوا ذلك إلى غيره كانوا محجوجين بما صير فيهم من الاستطاعة والقوة لطاعته، فقال: هذا هو الحق إذا لم تعده إلى غيره^(٥).

٥٤ - يده: ابن الوليد، عن الصفار، عن أبي الخطاب، عن ابن أسباط قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: يستطيع العبد بعد أربع خصال: أن يكون مخلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله تعالى قال: قلت: جعلت فداك فسرّها لي، قال: أن يكون العبد مخلى السرب، صحيح الجسم سليم الجوارح، يريد

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٢.

(٢) التوحيد، ص ٣٥١ باب ٥٦ ح ١٥.

(٣) التوحيد، ص ٣٤٧ باب ٥٦ ح ٦.

(٤) التوحيد، ص ٣٤٦ باب ٥٦ ح ٣.

(٥) التوحيد، ص ٣٤٧ باب ٥٦ ح ٥.

أن يزني فلا يجد امرأة ثم يجدها، فإما أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف عليه السلام، أو يخلّي بينه وإرادته فيزني فيستمي زانياً، ولم يقطع الله بإكراهه، ولم يعص بغلبة^(١).
بيان: السبب الوارد من الله هو العصمة أو التولية.

٥٥ - يده: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه، وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون فيه آخذين ولا تاركين إلا بأذن الله عز وجل. قال الصدوق رحمته الله: يعني بعلمه^(٢).

٥٦ - يده: بهذا الإسناد، عن الحسين، عن فضالة، عن أبان، عن حمزة بن محمد الطيّر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الشُّجُورِ وَهُمْ سَائِلُونَ﴾ قال: مستطيعون يستطيعون الأخذ بما أمروا به، والترك لما نهوا عنه، وبذلك ابتلوا، ثم قال: ليس شيء مما أمروا به ونهوا عنه إلا ومن الله عز وجل فيه ابتلاء وقضاء^(٣).
سنن: ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد الحلبي مثله.

٥٧ - يده: أبي، عن سعد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كلف الله العباد كلفة فعل، ولا نهاهم عن شيء حتى جعل لهم الاستطاعة، ثم أمرهم ونهاهم فلا يكون العبد آخذاً ولا تاركاً إلا باستطاعة متقدمة قبل الأمر والنهي، وقبل الأخذ والترك، وقبل القبض والبسط^(٤).

٥٨ - يده: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يكون من العبد قبض ولا بسط إلا باستطاعة متقدمة للقبض والبسط^(٥).

٥٩ - يده: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن المحاملي، وصفوان بن يحيى معاً، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول - وعنده قوم يتناظرون في الأفاعيل والحركات - فقال: الاستطاعة قبل الفعل، لم يأمر الله عز وجل بقبض ولا بسط إلا والعبد لذلك مستطيع^(٦).

٦٠ - يده: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن مروك بن عبيد، عن عمر ورجل من أصحابنا، عن عمن سأل أبا عبد الله عليه السلام فقال له: إن لي أهل بيت قدرية يقولون: نستطيع أن نعمل كذا وكذا، ونستطيع أن لا نعمل؛ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: قل له: هل تستطيع

(١) - (٣) التوحيد، ص ٣٤٨ باب ٥٦ ح ٧ - ٩.

(٤) - (٦) التوحيد، ص ٣٥٢ باب ٥٦ ح ١٩ و ٢٠ و ٢١.

أن لا تذكر ما تكره وأن لا تنسى ما تحب؟ فإن قال: لا فقد ترك قوله، وإن قال: نعم فلا تكلمه أبداً فقد ادعى الربوبية^(١).

٦١ - يده: أبي، عن سعد، عن صالح بن أبي حماد، عن أبي خالد السجستاني، عن علي ابن يقطين، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون بالقدر، فقال لمتكلمهم: أبالله تستطيع؟ أم مع الله؟ أم من دون الله تستطيع؟ فلم يدر ما يردّ عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن زعمت أنك بالله تستطيع فليس إليك من الأمر شيء، وإن زعمت أنك مع الله تستطيع فقد زعمت أنك شريك معه في ملكه، وإن زعمت أنك من دون الله تستطيع فقد ادّعت الربوبية من دون الله تعالى؛ فقال: يا أمير المؤمنين لا بل بالله أستطيع، فقال: أما إنك لو قلت غير هذا لضربت عنقك^(٢).

بيان: لعله أراد عليه السلام بقوله: بالله تستطيع أن الله يجبره على الفعل، فلذا قال: فليس إليك من الأمر شيء، ولما نفى المتكلم الثلاثة وقال: بالله أستطيع علم أن مراده أني أستطيع قادر بما ملّكني الله من الأسباب والآلات، فلذا لم يردّ عليه السلام كلامه وقبل منه، ويحتمل على بعد أن يكون اختار الشق الأول، فقوله عليه السلام: ليس إليك من الأمر شيء أي لا تستقلّ في الفعل بأن تقدر على تحصيل جميع ما يتوقّف عليه الفعل، والحاصل أنه لما كان قدرياً تفويضياً قال عليه السلام: إن اخترت هذا فقد أقررت ببطلان ما تعتقده من استقلال العبد ولا بدّ لك من اختياره.

٦٢ - ن، يده: تميم القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن علي، عن الهروي قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قوله الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(٣) فقال: إن غطاء العين لا يمنع من الذكر، والذكر لا يرى بالعيون، ولكن الله شبه الكافرين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام بالعميان لأنهم كانوا يستقلون قول النبي صلى الله عليه وآله فيه، وكانوا لا يستطيعون سمعاً، فقال المأمون: فرّجت عني فرج الله عنك^(٤).

٦٣ - ف: كتب الحسن البصري إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: أمّا بعد فإنكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللّجج الغامرة، والأعلام النيرة الشاهرة، أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون، كتبت إليك يا بن رسول الله عند اختلافنا في القدر، وحيرتنا في الاستطاعة، فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك عليهم السلام، فإن من علم الله علمكم، وأنتم شهداء على الناس، والله الشاهد عليكم، ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم.

(١) - (٢) التوحيد، ص ٣٥٢ باب ٥٦ ح ٢٢ و ٢٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠١.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٢٤ باب ١١ ح ٣٣ والتوحيد، ص ٣٥٣ باب ٥٦ ح ٢٥.

فأجابه الحسن عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم وصل إليّ كتابك، ولولا ما ذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذا ما أخبرتك، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أن الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إن الله لم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يهمل العباد سدى من المملكة، بل هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخيراً، ونهاهم تحذيراً، فإن ائتمروا للطاعة لم يجدوا عنها صاداً، وإن انتهوا إلى المعصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً، ولا ألزموها كرهاً، بل منّ عليهم بأن بصرهم وعرفهم وحذرهم وأمرهم ونهاهم، لا جبلاً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه، والله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين. والسلام على من اتبع الهدى^(١).

أقول: سيأتي في كتاب الاحتجاجات بسند آخر أبسط من هذا.

٦٤ - سنن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد^(٢).

٦٥ - سنن أبي، عن حماد، عن الحسين بن المختار، عن حمزة بن حران قال: قلت له: إنا نقول: إن الله لم يكلف العباد إلا ما آتاهم، وكل شيء لا يطيقونه فهو عنهم موضوع، ولا يكون إلا ما شاء الله وقضى وقدر وأراد؛ فقال: والله إن هذا لديني ودين آبائي^(٣).

٦٦ - سنن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كلف الله العباد إلا ما يطيقون، وإنما كلفهم في اليوم والليلة خمس صلوات، وكلفهم من كل مائتي درهم خمسة دراهم، وكلفهم صيام شهر رمضان في السنة، وكلفهم حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك، وإنما كلفهم دون ما يطيقون ونحو هذا^(٤).

٦٧ - سنن أبي، عن العباس بن عامر، عن محمد بن يحيى الخثعمي، عن عبد الرحيم القصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله حفص الأعور - وأنا أسمع - : جعلني الله فداك قول الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٥) قال: ذلك القوة في المال أو اليسار، قال: فإن كانوا موسرين فهم ممن يستطيع إليه السبيل؟ قال: نعم، فقال له ابن سيابة: بلغنا عن أبي جعفر عليه السلام أنه كان يقول: يكتب وفد الحاج؛ فقطع كلامه فقال: كان أبي يقول: يكتبون في الليلة التي قال الله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٦) قال: فإن لم يكتب في تلك الليلة يستطيع الحج؟ قال: لا معاذ الله، فتكلم حفص فقال: لست من خصومتكم في شيء، هكذا الأمر^(٧).

(٢) - (٤) المحاسن، ص ٢٩٦.

(٦) سورة الدخان، الآية: ٦.

(١) تحف العقول، ص ١٦٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٧) المحاسن، ص ٤٩٥.

٦٨ - ضاء: أروي أن رجلاً سأل العالم عليه السلام فقال: يا بن رسول الله أليس أنا مستطيع لما كلفت؟ فقال له عليه السلام: ما الاستطاعة عندك؟ قال: القوة على العمل، قال له عليه السلام: قد أعطيت القوة إن أعطيت المعونة، قال له الرجل: فما المعونة؟ قال: التوفيق؛ قال: فلم إعطاء التوفيق؟ قال: لو كنت موثقاً كنت عاملاً، وقد يكون الكافر أقوى منك ولا يعطى التوفيق فلا يكون عاملاً.

ثم قال عليه السلام: أخبرني عنك من خلق فيك القوة؟ قال الرجل: الله تبارك وتعالى، قال العالم: هل تستطيع بتلك القوة دفع الضر عن نفسك وأخذ النفع إليها بغير العون من الله تبارك وتعالى؟ قال: لا، قال: فلم تتحل ما لا تقدر عليه؟! ثم قال: أين أنت عن قول العبد الصالح: «وما توفيقى إلا بالله»^(١).

٦٩ - وأروي أن رجلاً سأل عن الاستطاعة، فقال: أتستطيع أن تعمل ما لم يكن؟ قال: لا، قال: أتستطيع أن تنتهي عما يكون؟ قال: لا، قال: ففيما أنت مستطيع؟ قال الرجل: لا أدري! فقال العالم عليه السلام: إن الله عز وجل خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الفعل، ثم لم يفوض إليهم، فهم مستطيعون للفعل في وقت الفعل مع الفعل. قال له الرجل: فالعباد مجبورون؟ فقال: لو كانوا مجبورين كانوا معذورين. قال الرجل: ففوض إليهم؟ قال: لا. قال: فما هو؟ قال العالم عليه السلام: علم منهم فعلاً فجعل فيهم آلة الفعل، فإذا فعلوا كانوا مستطيعين^(٢). بيان: ما ورد في هذا الخبر من عدم تقدم الاستطاعة على الفعل موافقاً لأخبار أوردها الكليني في ذلك يحتمل وجوهاً:

الأول: التقيّة لموافقته لما ذهب إليه الأشاعرة من أن للعبد قدرة وكسباً، مقارنة للفعل، غير مؤثرة فيه، ولمخالفته لما سبق من الأخبار الكثيرة الدالة على تقدم الاستطاعة وأن من لا يقول به فهو مشرك.

الثاني: أن يكون المراد بالاستطاعة في أمثال هذا الخبر الاستقلال بالفعل، بحيث لا يمكن أن يمنعه عنه مانع، ولا يكون هذا إلا في حال الفعل إذ يمكن قبل الفعل أن يزيله الله عن الفعل ولو بإعدامه وإزالة عقله، أو شيء آخر ممّا يتوقف عليه الفعل.

الثالث: أن يكون المعنى أن في حال الفعل يظهر الاستطاعة ويعلم أنه كان مستطيعاً قبله، بأن أذن الله له في الفعل، كما ورد أن بعد القضاء لا بداء؛ والأول أظهر.

جاء علي بن مالك النحوي، عن محمد بن الفضل، عن محمد بن أحمد الكاتب، عن يموت بن المزروع، عن عيسى بن إسماعيل، عن الأصمعي، عن عيسى بن عمر قال: كان ذو

(١) الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٥١.

(٢) الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٥٢.

الرمة الشاعر يذهب إلى النفي في الأفعال، وكان رؤية بن العجاج إلى الإثبات فيها، فاجتمعا في يوم من أيامهما عند بلال بن أبي بردة - وهو والي البصرة - وبلال يعرف ما بينهما من الخلاف، فحضهما على المناظرة فقال رؤية: والله ما يفحص طائر أفحوصاً ولا يقرمص سبع قرموصاً إلا كان ذلك بقضاء الله وقدره، فقال له ذو الرمة:

والله ما أذن الله للذئب أن يأخذ حلوبة عالية عيايل ضرايك، فقال له رؤية: أفبمشيته أخذها؟ أم بمشيته الله؟ فقال ذو الرمة: بل بمشيته وإرادته، فقال رؤية: هذا والله الكذب على الذئب! فقال ذو الرمة: والله الكذب على الذئب أهون من الكذب على رب الذئب! فقال: وأنشدني أبو الحسن علي بن مالك النحوي في أثر هذا الحديث لمحمود الوراق:

أعاذل لم آت الذنوب على جهل ولا أتتها من فعل غيري ولا فعلي
ولا جرأة مني على الله جثتها ولا أن جهلي لا يحيط به عقلي
ولكن بحسن الظن مني بعفو من تفرد بالصنع الجميل وبالفصل
فإن صدق الظن الذي قد ظننته ففي فضله ما صدق الظن من مثلي
وإن نالني منه العقاب فإنما أتيت من الانصاف في الحكم والعدل^(١)

أقول: روى السيد المرتضى في الغرر هذا الخبر بسند آخر عن أبي عبدة.

بيان: قال الجزري: أفحوص القطاة: موضعها الذي تجثم فيه وتبيض كأنها تفحص عنه التراب أي تكشفه، والفحص: البحث والكشف. وقال في مناظرة ذي الرمة ورؤية: ما تقرمص سبع قرموصاً إلا بقضاء؛ القرموص: حفرة يحفرها الرجل يكتن فيها من البرد، يأوي إليها الصيد، وهي واسعة الجوف ضيقة الرأس، وقرمص وتقرمص: إذا دخلها، وتقرمص السبع: إذا دخلها للاصطياد.

وقال في قصة ذي الرمة ورؤية: عالية ضرائك الضرائك جمع ضريك، وهو الفقير سيئ الحال، وقيل: الهزيل.

وقال السيد في الغرر: العيايل جمع عيل، وهو ذو العيال، والضرائك جمع ضريك وهو الفقير. وفي رواية السيد: هذا كذب على الذئب ثان، فالمعنى أنه كذب ثان على الذئب بعدما كذب عليه في قصة يوسف.

٧٠ - كش: حمدويه وإبراهيم ابنا نصير، عن العبيدي، عن هشام بن إبراهيم المشرقي قال: قال لي أبو الحسن الخراساني: كيف تقولون في الاستطاعة بعد يونس؟ فذهب فيها مذهب زرارة ومذهب زرارة هو الخطأ؛ فقلت: لا ولكنه - بأبي أنت وأمي - ما يقول زرارة في الاستطاعة، وقول زرارة هم قدر، ونحن منه برآء، وليس من دين آبائك، قال: فبأي شيء تقولون؟ قلت: بقول أبي عبد الله عليه السلام وسئل عن قول الله عز وجل **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**

مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا^(١) ما استطاعته؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: صحته وماله، فنحن بقول أبي عبد الله عليه السلام نأخذ، قال: صدق أبو عبد الله عليه السلام هذا هو الحق^(٢).

بيان: قوله: ما يقول زرارة في الاستطاعة وقول زرارة فيمن قدر كذا في بعض النسخ، فلعل المعنى أن زرارة لا يقول بالاستطاعة، بل إنما يقول بها فيمن قدر على الفعل بإذنه وتوفيقه تعالى، ونحن من القول بالاستطاعة المحضة برآء، فكلمة «ما» نافية، ويحتمل أن يكون استفهاماً للأنكار والتحقيق أي شيء قول زرارة فنقول به؟ ثم بين أنه قوله بالاستطاعة فيمن قدر على الفعل، وفي أكثر النسخ «هم قدر» فيحتمل الوجه الثاني، ويكون قدر بضم القاف وتشديد الدال جمع قادر أي يقول: هم قادرون بالاستقلال. وفي بعض النسخ «قدر» بالذال المعجمة، وربما قرأ قوم زرارة، وقد يقرأ هيم قدر، والهيم بالكسر الإبل العطاش، وأثر التصحيف والتحريف فيه ظاهر.

٧١ - **كش:** محمد بن قولويه، عن محمد بن أبي القاسم ماجيلويه، عن زياد بن أبي الحلّال قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً فقبلنا منه وصدقناه وقد أحبيت أن أعرضه عليك، فقال: هاته، فقلت: زعم أنه سألك عن قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فقلت: من ملك زاداً وراحلة؟ فقال: كل من ملك زاداً وراحلة فهو مستطيع للحج وإن لم يحج؟ فقلت: نعم. فقال: ليس هكذا سألتني ولا هكذا قلت، كذب عليّ والله، كذب عليّ والله لعن الله زرارة! لعن الله زرارة! إنما قال لي: من كان له زاد وراحلة فهو مستطيع للحج؟ قلت: وقد وجب عليه، قال: فمستطيع هو؟ قلت: لا حتى يؤذن له. قلت: فأخبر زرارة بذلك؟ قال: نعم. قال زياد: فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبد الله عليه السلام وسكت عن لعنه، قال: أما إنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، وصاحبكم هذا ليس له بصيرة بكلام الرجال^(٣).

٧٢ - **كش:** محمد بن مسعود، عن محمد بن عيسى، عن حريز، قال: خرجت إلى فارس، وخرج معنا محمد الحلبي إلى مكة، فاتفق قدومنا جميعاً إلى حنين، فسألت الحلبي فقلت له: أطرفنا بشيء.

قال: نعم جنتك بما تكره، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في الاستطاعة؟ فقال: ليس من ديني ولا من دين آبائي، فقلت: الآن تلج عن صدري والله لا أعود لهم مريضاً، ولا أشيع لم جنازة، ولا أعطيهم شيئاً من زكاة مالي. قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً وقال لي: كيف قلت؟ فأعدت عليه الكلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي عليه السلام يقول: أولئك قوم حرّم الله وجوههم على النار، فقلت: جعلت فداك وكيف قلت لي: ليس من ديني ولا من دين آبائي؟ قال: إنما أعني بذلك قول زرارة وأشباهه^(٤).

(٢) رجال الكشي، ص ٣٥٧.

(٤) رجال الكشي، ص ٣٦٥.

(١) سورة الحج، الآية: ٩٧.

(٣) رجال الكشي، ص ٣٥٩.

بيان: قوله: لا أعود لهم مريضاً أي للقائلين بالاستطاعة من الشيعة فعرف عليه السلام أن مراده مطلق القائلين بالاستطاعة، فرد عليه بأن ما نفите هو ما ينسب إلى زرارة موافقاً لمذهب التفويض، بل الحق الأمر بين الأمرين كما مر، وهذا هو معنى الخبر، لا ما حمله عليه الصدوق رحمته الله سابقاً.

٧٣ - يف: روى جماعة من علماء الإسلام، عن نبيهم عليه السلام أنه قال: لعنت القدرة على لسان سبعين نبياً؛ قيل: ومن القدرة يا رسول الله؟ فقال: قوم يزعمون أن الله سبحانه قدر عليهم المعاصي وعذبهم عليها^(١).

٧٤ - وروى صاحب الفائق وغيره من علماء الإسلام، عن محمد بن علي المكي بإسناده قال: إن رجلاً قدم على النبي عليه السلام فقال له رسول الله عليه السلام: أخبرني بأعجب شيء رأيت، قال رأيت قوماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم فإذا قيل لهم: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: قضاء الله تعالى علينا وقدره؛ فقال النبي عليه السلام: سيكون من أمتي أقوام يقولون مثل مقالتهم، أولئك مجوس أمتي^(٢).

٧٥ - وروى صاحب الفائق وغيره، عن جابر بن عبد الله، عن النبي عليه السلام أنه قال: يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي، ويقولون: إن الله قد قدرها عليهم، الراد عليهم كشاهر سيفه في سبيل الله^(٣).

٧٦ - كش: محمد بن مسعود، عن عبد الله بن محمد بن خالد، عن الوشاء، عن ابن خدّاش، عن علي بن إسماعيل، عن ربعي، عن الهيثم بن حفص العطار، عن حمزة بن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يقول زرارة: إن الله تعالى لم يكلف العباد إلا ما يطيقون، وإنهم لم يعملوا إلا إن يشاء الله ويريد ويقضي، قال: هو والله الحق، ودخل علينا صاحب الزطّي، فقال له: يا ميسر ألت على هذا؟ قال: على أي شيء أصلحك الله؟ - أو جعلت فداك - قال: فأعاد هذا القول عليه كما قلت له، ثم قال: هذا والله ديني ودين آبائي^(٤).

٧٧ - كش: علي بن الحسين بن قتيبة، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن الوليد بن صبيح قال: مررت في الروضة بالمدينة فإذا إنسان قد جذبني، فالتفت فإذا أنا بزرارة فقال لي: استأذن لي على صاحبك، قال: فخرجت من المسجد ودخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته الخبر، فضرب يده على لحيته، ثم قال: لا تأذن له - ثلاثاً - فإن زرارة يريدني على القدر على كبر السن، وليس من ديني ولا دين آبائي^(٥).

(١) - (٣) الطوائف إلى معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ج ٢ ص ٣٥.

(٤) رجال الكشي، ص ٣٥٨. (٥) رجال الكشي، ص ٣٨٠.

٧٨- ما: الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم، عن الحسن بن علي الزعفراني، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: - في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَفْلُوءَةٌ﴾ ^(١) - فقال: كانوا يقولون: قد فرغ من الأمر ^(٢).

٧٩- يد: علي بن أحمد الأسواري، عن مكّي بن أحمد البردعي، عن محمد بن القاسم ابن عبد الرحمن، عن محمد بن أشرس، عن بشير بن الحكم، وإبراهيم بن أبي نصر، عن عبد الملك بن هارون، عن غياث بن المجيب، عن الحسن البصري، عن عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال: سبق العلم، وجفت القلم، وتم القضاء بتحقيق الكتاب وتصديق الرسالة، والسعادة من الله، والشقاوة من الله ﷺ، قال عبد الله بن عمر: إن رسول الله ﷺ كان يروي حديثه عن الله ﷻ، قال: قال الله: يا بن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبعصمتي وعفوي وعافيتي أدت إلي فرائضي، فأنا أولى بإحسانك منك، وأنت أولى بذنبك مني، فالخير مني إليك بما أوليت بدا ^(٣)، والشر مني إليك ما جنيت جزاء، ويسوء ظنك بي قنطت من رحمتي، فلي الحمد والحمّة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء الحسن عني بالإحسان، لم أدع تحذيرك، ولم أخذل عند عزتك، ولم أكلّفك فوق طاقتك، ولم أحملك من الأمانة إلا ما قدرت عليه، رضيت منك لنفسي ما رضيت به لنفسك مني. قال عبد الملك: لن أعذبك إلا بما عملت ^(٤).

بيان: قال الجزري فيه: جفت الأقلام، وطويت الصحف، يريد ما كتب في اللوح المحفوظ من المقادير والكائنات والفراغ منها تمثيلاً بفراغ الكاتب من كتابته ويس قلمه انتهى. قوله تعالى: بدأ كفعّل أو كفعال أي ابتداء من غير استحقاق، وفي بعض النسخ يبدأ أي نعمة.

أقول: قول عبد الملك بن هارون في آخر الخبر تفسير للفقرة الأخيرة أي رضيت بسبيك، أو من الأمور المتعلقة بك لنفسي، أن أعذبك كما رضيت لنفسك بفعل ما يوجهه فيرجع حاصله إلى أنه لن أعذبك إلا بما عملت.

٨٠- يد: تميم القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن الهروي قال: سأل المأمون يوماً علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال له: يا بن رسول الله ما معنى قول الله ﷻ:

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤. (٢) أمالي الطوسي، ص ٦٦١ مجلس ٣٥ ح ١٣٧٤.

(٣) في المصدر: بدء.

(٤) التوحيد، ص ٣٤٠ باب ٥٥ ح ١٠ وفيه: ولم أخذك عند عزتك.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١) وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (٢) فقال الرضا عليه السلام : حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أن المسلمين قالوا لرسول الله ﷺ : لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثير عددنا وقوينا على عدونا ؛ فقال رسول الله ﷺ : ما كنت لألقى الله ﷻ ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئاً وما أنا من المتكلفين . فأنزل الله تبارك وتعالى : يا محمد ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا، كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً لكنتي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين، ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد، ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وأما قوله ﷺ : ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله، وإذنه أمره لها بالإيمان، ما كانت مكلفة متعبدة وإلجاؤه إياها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبد عنها، فقال المأمون : فرجت عني يا أبا الحسن فرج الله عنك (٢) .

بيان قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ : معناه الإخبار عن قدرة الله تعالى، وأنه يقدر على أن يكره الخلق على الإيمان كما قال : ﴿إِنْ شَاءَ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (٣) ولذلك قال بعد ذلك : ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ومعناه أنه لا ينبغي أن تريد إكراههم على الإيمان، مع أنك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريد له لأنه ينافي التكليف ؛ وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ معناه أنه لا يمكن أحداً أن يؤمن إلا بإطلاق الله له في الإيمان، وتمكينه منه، ودعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك ؛ وقيل : إن إذنه ههنا أمره كما قال : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ (٤) وقيل : إن إذنه ههنا علمه، أي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله، من قولهم : أذنت لكذا : إذا سمعته وعلمته، وأذنته : أعلمته، فتكون خبراً عن علمه تعالى بجميع الكائنات، ويجوز أن يكون معناه إعلام الله تعالى المكلفين بفضل الإيمان وما يدعوهم إلى فعله ويبعثهم عليه (٥) .

٨١ - يده : أبي وابن الوليد معاً، عن محمد العطار وأحمد بن إدريس، هما عن الأشعري، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن درست، عن الفضيل قال : سمعت أبا

(١) سورة يونس، الآية ٩٩ و ١٠٠ . (٢) التوحيد، ص ٣٤١ باب ٥٥ ح ١١ .

(٣) سورة الشعراء، الآية : ٤ . (٤) سورة النساء، الآية : ١٧٠ .

(٥) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٣٢ .

عبد الله ﷺ يقول: شاء الله أن أكون مستطيعاً لما لم يشأ أن أكون فاعله؛ قال: وسمعتة يقول: شاء وأراد ولم يحب ولم يرض، شاء أن لا يكون في ملكه شيء إلا بعلمه وأراد مثل ذلك، ولم يحب أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر^(١).

٨٢ - يده: ابن المتوكل، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن أبيه، عن يونس، عن غير واحد، عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ قالا: إن الله عز وجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون، قال: فستلا ﷺ: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: نعم أوسع ممّا بين السماء والأرض^(٢).

٨٣ - يده: الرزاق، عن سعد عن إسماعيل بن سهل، عن عثمان بن عيسى، عن محمد بن عجلان قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: فوض الله الأمر إلى العباد؟ قال: الله أكرم من أن يفوض إليهم؛ قلت: فأجبر الله العباد على أفعالهم؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثم يعذبه عليه^(٣).

٨٤ - يده: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن الله عز وجل خلق الخلق فعلم ما هم صاثرون إليه، وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذن الله^(٤).

٨٥ - يده: أبي، عن علي بن إبراهيم، عن اليقطيني، عن يونس، عن حفص بن قرط، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من زعم أن الله تعالى يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم أن الخير والشرّ بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار. يعني بالخير والشرّ الصّحة والمرض، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً﴾^(٥) (٦).

٨٦ - نهج: سئل ﷺ عن التوحيد والعدل، فقال: التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه^(٧).

٨٧ - يده: ابن الوليد، عن ابن ميثل، عن البرقي، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله ﷺ قال: الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد^(٨).

٨٨ - ن، يده: الفامي، عن الحميري، عن أبيه، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن

(١) التوحيد، ص ٣٤٣ باب ٥٥ ح ١٢.
(٢) التوحيد، ص ٣٦١ باب ٥٩ ح ٦.
(٣) التوحيد، ص ٣٥٩ باب ٥٩ ح ١.
(٤) التوحيد، ص ٣٥٩ باب ٥٩ ح ٢.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٦) التوحيد، ص ٣٦٠ باب ٥٩ ح ٤.
(٧) نهج البلاغة قصار الحكم.
(٨) التوحيد، ص ٣٦٠ باب ٥٩ ح ٤.

الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : قلت له : يا بن رسول الله إنَّ الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمة عليهم السلام ، فقال : يا بن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك ؟ فقلت : بل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر، قال عليه السلام : فليقولوا : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه والجبر إذا ؛ قلت له : إنَّهم يقولون : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً وإنما روي عليه ؛ قال عليه السلام : فليقولوا في آبائي عليهم السلام : إنَّهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روي عليهم . ثمَّ قال عليه السلام : من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر ومشرك ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة ، يا بن خالد إنَّما وضع الأخبار عتاً في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغَّروا عظمة الله ، فمن أحبَّهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبَّنا ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برَّنا ، ومن برَّهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردَّنا ، ومن ردَّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدَّقهم فقد كذَّبنا ، ومن كذَّبهم فقد صدَّقنا ، ومن أعطاهم فقد حرَمنا ، ومن حرَمهم فقد أعطانا . يا بن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذنَّ منهم ولياً ولا نصيراً^(١) .

٨٩ - يده : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعري ، عن أبي عبد الله الرازي ، عن اللؤلؤي ، عن ابن سنان ، عن مهزم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أخبرني عمَّا اختلف فيه من خلَّفت من موالي ، قال : فقلت : في الجبر والتفويض ، قال : فاسألني ، قلت أجبر الله العباد على المعاصي ؟ قال : الله أقهر لهم من ذلك ، قال : قلت : ففَوْضَ إليهم ؟ قال : الله أقدر عليهم من ذلك ، قال : قلت : فأَيُّ شيء هذا أصلحك الله ؟ قال فقلَّبت يده مرَّتين أو ثلاثاً ثمَّ قال : لو أجبتك فيه لكفرت^(٢) .

بيان قوله عليه السلام : الله أقهر لهم من ذلك لعلَّ المعنى أنَّ جبرهم على المعاصي ثمَّ تعذيبهم عليها هو الظلم ، والظلم فعل العاجزين ، كما قال سيّد الساجدين عليه السلام : إنَّما يحتاج إلى الظلم الضعيف والله أقهر من ذلك . أو المعنى أنَّه تعالى لو أراد تعذيبهم ولم يمنعه عدله من ذلك لما احتاج إلى أن يكلفهم ثمَّ يجبرهم على المعاصي ثمَّ يعذبهم عليها ، فإنَّ هذا تلبيس يفعلُه من لا يقدر على التعذيب ابتداءً ، وهو أقهر لهم من ذلك ، والظاهر أنَّه تصحيف أراف أو نحوه ؛ وإنَّما امتنع عليه السلام عن بيان الأمر بين الأمرين لأنَّه كان يعلم أنَّه لا يدركه عقل السائل فيشكُّ فيه أو يجحده فيكفر .

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ، ج ١ ص ١٣٠ باب ١١ ح ٤٥ والتوحيد ص ٣٦٣ باب ٥٩ ح ١٢ .

(٢) التوحيد ، ص ٣٦٣ باب ٥٩ ح ١١ .

٩٠ - ضاء: سألت العالم عليه السلام: أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال: الله أعدل من ذلك؛ فقلت له: فمفوض إليهم؟ فقال: هو أعز من ذلك، فقلت له: فصف لنا المنزلة بين المنزلتين، فقال: الجبر هو الكره، فالله تبارك وتعالى لم يكره على معصيته، وإنما الجبر أن يجبر الرجل على ما يكره وعلى ما لا يشتهي، كالرجل يغلب على أن يضرب أو يقطع يده، أو يؤخذ ماله، أو يغصب على حرمة، أو من كانت له قوة ومنعة فقهر، فأما من أتى إلى أمر طائعا محبا له يعطى عليه ما له لينال شهوته فليس ذلك بجبر، وإنما الجبر من أكرهه عليه، أو اغضب حتى فعل ما لا يريد ولا يشتهي، وذلك أن الله تبارك وتعالى لم يجعل لهم هوى ولا شهوة ولا محبة ولا مشية إلا فيما علم أنه كان منهم، وإنما يجرون في علمه وقضائه وقدره على الذي في علمه وكتابه السابق فيهم قبل خلقهم، والذي علم أنه غير كائن منهم هو الذي لم يجعل لهم فيه شهوة ولا إرادة^(١).

٩١ - وأروي عن العالم عليه السلام: أنه قال: منزلة بين منزلتين في المعاصي وسائر الأشياء، فالله عز وجل الفاعل لها والقاضي والمقدر والمدبر^(٢).

٩٢ - وقد أروي أنه قال: لا يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه^(٣).

٩٣ - وأروي عن العالم عليه السلام: أنه قال: مساكين القدرة أرادوا أن يصفوا الله عز وجل بعدله فأخرجوه من قدرته وسلطانه^(٤).

٩٤ - وروي: لو أراد الله سبحانه أن لا يعصى ما خلق إبليس^(٥).

٩٥ - وأروي أن رجلا سأل العالم عليه السلام: أكلف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال: كلف الله جميع الخلق ما لا يطيقون إن لم يعنهم عليه، فإن أعانهم عليه أطاقوه، قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

٩٦ - قلت: ورويت عن العالم عليه السلام: أنه قال: القدر والعمل بمرتبة الروح والجسد، فالروح بغير الجسد لا يتحرك ولا يرى، والجسد بغير الروح صورة لا حراك له فإذا اجتمعا قويا وصلحا وحسنا وملحا، كذلك القدر والعمل، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم، ولكن باجتماعهما قويا وصلحا والله فيه العون لعباده الصالحين. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٦) الآية، ثم قال عليه السلام: وجدت ابن آدم بين الله وبين الشيطان، فإن أحبه الله تقدست أسماؤه خلصه واستخلصه، وإلا خلى بينه وبين عدوه^(٧).

(١) - (٥) الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ٧. (٧) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٣٤٩.

٩٧ - وقيل للعالم عليه السلام : إن بعض أصحابنا يقول بالجبر وبعضهم يقولون بالاستطاعة، قال : فأمر أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال الله ﷻ : يا بن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء . وساق إلى آخر ما سيأتي في خبر البرزنجي ^(١) .

٩٨ - شيء : عن الحسن بن محمد الجمال ، عن بعض أصحابنا قال : بعث عبد الملك ابن مروان إلى عامل المدينة أن وجه إلي محمد بن علي بن الحسين ولا تهيجه ولا تروعه ، واقض له حوائجه ، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدرية فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً ، فقال : ما لهذا إلا محمد بن علي ، فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمد بن علي إليه ، فأتاه صاحب المدينة بكتابه ، فقال أبو جعفر عليه السلام : إني شيخ كبير لا أقوى على الخروج ، وهذا جعفر ابني يقوم مقامي فوجهه إليه ، فلما قدم على الأموي أزره لصغره ، وكره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه ، وتسامع الناس بالشام بقدم جعفر لمخاصمة القدرية ، فلما كان من الغد اجتمع الناس بخصوصتهما ، فقال الأموي لأبي عبد الله عليه السلام : إنه قد أعيانا أمر هذا القدري ، وإنما كتبت إليه لأجمع بينه وبينه ، فإنه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه ، فقال : إن الله يكفيناه ، قال : فلما اجتمعوا قال القدري لأبي عبد الله عليه السلام : سل عما شئت فقال له : اقرأ سورة الحمد ، قال : فقرأها ، وقال الأموي - وأنا معه - : ما في سورة الحمد غلبنا ، إنا لله وإنا إليه راجعون قال : فجعل القدري يقرأ سورة الحمد حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال له جعفر : قف ؛ من تستعين ؟ وما حاجتك إلى المؤونة ؟ إن الأمر إليك فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين ^(٢) .

٩٩ - شيء : عن صفوان بن يحيى ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى : ابن آدم : بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء وتقول ، ويقوتني أذيت إلي فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وذاك أني أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني ، وذاك أني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون ^(٣) .

١٠٠ - وفي رواية الحسن بن علي الوشاء ، عن الرضا عليه السلام : وأنت أولى بسيئاتك مني ، عملت المعاصي بقوتي التي جعلت فيك ^(٤) .

١٠١ - شيء : عن ابن مسكان ، عن رواه ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٥) فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنك لتسأل عن كلام أهل القدر وما هو من ديني ولا دين آبائي ، ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به ^(٦) .

(١) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٣٤٩ .

(٢) تفسير العياشي ، ج ١ ص ٣٧ ح ٢٤ وفيه : علينا بدل غلبنا .

(٣) تفسير العياشي ، ج ١ ص ٢٨٥ ح ٢٠٠ . (٤) تفسير العياشي ، ج ١ ص ٢٨٥ ح ٢٠١ .

(٥) سورة النساء ، الآية : ٨٣ . (٦) تفسير العياشي ، ج ١ ص ٢٨٧ ح ٢١٠ .

١٠٢ - شيء: عن الحسن بن علي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ويح هذه القدرة إنما يقرؤون هذه الآية: ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَهَا مِنَ الْغَيْرِ﴾ ^(١) ويحهم من قدرها إلا الله تبارك وتعالى ^(٢)؟

١٠٣ - من كتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحة البيهقي، بإسناده عن الشافعي عن يحيى بن سليم، عن الإمام جعفر بن محمد، عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، عن الجميع عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال يوماً: أعجب ما في الإنسان قلبه فيه مواد من الحكمة وأضداد لها من خلافها، فإن سنع له الرجاء وله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحزن، وإن أصابته مصيبة قصمه الجزع، وإن وجد مالا أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة شغله البلاء، وإن أجهدته الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد. فقام إليه رجل ممن شهد وقعة الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر، فقال: بحر عميق فلا تلجه؛ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؛ فقال: بيت مظلم فلا تدخله. فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؛ فقال: سر الله فلا تبحث عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر، فقال: لما آتت فإنه أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض. فقال يا أمير المؤمنين إن فلاناً يقول بالاستطاعة وهو حاضر، فقال علي عليه السلام: علي به، فأقاموه فلما رآه قال له: الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله؟ وإياك أن تقول واحدة منهما فترتد، فقال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: قل: أملكها بالله الذي أنشأ ملكتها.

١٠٤ - ب: ابن حكيم، عن البزنطي قال: قلت للرضا عليه السلام إن أصحابنا بعضهم يقول بالجبر، وبعضهم يقول بالاستطاعة، فقال لي: اكتب قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتي أديت إلي فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سمياً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك أنني أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، وذلك أنني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون، فقد نظمت لك كل شيء تريد ^(٣).

يد، ن: أبي وابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطي مثله ^(٤).

١٠٥ - أعلام الدين للديلمى: روي أن طاووس اليماني دخل على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان يعلم أنه يقول بالقدر، فقال له: يا طاووس من أقبل للعذر من الله ممن اعتذر وهو صادق في اعتذاره؟ فقال له: لا أحد أقبل للعذر منه، فقال له: من أصدق ممن

(١) سورة النمل، الآية: ٥٧.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦ ح ٥٧.

(٣) قرب الاسناد، ص ٣٤٧ ح ١٢٥٧.

(٤) التوحيد ص ٣٣٨ باب ٥٥ ح ٦.

قال: لا أقدر وهو لا يقدر؟ فقال طاووس: لا أحد أصدق منه، فقال الصادق عليه السلام له: يا طاووس فما بال من هو أقبل للعذر لا يقبل عذر من قال: لا أقدر وهو لا يقدر؟ فقام طاووس وهو يقول: لس بيني وبين الحق عداوة، الله أعلم حيث يجعل رسالته، فقد قبلت نصيحتك^(١).

١٠٦ - وقال الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم: ألا أعطيك جملة في العدل والتوحيد؟ قال: بلى جعلت فداك، قال: من العدل أن لا تتهمه، ومن التوحيد أن لا تتوهمه^(٢).

١٠٧ - يف: روى كثير من المسلمين عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال يوماً لبعض المجبرة: هل يكون أحد أقبل للعذر الصحيح من الله؟ فقال: لا، فقال: فما تقول فيمن قال ما أقدر وهو لا يقدر؟ أيكون معذوراً أم لا؟ فقال المجبر: يكون معذوراً، قال له: فإذا كان الله يعلم من عباده أنهم ما قدروا على طاعته وقال لسان حالهم أو مقالهم يوم القيامة: يارب ما قدرنا على طاعتك لأنك منعتنا منها أما يكون قولهم وعذرهم صحيحاً على قول المجبرة؟ فقال: بلى والله فقال: فيجب على قولك أن الله يقبل هذا العذر الصحيح ولا يؤاخذ أحداً أبداً وهذا خلاف قول أهل الملل كلهم. فتاب المجبر من قوله بالجبر في الحال^(٣).

١٠٨ - يف: روي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري وإلى عمرو بن عبيد وإلى واصل بن عطا وإلى عامر الشعبي أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر، فكتب إليه الحسن البصري: إن أحسن ما انتهى إلي ما سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: أتظن أن الذي نهاك دهاك؟ وإنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذلك. وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لو كان الوزر في الأصل محتوماً كان الموزور في القصاص مظلوماً. وكتب إليه واصل بن عطا: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أيدلك على الطريق ويأخذ عليك المضيق؟. وكتب إليه الشعبي أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كل ما استغفرت الله منه فهو منك، وكل ما حمدت الله عليه فهو منه. فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج ووقف عليها قال: لقد أخذوها من عين صافية^(٤).

أقول: روى الكراجكي مثله. وفيه: من وسع عليك الطريق لم يأخذ عليك المضيق^(٥) وفي القاموس: دهاه: أصابه بداهية، وهي الأمر العظيم.

١٠٩ - يف: روي أن رجلاً سأل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر فقال: ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله،

(١) - (٢) أعلام الدين، ص ٣١٧ و ٣١٨. (٣) الطرائف لابن طاووس، ج ٢ ص ٢٠.

(٤) الطرائف لابن طاووس، ج ٢ ص ٢٢. (٥) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٦٤.

يقول الله تعالى للعبد: لم عصيت؟ لم فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لم زנית؟ فهذا فعل العبد؛ ولا يقول له: لم مرضت؟ لم قصرت؟ لم ابيضضت؟ لم اسوددت؟ لأنه من فعل الله تعالى^(١).

١١٠ - يف: روي أن الفضل بن سهل سأل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون فقال: يا أبا الحسن الخلق مجبورون؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذبهم، قال: فمطلقون؟ قال: الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه^(٢).

يف: ومن الحكايات ما روي أن بعض أهل العدل وقف على جماعة من المجبرة، فقال لهم: أنا ما أعرف المجادلة والاطالة لكني أسمع في القرآن قوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَآهَا اللَّهُ﴾^(٣) ومفهوم هذا الكلام عند كل عاقل أن الموقد للنار غير الله، وأن المطفئ للنار هو الله، وكيف تقبل العقول أن الكل منه؟ وأن الموقد للنار هو المطفئ لها؟ فانقطعوا ولم يردوا جواباً.

ومن الحكايات أن جماعة من اليهود اجتمعوا إلى أبي بحر الخاقاني فقالوا له: ما معناه أنت سلطان عادل منصف، ومن المسلمين في بلدك المجبرة وهم الذين يعولون عليهم في الأقوال والأفعال، وهم يشهدون لنا أننا لا نقدر على الإسلام ولا الإيمان، فكيف تأخذ الجزية من قوم لا يقدر على الإسلام ولا الإيمان؟! فجمع المجبرة وقال لهم: ما تقولون فيما قد ذكره اليهود من احتجاجهم عليكم؟ فقالوا: كذا نقول: إنهم لا يقدر على الإسلام والإيمان. فطالبهم بالدليل على قولهم فلم يقدر على فنفاهم.

ومن الحكايات المذكورة في ذلك ما روي عن القاسم بن زياد الدمشقي أنه قال: كنت في حرس عمر بن عبد العزيز فدخل غيلان فقال: يا عمر: إن أهل الشام يزعمون أن المعاصي قضاء الله، وأنت تقول ذلك؟ فقال: ويحك يا غيلان! أولست تراني أسمى مظالم بني مروان ظلماً وأردها أفراني أسمى قضاء الله ظلماً وأرده^(٤)؟

أقول: أورد السيد في الطرائف فصلاً مشبعاً في الرد على المجبرة تركنا إيراداً لثلاث يطول الكتاب مع كونه خارجاً عن مقصودنا فمن أراد الاطلاع عليه فليراجع إلى الكتاب المذكور؛ وقد مرّ خبر الحسين بن خالد في ذلك في باب نفي التشبيه.

١١١ - وقال الكراجكي في كنز الفوائد: قال الصادق عليه السلام لزراعة بن أعين: يا زارة أعطيك جملة في القضاء والقدر؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق سألهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم^(٥).

١١٢ - وروي عن محمد بن أحمد بن شاذان القمي، عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد،

(١) - (٢) الطرائف لابن طاووس، ج ٢ ص ٢٢. (٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٤) الطرائف لابن طاووس، ج ٢ ص ٢٣-٢٥. (٥) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٦٧.

عن أيوب بن نوح، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: خمسة لا تطفأ نيرانهم، ولا تموت أبدانهم: رجل أشرك، ورجل عقى والديه، ورجل سعى بأخيه إلى السلطان فقتله، ورجل قتل نفساً بغير نفس، ورجل أذنب وحمل ذنبه على الله ﷻ ^(١).

فائدة: قال السيد المرتضى قدس الله روحه: إن سأل سائل فقال: بم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا تعلق بقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ^(٢) فإن الظاهر من هذه الآية يوجب أنهم غير مستطيعين للأمر الذي هم غير فاعلين له، وأن القدرة مع الفعل؛ وإذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ^(٣) وأنه نفى أن يكون قادراً على الصبر في حال هو فيها غير صابر، وهذا يوجب أن القدرة مع الفعل؛ ويقول تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ ^(٤).

يقال له: أول ما نقوله: إن المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له فيه التعلق بالسمع، لأن مذهبه لا تسلم معه صحة السمع، ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدلتها، وإنما قلنا ذلك لأن من جاوز تكليف الله تعالى الكافر بالإيمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله ﷻ، وإذا لم يمكنه ذلك فلا بد من أن يلزمه تجويز القبائح على الله في أفعاله وأخباره، ولا يأمن من أن يرسل كذاباً، وأن يخبرهم بالكذب، تعالى عن ذلك، فالسمع إن كان كلامه قدح في حجته تجويز الكذب عليه، وإن كان كلام رسوله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب، وإنما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه، وليس لهم أن يقولوا: إن أمره تعالى الكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسن من حيث أتى الكافر فيه من قبل نفسه لأنه تشاغل بالكفر فترك الإيمان، وإنما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه تعالى على وجه يقبح، وذلك لأن ما قالوه إذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفاً لما لا يطاق لم يؤثر في نفي ما ألزمناه عنهم لأنه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يقبح منه، وليس قولهم: إننا لم نضفه إليه من وجه يقبح بشيء يعتمد، بل يجري مجرى قول من جاوز عليه أن يكذب ويكون الكذب منه حسناً، ويدعي مع ذلك صحة معرفة السمع بأن يقول: إنني لم أضف إليه قبيحاً فيلزم مني إفساد طريقة السمع، فلما كان من ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله.

ونعود إلى تأويل الآية: أما قوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فليس فيه ذكر للشيء الذي لا يقدر عليه ولا بيان له، وإنما يصح ما قالوه لو بين لهم أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر معين، فأما إذا لم يذكر ذلك كذلك فلا متعلق لهم.

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٤٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٢٠.

(١) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٦٧.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٧.

فإن قيل : فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله : ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى مفارقة الضلال .

قلنا : إنه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم ، فيجوز أن يريد أنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من الأمثال ، وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا مستطاع ، والظاهر أن هذا الوجه أولى لأنه تعالى حكى عنهم أنهم ضربوا له الأمثال ، وجعل ضلالهم وأنهم لا يستطيعون السبيل متعلقاً بما تقدم ذكره ، وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً إليه ، وأنهم ضلّوا بضرب المثل ، وأنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من المثل ، على أنه تعالى قد أخبر عنهم بأنهم ضلّوا ، وظاهر ذلك الإخبار عن ماضي فعلهم ، فإن كان قوله : ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ يرجع إليه فيجب أن يدل على أنهم لا يقدرّون في المستقبل على ترك الماضي ، وهذا ممّا لا يخالف فيه ، وليس فيه ما ناباه من أنهم لا يقدرّون في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعدّ تركه ، وبعد فإذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلّفوه بأولى منّا إذا حملنا ذلك على أمر لم يكلفوه؟ أو على أنه أراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقة عليهم ، وقد جرت عادة أهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئاً : إنه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان لا يستطيع أن يكلم فلاناً ولا ينظر إليه وما أشبه ذلك وإنما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة .

فإن قيل : فإذا كان لا ظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم؟ قلنا : قد ذكر أبو علي أن المراد أنهم لا يستطيعون إلى بيان تكذيبه سبيلاً لأنهم ضربوا الأمثال ظناً منهم بأن ذلك يبين كذبه ، فأخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع لأن تكذيب صادق وإبطال حقّ ممّا لا تتعلق به قدرة ولا تناوله استطاعة . وقد ذكر أبو هاشم أن المراد بالآية أنهم لأجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب ، وليس يمكن على هذا أن يقال : كيف لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير والهدى وهم عندكم قادرّون على الإيمان والتوبة؟ ومتى فعلوا ذلك استحقّوا الثواب ، لأن المراد أنهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم إلى خير وهدى ، وإنما يكون لهم سبيل إلى ذلك بأن يفارقوا ما هم عليه ، وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدم ذكره من أن المراد بنفي الاستطاعة عنهم أنهم مستثقلون للإيمان ، فقد يخبر عنّ مستثقل شيئاً بأنه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره ، كذا في كتاب الغرر للسيد رحمه الله (١) .

فأمّا قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فظاهره يقتضي أنك لا تستطيع ذلك في المستقبل ، ولا يدل على أنه غير مستطاع للصبر في الحال أن يفعله في

الثاني، وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال مستطيع له، غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك، لأنه قد صبر عن المسألة أوقاتاً، وإن لم يصبر عنها في جميع الأوقات فلم تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الأحوال المستقبلية؟.

على أن المراد بذلك واضح، وأنه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسألة عما لا يعرف ولا يقف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس، ولهذا يجد أحداً إذا جرى بين يديه ما ينكره ويستبعده تنازعه نفسه إلى المسألة عنه والبحث عن حقيقته، ويثقل عليه الكف عن الفحص عن أمره، فلما حدث من صاحب موسى ﷺ ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسألة عن ذلك، ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(١) فيبين أن العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره، ولو كان الأمر على ما ظنوا لوجب أن يقول: وكيف تصبر وأنت غير مطيق للصبر؟.

وأما قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ فلا تعلق لهم بظاهره، لأن السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً، لأن الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى، ولو ثبت أنه معنى على ما يقوله أبو علي لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختص القديم تعالى بالقدرة عليه. هذا إن أريد بالسمع الإدراك، وإن أريد به نفس الحاسة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأن الجواهر وما تختص به الحواس من البيئة والمعاني ليصح به الإدراك مما ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه فالظاهر لا حجة لهم فيه.

فإن قالوا: ولعل المراد بالسمع كونهم سامعين، كأنه نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا. قلنا: هذا خلاف الظاهر، ولو ثبت أن المراد ذلك لحملنا نفى الاستطاعة ههنا على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل: فلان لا يستطيع أن يراني، ولا يقدر على أن يكلمني، وما أشبه ذلك، وهذا بين لمن تأمله^(٢).

وقال ﷺ: إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿قَالَ اتَّقِبُدُونَ مَا تَنَحَّيُونَ﴾^(٣) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ فقال: أليس ظاهر هذا القول يقتضي أنه خالق لأعمال العباد؟ لأن «ما» ههنا بمعنى «الذي» فكأنه قال: خلقكم وخلق أعمالكم.

قلنا: قد حمل أهل الحق هذه الآية على أن المراد بقوله: وما تعملون أي وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه أصناماً ويعبدونها، قالوا: وغير منكر أن يريد بقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، كما أنه قد أراد ما ذكرناه بقوله: ﴿قَالَ اتَّقِبُدُونَ مَا تَنَحَّيُونَ﴾ لأنه لم يرد أنكم تعبدون نحتكم الذي هو فعل لكم بل أراد ما تفعلون فيه النحت، كما قال تعالى في

(٢) أمالي الشريف المرتضى، ج ٤ ص ٧٣.

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٨.

(٣) سورة الصافات، الآيتان: ٩٥ و٩٦.

عصا موسى عليه السلام : ﴿ تَلَقَّفْ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ^(١) و ﴿ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا ﴾ ^(٢) وإنما أراد أن العصا تلقف الحبال التي أظهروا سحرهم فيها ، وهي التي حلتها صنعتهم وإفكهم فقال : « ما صنعوا وما يَأْفِكُونَ » وأراد ما صنعوا فيه ، وما يَأْفِكُونَ فيه ، ومثله قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحَكُّيْبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَاقٍ ﴾ ^(٣) وإنما أراد المعمول فيه دون العمل - وهذا الاستعمال أيضاً سائع شائع - لأنهم يقولون : هذا الباب عمل النجار ؛ وفي الخلخال : هذا من عمل الصائغ ؛ وإن كانت الأجسام التي أشير إليها ليست أعمالاً لهم ، وإنما عملوا فيها فحسن إجراء هذه العبارة .

فإن قيل : كل الذي ذكرتموه وإن استعمل فعلى وجه المجاز والاتساع ، لأن العمل في الحقيقة لا يجري إلا على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه ، وإن استعير في بعض المواضع . قلنا : ليس نسلم لكم أن الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز ، بل نقول : هو المفهوم الذي لا يستفاد سواء لأن القائل إذا قال : هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه إلا أنه عمل فيه ، وما رأينا أحداً قط يقول في الثوب بدلاً من قوله : هذا من عمل فلان : هذا مما حله عمل فلان ؛ فالأول أولى بأن يكون حقيقة ، وليس ينكر أن يكون الأصل في الحقيقة ما ذكرناه ، ثم انتقل بعرف الاستعمال إلى ما ذكرناه ، وصار أخص به ومما لا يستفاد من الكلام سواء كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحد ، ولا اعتبار بالمفهوم من الالفاظ إلا بما استقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الأصل فوجب أن يكون المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه . على أننا لو سلمنا أن ذلك مجاز لوجب المصير إليه من وجوه ؛ فمن ذلك أنه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم ، والتوبيخ لأفعالهم ، والإزراء على مذاهبهم ، فقال : ﴿ اتَّعَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ ^(٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ^(٩٦) ومتى لم يكن قوله : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المراد به تعملون فيه ليصير تقدير الكلام اتعبدون الأصنام التي تنحتونها ، والله خلقكم وخلق هذه الأصنام التي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ ، ويصير على ما يذكره المخالف كأنه قال : اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وخلق عباداتكم فأني وجه للتقريع ، وهذا إلى أن يكون عذراً أقرب من أن يكون لوماً وتوبيخاً لأنه إذا خلق عبادتهم للأصنام فأني وجه للومهم عليها . على أن قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ بعد قوله : ﴿ اتَّعَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ إنما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى فلا بد أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله : ﴿ اتَّعَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ ، ومؤثراً في المنع من عبادة غير الله ، فلو أفاد قوله : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فائدة في الكلام لأن القوم لم يكونوا يعبدون النحت ، وإنما كانوا يعبدون محله ، وأنه كان لاحظ في الكلام للمنع من عبادة الأصنام ، وذلك إن حمل قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ على أعمال آخر

(٢) سورة طه ، الآية : ٦٩ .

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١١٧ .

(٣) سورة سبا ، الآية : ١٣ .

ليست نحتهم ولا هي ما عملوا فيه لكان أظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم، فلم يبق إلا أنه أراد أنه خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم؟ ١.

فإن قيل: لم زعمتم أنه لو كان الأمر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الأصنام؟ وما تنكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك، على أن ما ذكرتموه أيضاً لو أريد لكان وجهاً، وهو أن من خلقنا وخلق الأفعال فينا لا يكون إلا الإله القديم الذي تحقق له العبادة، وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الأفعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تأثير.

قلنا: معلوم أن الثاني إذا كان كالتعليل للأول والمؤثر في المنع من العبادة فلأن يتضمن أنكم مخلوقون وما تعبدونه أولى من أن ينصرف إلى ما ذكرتموه مما لا يقتضي أكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه فإنه لا شيء أدل على المنع من عبادة الأصنام من كونها مخلوقة كما أن عابدها مخلوق، ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع آخر: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) (١) فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بأنها مخلوقة لا تخلق شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ضرراً ولا عنهم، وهذا واضح على أنه لو ساوى ما ذكره ما ذكرناه في التعلق بالأول لم يسغ حمله على ما ادعوه لأن فيه عذراً لهم في الفعل الذي عتفوا به وقرعوا من أجله، وقبيح أن يوبخهم بما يعذرهم، ويذمهم بما ينزههم على ما تقدم؛ على أنا لا نسلم أن من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لأن من جملة أفعالهم القبائح، ومن فعل القبائح لا يكون إلهاً ولا تحقق العبادة له، فخرج ما ذكره من أن يكون مؤثراً في انفراده بالعبادة؛ على أن إضافته العمل إليهم بقوله تعالى: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ يبطل تأويلهم هذه الآية، لأنه لو كان خالقاً له لم يكن عملاً لهم لأن العمل إنما يكون عملاً لمن يحدثه ويوجده، فكيف يكون عملاً لهم والله خلقه؟ هذه مناقضة لهم، فثبت بهذا أن الظاهر شاهد لنا أيضاً؛ على أن قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقتضي الاستقبال، وكل فعل لم يوجد فهو معدوم، ومحال أن يقول تعالى: إني خالق للمعدوم.

فإن قالوا: اللفظ وإن كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكأنه قال: والله خلقكم وما عملتم. قلنا: هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيتم أنكم متمسكون به، وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولى منّا، بل نحن أحقّ لأننا نعدل عنه بدلالة، وأنتم تعدلون بغير حجة.

فإن قالوا: فأنتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم، وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي. قلنا: نحن لا نحتاج في تأويلنا إلى ذلك لأننا إذا حملنا قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ على الأصنام المعمول فيها ومعلوم أن الأصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز أن

يقول تعالى: «إني خلقتها» ولا يجوز أن يقول: «إني خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل» على أنه لو أراد بذلك أعمالهم لا ما عملوا فيه على ما ادّعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لأن الخلق هو التقدير والتدبير، وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره إذا قدره ودبره ألا ترى أنهم يقولون: خلقت الأديم وإن لم يكن الأديم فعلاً لمن يقول ذلك فيه؟ ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها ومراتبها، وما به نستحق عليها من الجزاء^(١).

٢ - باب آخر وهو من الباب الاول

وفيه رسالة أبي الحسن الثالث صلوات الله عليه في الرد على أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين بوجه أبسط ممّا مرّ.

١ - ف: من عليّ بن محمّد: سلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى ورحمة الله وبركاته، فإنه ورد عليّ كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر، ومقالة من يقول منكم بالجبر، ومن يقول بالتفويض، وتفرّقكم في ذلك وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتهموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كلّ، اعلموا رحمكم الله أنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من يتحلل الإسلام ممّن يعقل عن الله ﷻ لا تخلو من معنيين: إمّا حقّ فيتّبع، وإمّا باطل فيجتنب، وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حقّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيبون مهتدون، وذلك بقول رسول الله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلّها حقّ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً، والقرآن حقّ لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة، حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة، فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله ﷺ، ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه، بحيث لا تخالفه أقاويلهم حيث قال: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتّى يردها عليّ الحوض». فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝﴾^(٢) وروى العامة في ذلك أخباراً لأمر المؤمنين ﷺ أنه تصدّق بخاتمه وهو راع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه، فوجدنا رسول الله ﷺ قد أتى بقوله: «من كنت

مولاه فعلي مولاه»، ويقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، ووجدناه يقول: «علي يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم من بعدي»، فالخبر الأول الذي استنبط منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة، إذ كانت هذه الأخبار شواهدا من القرآن ناطقة، ووافقت القرآن والقرآن وافقها، ثم وردت حقائق الأخبار عن رسول الله ﷺ، عن الصادقين عليه السلام نقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة، لا يتعداه إلا أهل العناد، وذلك أن أقاويل آل رسول الله ﷺ متصلة بقول الله، وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(١) ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله ﷺ: «فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل: إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً. من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يتنقم منه» وكذلك قوله ﷺ: «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله» ومثل قوله ﷺ في بني وليعة: «لأبعثن إليهم رجلاً كنفي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قم يا علي فسر إليهم» وقوله ﷺ يوم خيبر: «لأبعثن إليهم غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله عليه» فقضى رسول الله ﷺ بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله ﷺ، فلما كان من الغد دعا علياً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه الصفة وسماه كراراً غير فرار، فسماه الله محباً لله ولرسوله، فأخبر أن الله ورسوله يحبانه. وإنما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوة لما نحن ميّنوه من أمر الجبر والتفويض، والمنزلة بين المنزلتين، وبالله العون والقوة وعليه نتوكل في جميع أمورنا، فإننا نبداً من ذلك بقول الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين» وهي صحة الخلقة، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد مثل الراحلة، والسبب المهيّج للفاعل على فعله؛ فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق عليه السلام جوامع الفضل فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته، ونطق الكتاب بتصديقه، فشهد بذلك محكمات آيات رسوله، لأن الرسول ﷺ وآله عليه السلام لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن فاذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدا من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب، ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له

وصدق مقالته في هذا وخبر عنه أيضاً موافقاً لهذا أن الصادق عليه السلام سئل: هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك، فقليل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال عليه السلام: هو أعز وأقهر لهم من ذلك.

وروي عنه أنه قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الأمر مفوّض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك، ورجل يزعم أن الله عز وجل أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك، ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ، فأخبر عليه السلام أن من تقلد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق، فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطاء، وأن الذي يتقلد التفويض يلزمه الباطل فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما، ثم قال: وأضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرب المعنى للطالب ويسهل له البحث عن شرحه، تشهد به محكمات آيات الكتاب، وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب وبالله التوفيق والعصمة.

فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطاء فهو قول من زعم أن الله عز وجل أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه وردّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١) وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^(٢) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣) مع أي كثيرة في ذكر هذا، فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله، وقد ظلمه في عقوبته، ومن ظلم الله فقد كذب كتابه، ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الأمة، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا، ويعلم مولاه ذلك منه، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به من حاجته، وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والصفه، وإظهار الحكمة، ونفي الجور، وأوعد عبده إن لم يأت به حاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه، وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملكه ذلك، فلما صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعته المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء وليس يملك العبد ثمنها فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته، فاغتاز مولاه من ذلك وعاقبه عليه، أليس يجب في عدله وحكمته أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملكه ثمن حاجته؟ فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدياً عليه، مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٤.

لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إياه حين أوعده بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة، تعالى عما يقولون علواً كبيراً؛ فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلم الله، ونسبه إلى الجور والعدوان، إذ أوجب على من أجبر العقوبة، ومن زعم أن الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله أن الله يدفع عنهم العقوبة، ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده، حيث يقول: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١) وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٢) وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٣) مع أي كثيرة في هذا الفن، فمن كذب وعيد الله يلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر، وهو ممن قال الله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَوْمَ الْقَيْمَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٤) بل نقول: إن الله ﷻ جازى العباد على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها فأمرهم ونهاهم، وبذلك نطق كتابه ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٥) وقال جل ذكره: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَصَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ شَوْءٍ قَوْدٌ لَّوْ أَنْ يَبْتُنَّاهُ وَبَيْنَهُ أَمَدٌ بَعِيدٌ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٦) وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾^(٧) فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به، ومثلها في القرآن كثير، اختصرنا ذلك لثلاث بطول الكتاب، وبالله التوفيق.

فأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخلفاؤه من دان به وتقلده فهو قول القائل: إن الله جل ذكره فوض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم، وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته، وإلى هذا ذهب الأئمة المهتدية من عترة الرسول ﷺ، فإنهم قالوا لو فوض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضى ما اختاروه، واستوجبوا به الثواب، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذ كان الإهمال واقعاً، وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة، كره ذلك أم أحب، فقد لزمه الوهن؛ أو يكون جل وعز عجز عن تعبدتهم بالأمر والنهي على إرادته، كرهوا أو أحبوا ففوض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم، إذ عجز عن تعبدتهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه، ويعرف له فضل

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٧) سورة غافر، الآية: ١٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

خلق الخلق بقدرته، وملكهم استطاعة تعبدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمره ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها، والله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به، وينهى عما يكره ويعاقب عليه، بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده اصطفاً محمداً ﷺ وبعثه برسالاته إلى خلقه فقال من قال من كفار قومه حسداً واستكباراً: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١) يعنى بذلك أمية بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول: ﴿أَهْرَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٢) ولذلك اختار من الأمور ما أحب، ونهى عما كره، فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه، ولو فوض اختيار أموره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمد ﷺ، فلما أذب الله المؤمنين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٣) فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه فمن أطاعه رشد، ومن عصاه ضلّ وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه، فمن أجل ذلك حرّم ثوابه، وأنزل به عقابه، وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل، فقال له أمير المؤمنين: سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية، فقال له أمير المؤمنين: قل يا عباية، قال وما أقول؟ قال ﷺ: إن قلت إنك تملكها مع الله قتلتك! وإن قلت: تملكها دون الله قتلتك! قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال ﷺ: تقول: إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبها كان ذلك من بلائه هو المالك لما ملكك، والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال ﷺ: لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله، قال: فوثب عباية فقبل يديه ورجليه.

وروي عن أمير المؤمنين ﷺ حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله قال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ قال ﷺ: بالتمييز الذي خولني، والعقل الذي دلني، قال: أفمجبول أنت عليه؟ قال: لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان، ولا مذموماً على إساءة،

وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء، فعلمت أن الله قائم باق، وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحديث الزائل. قال نجدة: أجذك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين! قال: أصبحت مخيراً فإن أتيت السيئة بمكان الحسنة فأنا المعاقب عليها.

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل سأل بعد انصرافه من الشام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر؟ قال: نعم يا شيخ ما علوتم تلة ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء وقدر من الله، فقال الشيخ: عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال: مه يا شيخ فإن الله قد عظم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين، ولا إليه مضطرين، لعلك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، ولسقط الوعد والوعيد، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق، ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشياطين إن الله تعالى أمر بخيراً، ونهى تحذيراً، ولم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. فقام الشيخ فقبل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه رضوانا
فليس معذرة في فعل فاحشة عندي لراكبها ظلماً وعصيانا

فقد دلّ قول أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذين يلزمان من دان بهما وتقلدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب، ونعوذ بالله من الضلالة والكفر، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض، لكننا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله وتعبدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم.

ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً وملك ما لا كثيراً أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملكه من ماله بعض ما أحب، ووقفه على أمور عرّفها العبد، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها؛ ونهاه عن أسباب لم يحبها، وتقدم إليه أن يجتنبها، ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرف في أي الوجهين؛ فصرف المال أحدهما في اتباع أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في اتباع نهيه وسخطه، وأسكنه دار اختبار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار، وأن له داراً غيرها، وهو مخرجه إليها فيها ثواب وعقاب دائم، فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود، وقد حدّ المولى في ذلك حدّاً معروفاً وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى، فإذا بلغ الحدّ استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنه لم يزل مالكاً للمال

والعبد في الأوقات كلها ، إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلا أن يستتم سكناه فيها ؛ فوفى له لأن من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة أوليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة؟ وإن صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه كذلك يجب عليه العقوبة الدائمة التي حذر إياها غير ظالم له لما تقدم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده ، بذلك يوصف القادر القاهر؟ .

وأما المولى فهو الله ﷻ ، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق ، والمال قدرة الله الواسعة ، ومحنته إظهار الحكمة والقدرة ، والدار الفانية هي الدنيا ، وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم ، والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء والإقرار بما أوردوه عن الله جل وعز ، واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس ؛ وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة ، وأما الدار الفانية فهي الدنيا ، وأما الدار فهي الدار الباقية وهي الآخرة ، والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد ؛ وشرحها في خمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها جمعت جوامع الفضل ، وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله .

تفسير صحة الخلقة : أما قول الصادق عليه السلام فإن معناه كمال الخلق للإنسان بكمال الحواس وثبات العقل والتمييز ، وإطلاق اللسان بالنطق ، وذلك قول الله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ كُلِّ غَلِيظٍ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١) فقد أخبر ﷻ عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر والطيور وكل ذي حركة تدركه حواس بني آدم بتمييز العقل والنطق ، وذلك قوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٢) وقوله : ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (٣) في أي سورة ما شاء ربك (٤) وفي آيات كثيرة ، فأول نعمة الله على الإنسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان ، وذلك أن كل ذي حركة على بسيط الأرض هو قائم بنفسه بحواسه مستكمل في ذاته ففضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس .

فمن أجل النطق ملك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار أمراً ناهياً ، وغيره مسخر له ، كما قال الله : ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ (٥) وقال : ﴿هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتُسْتَغْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ (٦) وقال : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .

(٢) سورة التين ، الآية : ٩٥ .

(٣) سورة الانفطار ، الآيتان : ٦-٨ .

(٤) سورة الحج ، الآية : ٣٧ .

(٥) سورة النحل ، الآية : ١٤ .

لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَقَرُّونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِبِلَافِيهِ إِلَّا يَشِقُّ الْإِنْفُسُ ﴿١﴾ فمن أجل ذلك دعا الله الانسان إلى اتباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة، بعد أن ملكهم استطاعة ما كان تعبدهم به بقوله: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ (٢) وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٣) وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (٤) وفي آيات كثيرة. فإذا سلب العبد حاسة من حواسه رفع العمل عنه بحاسته كقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ (٥) الآية، فقد رفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال التي لا يقوم إلا بها، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة لما ملكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (٦) وقوله في الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (٧) إلى قوله: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ (٨) كل ذلك دليل على أن الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلا ما ملكهم استطاعته بقوة العمل به، ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحة الخلقة.

وأما قوله: تخلية السرب فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله في من استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولم يهتد سبيلاً: ﴿مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (٩) فأخبر أن المستضعف لم يخل سربه وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئن القلب بالإيمان.

وأما المهلة في الوقت فهو العمر الذي يمتنع به الانسان من حد ما يجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله، فمن مات على طلب الحق ولم يدرك كماله فهو على خير وذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (١٠) الآية، وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعله ما لم يمهل في الوقت إلى استتمام أمره، وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَقْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (١١) الآية فلم يجعل عليهن حرجاً في إبداء الزينة للطفل وكذلك لا تجري عليه الأحكام.

وأما قوله: الزاد فمعناه الجدة والبلغة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به، وذلك

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٤) سورة الطارق، الآية: ٧.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٩) سورة النساء، الآية: ٩٨.

(١١) سورة النور، الآية: ٣١.

(١) سورة النحل، الآيات: ٥-٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٥) سورة النور، الآية: ٦١.

(٧) - (٨) سورة المجادلة، الآيات: ٢-٤.

(١٠) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(١) الآية ألا ترى أنه قبل عذر من لم يجد ما ينفق، وأنزم الحجة كل من أمكنته البلغة، والراحلة للحج والجهاد وأشباه ذلك، كذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الاغنياء بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِيكَ أَتَّخِذُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢) الآية، فأمر بإعفائهم، ولم يكلفهم الإعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون.

وأما قوله: في السبب المهيّج، فهو النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال، وحاستها القلب، فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النية، كذلك أخبر عن المنافقين بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾^(٣) ثم أنزل على نبيه ﷺ توبيخاً للمؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٤) الآية، فإذا قال الرجل قولاً واعتقد في قوله دعت النية إلى تصديق القول بإظهار الفعل، وإذا لم يعتقد القول لم يتبين حقيقة، وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعلّة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَ وَكَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٥) وقوله: ﴿لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْتِنِكُمْ﴾^(٦) الآية، فدل القرآن وأخبار الرسول ﷺ أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها، ولا يبطل ما يصحح القلب شيء، فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين، وهما الجبر والتفويض، فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كمالاً لما أمر الله ﷻ به ورسوله، وإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسب ذلك.

فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّعِيفِينَ وَتَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾^(٧) وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٨) وقال: ﴿وَالْمَ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُتَّقِنُونَ﴾^(٩) وقال في الفتن التي معناها الاختبار: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾^(١٠) الآية، وقال في قصة قوم موسى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(١١) وقول موسى: ﴿إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾^(١٢) أي اختبارك، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض، وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله: ﴿لَتَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَيْنَاكُمْ﴾^(١٣) وقوله: ﴿ثُمَّ مَكْرَفَكُمْ عَنْهُمْ

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٤) سورة الصف، الآية: ٢.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٨٢.

(١٠) سورة ص، الآية: ٣٤.

(١٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(١) سورة التوبة، الآية: ٩١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٧) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٩) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢-٣.

(١١) سورة طه، الآية: ٨٥.

(١٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

لِيَبْتَلِيَكُمْ^(١) وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْتُمُوهَا بَلَاءًا أَصْحَبَ لِمَتَكُمْ^(٢)﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا^(٣)﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ أَسْنَىٰ إِلَٰهَكُمْ رُؤْيَا بِكَلِمَاتٍ^(٤)﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْصَرَكُمْ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ^(٥)﴾ وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة، فهي إثبات الاختبار والبلوى إن الله ﷻ لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدى، ولا أظهر حكمته لعباً، بذلك أخبر في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا^(٦)﴾.

فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم؟ قلنا: بلى قد علم ما يكون منهم قبل كونه، وذلك قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ^(٧)﴾ وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا^(٨)﴾ وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا^(٩)﴾ وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ^(١٠)﴾ فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض بهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول.

فإن قالوا: ما الحجة في قول الله: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ و﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ وما أشبهها؟ قيل: مجاز هذه الآيات كلها على معنيين: أما أحدهما فإخبار عن قدرته أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب، والمعنى الآخر أن الهداية منه تعريفه كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي عرفناهم ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ^(١١)﴾ فلو جبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلوا، وليس كلما وردت آية مشبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها، من ذلك قوله: ﴿وَإِنِّي تُخِصِّمْتُ هُنَّ أُمُّ الْكَيْسِ وَأَخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ^(١٢)﴾ الآية، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ^(١٣)﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ^(١٤)﴾ أي أحكمه وأشرحه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَزْوَاجُ الْأَلْبَابِ^(١٥)﴾ وفقنا الله وإياكم من القول والعمل لما يحب ويرضى، وجنبنا وإياكم معاصيه بمنه وفضله، والحمد لله كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمد وآله الطيبين، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١٥).

(٢) سورة القلم، الآية: ١٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٨) سورة طه، الآية: ١٣٤.

(١٠) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(١٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(١٥) تحف العقول ص ٣٣٧.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢١.

(٥) سورة محمد، الآية: ٤.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.

(٩) سورة الاسراء، الآية: ١٥.

(١١) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(١٣) - (١٤) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ و ١٨.

بيان: قوله تعالى: فقد ظلم الله على بناء التفعيل أي نسيه إلى الظلم. قوله ﷺ: ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب أي عموماً بحيث لا يعاقب أحداً منهم كما هو مقتضى الجبر، فلا ينافي سقوط بعضها بالعفو أو الشفاعة. وقوله ﷺ: ولما لزمنا الأشياء أي الخطايا والذنوب، وفي بعض النسخ الأسماء وهو أوفق بما روي عنه ﷺ في موضع آخر أي لا يصح إطلاق المؤمن والكافر والصالح والطالح وأشباهها على الحقيقة.

فذلك: اعلم أن الذي استفاض عن الأئمة ﷺ هو نفي الجبر والتفويض، وإثبات الأمر بين الأمرين، وقد اعترف به بعض المخالفين أيضاً، قال إمامهم الرازي: حال هذه المسألة عجيبة فإن الناس كانوا مختلفين فيها أبداً بسبب أن ما يمكن الرجوع فيها إليها متعارضة متدافعة: فمعمل الجبرية على أنه لا بد لترجيح الفعل على الترك من مرجح ليس من العبد؛ ومعمل القدرية على أن العبد لو لم يكن قادراً على فعل لما حسن المدح والذم والأمر والنهي، وهما مقدمتان بديهيتان، ثم من الأدلة العقلية اعتماد الجبرية على أن تفاصيل أحوال الأفعال غير معلومة للعبد، واعتماد القدرية على أن أفعال العباد واقعة على وفق تصورهم ودواعيهم وهما متعارضتان، ومن الإلزامات الخطائية أن القدرة على الإيجاد صفة كمال لا يليق بالعبد الذي هو منبع النقصان، وأن أفعال العباد تكون سفهاً وعبثاً، فلا يليق بالمتعالي عن النقصان، وأما الدلائل السمعية فالقرآن مملوء بما يوهم بالأمرين وكذا الآثار، فإن أمة من الأمم لم تكن خالية من الفرقتين، وكذا الأوضاع والحكايات متدافعة من الجانبين، حتى قيل: إن وضع الرد على الجبر، ووضع الشطرنج على القدر، إلا أن مذهبنا أقوى بسبب أن القدح في قولنا: لا يترجح الممكن إلا بمرجح يوجب انسداد باب إثبات الصانع، ونحن نقول: الحق ما قال بعض أئمة الدين: إنه لا جبر ولا تفويض، ولكن أمرين أمرين، وذلك أن مبنى المبادئ القريبة لأفعال العبد على قدرته واختياره، والمبادئ البعيدة على عجزه واضطراره فالإنسان مضطرب في صورة مختار كالقلم في يد الكاتب والوعد في شق الحائط، وفي كلام العقلاء: قال الحائط للوعد: لم تشقني؟ فقال: سل من يدقني انتهى.

وأما معنى الجبر فهو ما ذهب إليه الأشاعرة من أن الله تعالى أجرى الأعمال على أيدي العباد من غير قدرة مؤثرة لهم فيها، وعذبهم عليها.

وأما التفويض فهو ما ذهب إليه المعتزلة من أنه تعالى أوجد العباد وأقدرهم على تلك الأفعال، وفوض إليهم الاختيار. فهم مستقلون بإيجادها على وفق مشيئتهم وقدرتهم، وليس لله في أفعالهم صنع.

وأما الأمر بين الأمرين فالذي ظهر ممّا سبق من الأخبار هو أن لهداياته وتوفيقاته تعالى مدخلاً في أفعال العباد بحيث لا يصل إلى حد الإلجاء والاضطرار كما أن سيّداً أمر عبده بشيء يقدر على فعله، وفهمه ذلك، ووعدته على فعله شيئاً من الثواب، وعلى تركه شيئاً من العقاب فلو

اكتفى من تكليف عبده بذلك ولم يزد عليه مع علمه بأنه لا يفعل الفعل بمحض ذلك لم يكن ملوماً عند العقلاء لو عاقبه على تركه، ولا يقول عاقل بأنه أجبره على ترك الفعل، ولو لم يكتف السيد بذلك وزاد في الطافه، والوعد بإكرامه، والوعيد على تركه، وأكد ذلك بيعث من يحثه على الفعل ويرغبه فيه، ثم فعل بقدرته واختياره ذلك الفعل فلا يقول عاقل بأنه جبره على ذلك الفعل؛ وأما فعل ذلك بالنسبة إلى جماعة وتركه بالنسبة إلى آخرين فيرجع إلى حسن اختيارهم وصفاء طويتهم، أو سوء اختيارهم وقبح سريرتهم، فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم إليه تعالى بأن يجبرهم على المعاصي ثم يعذبهم عليها كما يلزم الأولين، ولا عزله تعالى عن ملكه، واستقلال العباد بحيث لا مدخل لله في أفعالهم فيكونون شركاء لله في تدبير عالم الوجود كما يلزم الآخرين، وقد مرّت شواهد هذا المعنى في الأخبار؛ ويؤيده ما رواه الكليني، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأله رجل: أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: لا؛ فقال: ففوض إليهم الأمر؟ قال: لا، قال: فماذا؟ قال: لطف من ربك بين ذلك.

ويظهر من بعض الأخبار أن المراد بالتفويض المنفي هو كون العبد مستقلاً في الفعل لا يقدر الرب تعالى على صرفه عنه، والأمريين الأمرين هو أنه جعلهم مختارين في الفعل والترك مع قدرته على صرفهم عما يختارون، ومنهم من فسّر الأمرين الأمرين بأن الأسباب القريبة للفعل يرجع إلى قدرة العبد، والأسباب البعيدة كالألات والأسباب والأعضاء والجوارح والقوى إلى قدرة الرب تعالى، فقد حصل الفعل بمجموع القدرتين؛ وفيه أن التفويض بهذا المعنى لم يقل به أحد حتى يردّ عليه؛ ومنهم من قال: الأمر بين الأمرين هو كون بعض الأشياء باختيار العبد وهي الأفعال التكليفية، وكون بعضها بغير اختياره كالصحة والمرض والنوم واليقظة، والذكر والنسيان وأشياء ذلك، ويرد عليه ما أوردناه على الوجه السابق والله تعالى يعلم وحججه عليه السلام. ويسط القول في تلك المسألة وإيراد الدلائل والبراهين على ما هو الحق فيها ودفع الشكوك والشبه عنها لا يناسب ما هو المقصود من هذا الكتاب، والله يهدي من يشاء إلى الحق والصواب.

٣ - باب القضاء والقدر والمشيئة والارادة وسائر أسباب الفعل

الآيات: البقرة (٢): ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢٥٣).

آل عمران (٣): ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأًا مُؤَجَّلًا﴾ (١٤٥).

الأنعام (٦): ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ (١٠٧) «وقال تعالى»: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَعَلَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣٧) «وقال تعالى»: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

الأعراف (٧): ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (١٨٨).

الأنفال (٨): ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (٤٢).

التوبة (٩): ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) «وقال تعالى»: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥٥).

يونس: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩) ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَفِّيَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلَ الرِّزْقَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٠).

الأحزاب (٣٣): ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣٧) وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٣٨).

فاطر (٣٥): ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ نَفْسٍ وَلَا يَمُوتُ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١).

[فصلت] (٤١): ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (٤٥).

حمعسق [الشورى]: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٨) «وقال تعالى»: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (٢١).

الزخرف: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٢٠).

القمر (٥٤): ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) «وقال»: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (٥٢) ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ (٥٣).

الحديد (٥٧): ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢).

الحشر (٥٩): ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٥).

التغابن (٦٤): ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (١١).

الطلاق: ﴿يُنَزِّلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢).

المدثر (٧٤): ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣١) «وقال تعالى»: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٥٦).

الدهر [الإنسان] (٧٦): ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٣٠) «وقال تعالى»: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ (٣١).

التكوير (٨١): ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩).

تفسير: ولو شاء الله ما اقتتلوا أي لو شاء أن يجبرهم ويلجئهم على ترك الاقتتال لفعل لكنه مناف للتكليف فلذا وكلهم إلى اختيارهم فاقتتلوا، وإذن الله أمره وتقديره، وقيل: علمه، من أذن بمعنى علم.

وقال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَكُمُ أَجْمَعِينَ﴾ أي لو شاء لألجاكم إلى الإيمان، وهذه المشية تخالف المشية المذكورة في الآية الأولى. لأن الله سبحانه أثبت هذه ونفى تلك، فالأولى مشية الاختيار والثانية مشية الإلجاء. وقيل: إن المراد به: لو شاء لهداكم إلى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداءً من غير تكليف^(١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي مطلقاً لأن ما يتوقف عليه الفعل من الأسباب والآلات إنما هو بقدرته تعالى، وهو لا ينافي الاختيار، أو فيما ليس باختيار العبد من دفع البلايا وجلب المنافع، ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكُنْتُ مِنْ الْغَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي قدر الله التقاءكم مع المشركين في بدر على غير ميعاد منكم ليقضي أمراً كان كائناً لا محالة، أو من شأنه أن يكون هو إعزاز الدين وأهله، وإذلال الشرك وأهله، ومعنى ﴿لَيَقْضِيَ﴾: ليفعل، أو ليظهر قضاؤه^(٢).

قوله تعالى: في (الزبر) أي في الكتب التي كتبها الحفظة، أو في اللوح المحفوظ، ﴿وَكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ﴾ أي وما قدموه من أعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم، أو كل صغير وكبير من الأرزاق والآجال ونحوها مكتوب في اللوح^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي إلا أن يشاء أن يجبرهم على ذلك بقرينة قوله سابقاً: ﴿إِنَّمَا نَذْكُرُ﴾ (١١) ﴿فَنْ شَاءَ ذَكَّرُ﴾ (١٢) وقيل: إلا أن يشاء الله من حيث أمر به ونهى عن تركه فكانت مشيئته سابقة أي لا يذكرون إلا والله قد شاء ذلك^(٤).

١ - ب: ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه، قال: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله رقي يستشفى بها هل ترد من قدر الله؟ فقال: إنها من قدر الله^(٥).

٢ - ل: الخليل بن أحمد السنجري، عن محمد بن إسحاق بن خزيمة، عن علي بن حجر، عن شريك، عن منصور بن المعتمر، عن ربعي بن خراش، عن علي بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقدر^(٦).

٣ - ل: أبو أحمد محمد بن جعفر البندار، عن جعفر بن محمد بن نوح، عن محمد بن عمر، عن يزيد بن زريع، عن بشر بن نمير، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة قال:

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٨٨.

(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٢٥.

(٣) قرب الإسناد، ص ٩٥ ح ٣٢٠.

(٤) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٧٣.

(٥) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٨٩.

(٦) الخصال، ص ١٩٨ باب الأربعة ح ٨.

قال رسول الله ﷺ: أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاق، ومثان، ومكذب بالقدر، ومدمن خمر^(١).

٤ - ل: حمزة العلوي، عن أحمد الهمداني، عن يحيى بن الحسن بن جعفر، عن محمد ابن ميمون الخزاز، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والتارك لستتي، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمتسلط بالجبروت ليدل من أعزه الله ويعز من أذله الله، والمستأثر بفيء المسلمين المستحل له^(٢).

٥ - ل: ابن المتوكل، عن محمد العطار، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن محمد، عن أبي القاسم الكوفي، عن عبد المؤمن الأنصاري، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إني لعنت سبعة لعنهم الله وكل نبي مجاب قبلي، فقيل: ومن هم يا رسول الله؟ فقال: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمخالف لستتي، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمتسلط بالجبرية ليعز من أذل الله ويدل من أعز الله، والمستأثر على المسلمين بفيئهم مستحلاً له والمحرم ما أحل الله ﷺ^(٣).

٦ - ل: محمد بن عمر الحافظ، عن محمد بن الحسين الخثعمي، عن ثابت بن عامر السنجاري؟ عن عبد الملك بن الوليد، عن عمرو بن عبد الجبار، عن عبد الله بن زياد، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: سبعة لعنهم الله وكل نبي مجاب، المغير لكتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمبدل سنة رسول الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله ﷺ، والمتسلط في سلطانه ليعز من أذل الله ويدل من أعز الله، والمستحل لحرم الله، والمتكبر على عباد الله ﷺ^(٤).

٧ - ل: أبي، عن سعد، عن إبراهيم بن هاشم، عن أبي عبد الله البرقي، عن زكريا بن عمران، عن أبي الحسن الأول ﷺ قال: لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بسبعة: بقضاء، وقدر وإرادة، ومشية، وكتاب، وأجل، وإذن، فمن قال غير هذا فقد كذب على الله، أورد على الله ﷺ^(٥).

٨ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن موسى ﷺ سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم ﷺ فجمع، فقال له موسى: يا أبا آدم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة؟ فلم

(١) الخصال ص ٢٠٣ باب الأربعة ح ١٨. (٢) الخصال، ص ٣٣٨ باب الستة ح ٤١.

(٣) الخصال، ص ٣٤٩ باب السبعة ح ٢٤. (٤) الخصال، ص ٣٥٠ باب السبعة ح ٢٥.

(٥) الخصال، ص ٣٥٩ باب السبعة ح ٤٦.

عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين سنة، قال: فهو ذلك، قال الصادق عليه السلام: فحج آدم موسى عليه السلام^(١).

بيان: من أصحابنا من حمل هذا الخبر على التقية، إذ قد ورد ذلك في كتبهم بطرق كثيرة، وقد رواه السيد في الطرائف من طرقهم ورده، ويمكن أن يقال: إن المراد أنه كتب في التوراة أن الله وكل آدم إلى اختياره حتى فعل ما فعل لمصلحة إهباطه إلى الدنيا، وأما كونه قبل خلقه عليه السلام فلا، لأن التوراة كتب في الألواح السماوية في ذلك الوقت وإن وجده موسى عليه السلام بعد بعثته ويحتمل اطلاع روح موسى على ذلك قبل خلق جسد آدم والله يعلم.

٩- ع: أحمد بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن عباد بن يعقوب، عن عمر بن بشر البراز قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: ما يستطيع أهل القدر أن يقولوا؛ والله لقد خلق الله آدم للدنيا وأسكنه الجنة ليعصيه فيرده إلى ما خلقه له^(٢).

بيان: قوله: ليعصيه أي عالماً بأنه يخلّيه مع اختياره فيعصيه، فيكون اللام لام العاقبة أي ليخلّيه فيعصي بذلك مختاراً والله يعلم.

١٠- مع: أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن شعيب، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: شاء وأراد، ولم يحب ولم يرض. قلت: كيف؟ قال: شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحب أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر^(٣).

١١- ع: اعتقادنا في الإرادة والمشية قول الصادق عليه السلام: شاء الله، وأراد، ولم يحب، ولم يرض، شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحب أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر.

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤) وقال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٥) وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٦) كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾^(٧) كما قال: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^(٨) وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(٩) وقال عز وجل:

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٤.

(٢) علل الشرائع ج ٢ ص ٣٠١ باب ٨٥ نوادر العلل ح ٣.

(٣) معاني الاخبار، ص ١٧٠.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٥) - (٦) سورة يونس، الآيتان: ٩٩-١٠٠. (٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤. (٩) سورة الانعام، الآية: ١١٢.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(١) وقال ﷺ : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ وقال ﷺ : ﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٢) وقال ﷺ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾^(٣) وقال الله ﷻ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَكُمْ لَهْمَ حَظًا فِي الْآخِرَةِ﴾^(٤) وقال ﷺ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ وقال : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ وقال ﷺ : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾^(٥) وقال ﷺ : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.

فهذا اعتقادنا في الارادة والمشية، ومخالفونا يشنعون علينا في ذلك، ويقولون:

إنا نقول: إن الله ﷻ أراد المعاصي وأراد قتل الحسين ﷺ وليس هكذا نقول، ولكننا نقول: إن الله ﷻ أراد أن يكون معصية العاصين خلاف طاعة المطيعين، وأراد أن تكون المعاصي غير منسوبة إليه من جهة الفعل، وأراد أن يكون موصوفاً بالعلم بها قبل كونها، ونقول: أراد الله أن يكون قتل الحسين ﷺ معصية له خلاف الطاعة، ونقول: أراد أن يكون قتله منهياً عنه غير مأمور به، ونقول: أراد الله أن يكون مستقبلاً غير مستحسن، ونقول: أراد الله ﷻ أن يكون قتله سخطاً لله غير رضا، ونقول: أراد الله ﷻ أن لا يمنع من قتله بالجبر والقدر كما منع منه بالنهي، ونقول: أراد الله أن لا يدفع القتل عنه كما دفع الحرق عن إبراهيم ﷺ، حين قال ﷺ للنار التي ألقى فيها: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٦) ونقول: لم يزل الله عالماً بأن الحسين ﷺ سيقتل ويدرك بقتله سعادة الأبد، ويشقى قاتله شقاوة الأبد، ونقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. هذا اعتقادنا في الإرادة والمشية، دون ما نسب إلينا أهل الخلاف والمشتنعون علينا من أهل الإلحاد^(٧).

أقول: قال الشيخ المفيد (نور الله ضريحه): الذي ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله في هذا الباب لا يتحصل ومعانيه تختلف وتتناقض، والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة، ولم يكن ممن يرى النظر فيميز بين الحق والباطل، ويعمل على ما توجب الحجة! ومن عول في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه! والحق في ذلك أن الله تعالى لا يريد إلا ما حسن من الأفعال، ولا يشاء إلا الجميل من الأعمال، ولا يريد القبائح، ولا يشاء الفواحش، تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾^(٨) وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

(٧) اعتقادات الصدوق، ص ٦٩-٧١.

(٨) سورة غافر، الآية: ٣١.

الْمُسْرَ (١) وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يُسَبِّحَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (٢) الآية ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُقِيمُوا مِثْلًا عَظِيمًا﴾ (٣) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٤) فخير سبحانه أنه لا يريد لعباده العسر، بل يريد بهم اليسر، وأنه يريد لهم البيان، ولا يريد لهم الضلال، ويريد التخفيف عنهم، ولا يريد التثقل عليهم، فلو كان سبحانه مريداً لمعاصيهم لنا في ذلك إرادة البيان لهم، أو التخفيف عنهم واليسر لهم، فكتاب الله تعالى شاهد بضد ما ذهب إليه الضالون المفترون على الله الكذب، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فأما ما تعلقوا به من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ (٥) الآية فليس للمجبرة به تعلق ولا فيه حجة، من قبل أن المعنى فيه من أراد الله تعالى أن ينعمه ويشيه جزاءً على طاعته شرح صدره للإسلام بالالطاف التي يحبوه بها، فيستر له بها استدامة أعمال الطاعات، والهداية في هذا الموضع هي التنعيم، قال الله تعالى - فيما خبر به عن أهل الجنة - : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ (٦) الآية أي نعمنا به وأثابنا إيّاه، والضلال في هذه الآية هو العذاب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٧) فسمى العذاب ضلالاً والنعيم هداية، والأصل في ذلك أن الضلال هو الهلاك، والهداية هي النجاة، قال الله تعالى - حكاية عن العرب - : ﴿أَوَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَوْنَا لِي خَلَقَ جَدِيدٌ﴾ (٨) يعنون إذا هلكنا فيها، وكأن المعنى في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ ما قدمناه ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ ما وصفناه، والمعنى في قوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ يريد سلبه التوفيق عقوبة له على عصيانه، ومنعه الالطاف جزاءً له على إساءته، فشرح الصدر: ثواب الطاعة بالتوفيق، وتضييقه: عقاب المعصية بمنع التوفيق، وليس في هذه الآية على ما بيناه شبهة لأهل الخلاف فيما ادعوه من أن الله تعالى يضل عن الإيمان، ويصد عن الإسلام، ويريد الكفر، ويشاء الضلال؛ وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ فالمراد به الإخبار عن قدرته، وأنه لو شاء أن يلجئهم إلى الإيمان ويحملهم عليه بالإكراه والاضطرار لكان على ذلك قادراً، لكنه شاء تعالى منهم الإيمان على الطوع والاختيار، وآخر الآية يدل على ما ذكرناه وهو قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩) يريد أن الله قادر على إكراههم على الإيمان لكنه لا يفعل ذلك، ولو شاء لتيسر عليه، وكل ما يتعلقون به من أمثال هذه الآية فالقول فيه ما ذكرناه أو نحوه على ما بيناه، وفرار المجبرة من إطلاق القول: بأن الله يريد أن يعصى ويكفر به ويقتل

(٢) - (٣) سورة النساء، الآيات: ٢٦-٢٨.

(٥) سورة الاحراف، الآية: ٤٣.

(٧) سورة السجدة، الآية: ١٠.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة القمر، الآية: ٤٧.

(٨) سورة يونس، الآية: ٩٩.

أولياؤه إلى القول بأنه يريد أن يكون ما علم كما علم ويريد أن يكون معاصيه قبائح منهيًا عنها . . . وقوع فيما هربوا منه، وتورط فيما كرهوه، وذلك أنه إذا كان ما علم من القبيح كما علم وكان تعالى مريدًا لأن يكون ما علم من القبيح كما علم فقد أراد القبيح وأراد أن يكون قبيحًا، فما معنى فرارهم من شيء إلى نفسه؟ وهربهم من معنى إلى عينه؟ فكيف يتم لهم ذلك مع أهل العقول؟ وهل قولهم هذا إلا كقول إنسان: أنا لا أسب زيدا لكني أسب أبا عمرو وزيد هو أبو عمرو؟ وكقول اليهود إذ قالوا سخرية بأنفسهم: نحن لا نكفر بمحمد ﷺ لكننا نكفر بأحمد؟ فهذا رعونة وجهل ممن صار إليه^(١).

١٢ - ن: أحمد بن إبراهيم بن بكر الخوري، عن إبراهيم بن محمد بن مروان، عن جعفر ابن محمد بن زياد، عن أحمد بن عبد الله الجوياري، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ﷻ قدر المقادير، ودبر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام^(٢).

ن: بالأسانيد الثلاثة عنه ﷺ مثله. «ج ٢ باب ٣١ ح ٤٤».

صح: عنه ﷺ مثله. «ص ٩٧ ح ١٧٤».

١٣ - فس: أبي، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه صلوات الله عليهما قال: قال رسول الله ﷺ: سبق العلم وجفت القلم ومضى القضاء وتمّ القدر بتحقيق الكتاب، وتصديق الرسل، وبالسعادة من الله لمن آمن واتقى، وبالشقاء لمن كذب وكفر، وبالولاية من الله للمؤمنين، وبالبراءة منه للمشركين. ثم قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبقوتي وعصمتي وعافيتي أدبت إلي فرائضي، وأنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بذنوبك مني، الخير مني إليك بما أوليتك به، والشر مني إليك بما جنيت جزاءً، وبكثير من تسلطي لك انطويت عن طاعتي، وبسوء ظنك بي قنطت من رحمتي، فلي الحمد والحجة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء الحسن عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك بي، ولم آخذك عند عزتك^(٣)، وهو قوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبٍ﴾^(٤) لم أكلّفك فوق طاقتك، ولم أحملك من الأمانة إلا ما أقررت بها على نفسك، ورضيت لنفسي منك ما رضيت به لنفسك مني^(٥).

١٤ - يده: أبي وابن الوليد معاً، عن محمد العطار، وأحمد بن إدريس معاً، عن

(١) تصحيح الاعتقاد، ص ٣٤-٣٨. (٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٢٨ باب ١١ ح ٣٩.

(٣) الظاهر: عزتك. ويؤيده ما في البيان من شرح الكلمة ب: غفلتك.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٤٥. (٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٥.

الأشعري، عن ابن يزيد، عن علي بن حسان، عن السكوني، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن سعدان، عن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ مثله.

بيان: قوله ﷺ: بتحقيق الكتاب أي جنس الكتاب، فالمراد كل كتاب منزل، أو القرآن، أو اللوح. قوله تعالى: بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء أي شئت أن أجعلك شائياً مختاراً، وأردت أن أجعلك مريداً فجعلتك كذلك وفي «يد»: الخير مني بما أوليت بداء. فيمكن أن يقرأ أوليت على صيغة الخطاب والتكلم.

قوله تعالى: وبكثير من تسلطي لك أي من التسلط الذي جعلت لك على الخلق وعلى الأمور. وانطوى عن الشيء أي هاجره وجانبه. وفي التوحيد مكان تلك الفقرة: وبإحساني إليك قويت على طاعتي.

قوله تعالى: ولم آخذك عند عزتك أي لم أعذبك عند غفلتك، بل وعظمتك ونبتهك وحذرتك. وقوله: وهو قوله إلى قوله: من دابة ليس في التوحيد ولا يبعد كونه كلام علي بن إبراهيم.

١٥ - فس: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قال: قدر الأشياء في التقدير الأول ثم هدى إليها من يشاء^(١).

١٦ - ج: روي أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن القضاء والقدر، فقال: لا تقولوا: وكلهم الله إلى أنفسهم فتوهنوه، ولا تقولوا: جبرهم على المعاصي فتظلموه، ولكن قولوا: الخير بتوفيق الله، والشر بخذلان الله، وكل سابق في علم الله^(٢).

١٧ - قال الرضا عليه السلام: ثمانية أشياء لا تكون إلا بقضاء الله وقدره: النوم، واليقظة، والقوة، والضعف، والصحة، والمرض، والموت، والحياة^(٣).

١٨ - وقال النبي ﷺ: يقول الله ﷻ من لم يرض بقضائي، ولم يشكر لنعمائي، ولم يصبر على بلائي، فليتخذ رباً سوائى^(٤).

١٩ - ج: روي عن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز في نفي الجبر والتفويض أنه قال: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنه سأل رجل بعد انصرافه من الشام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام أبقضاء وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين: نعم يا شيخ ما علوتم تلمعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدره؛ فقال الرجل: عند الله أحاسب عنائي والله ما أرى لي من الأجر شيئاً.

فقال علي عليه السلام: بلى فقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون، وعلى

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٣ وفيه: تسليطي بدل تسلطي.

(٢) الاحتجاج، ص ٢٠٩. (٣) - (٤) الدعوات للراوندي، ص ١٦٩.

منصرفكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين؛ فقال الرجل: وكيف لا نكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا؟ فقال أمير المؤمنين لعلك أردت قضاءً لازماً وقدرأً حتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهي، وما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب، ولا محمداً لمحسن، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهداء الزور والبهتان، وأهل العمى والطغيان، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها؛ إن الله تعالى أمر تخيراً، ونهى تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يقطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل هزلاً، ولم ينزل القرآن عبثاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. قال ثم تلا عليهم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(١) قال: فنهض الرجل مسروراً وهو يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
وساق الأبيات إلى قوله:

أنى يحب وقد صحت عزمته؟ على الذي قال أعلن ذاك إعلاناً^(٢)

٢٠ - وروي أن الرجل قال: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال: الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعاله وقدره لأعمالنا، أما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال، فقال الرجل: فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك^(٣).

٢١ - فوائد الكراجكي، عن المفيد، عن محمد بن عمر الحافظ، عن إسحاق بن جعفر العلوي، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن سليمان بن محمد القرشي، عن السكوني، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام؛ إلى آخر الخبرين^(٤).

٢٢ - عده اعتقادنا في القضاء والقدر قول الصادق عليه السلام لزرارة حين سأله فقال: ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أقول: إن الله عز وجل إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم، ولم يسألهم عما قضى عليهم، والكلام في القدر منهي عنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قد سأله عن القدر: فقال: بحر عميق فلا تلجه، ثم سأله ثانية فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، ثم سأله ثالثة فقال: سر الله فلا تتكلفه^(٥).

(٢) - (٣) الاحتجاج، ص ٢٠٩.

(٥) اعتقادات الصدوق، ص ٧١.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٤) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٦٣.

٢٣ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر: ألا إن القدر سر من سر الله، وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله، مطوي عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله عن العباد علمه، ورفع فوق شهاداتهم، لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية، ولا بقدرة الصمدانية، ولا بعظمة النورانية، ولا بعزة الوجدانية، لأنه بحر زاخر، موج، خالص لله تعالى، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات والحيتان، تعلو مرة وتسفل أخرى، في قعره شمس تضيء، لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد، فمن تطلع عليها فقد ضاها الله في حكمه، ونازعه في سلطانه، وكشف عن سره وسره، وباء بغضب من الله، ومأواه جهنم، وبئس المصير^(١).

٢٤ - وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى مكان آخر، ف قيل له: يا أمير المؤمنين تفر من قضاء الله؟ فقال عليه السلام: أفر من قضاء الله إلى قدر الله. وسئل الصادق عليه السلام عن الرقى هل تدفع من القدر شيئاً؟ فقال: هي من القدر^(٢).

أقول: قال الشيخ المفيد رحمته الله في شرح هذا الكلام: عمل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذ لها وجوه تعرفها العلماء متى صحت وثبت إسنادها، ولم يقل فيه قولاً محضاً، وقد كان ينبغي له لما لم يعرف للقضاء معنى أن يهمل الكلام فيه والقضاء معروف في اللغة، وعليه شواهد من القرآن فalcضاء على أربعة أضراب: أحدها الخلق، والثاني الأمر، والثالث الإعلام، والرابع القضاء بالحكم؛ فأما شاهد الأول فقوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ مَمَوَاتٍ﴾^(٣) وأما الثاني فقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وأما الثالث فقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(٤) وأما الرابع فقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ يعني يفصل بالحكم بالحق بين الخلق، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. وقد قيل: إن للقضاء معنى خامساً وهو الفراغ من الأمر، واستشهد على ذلك بقول يوسف عليه السلام: ﴿قَضَىٰ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(٥) يعني فرغ منه، وهذا يرجع إلى معنى الخلق.

وإذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبرة: إن الله تعالى قضى بالمعصية على خلقه لأنه لا يخلو إما أن يكونوا يريدون به أن الله خلق العصيان في خلقه فكان يجب أن يقولوا: قضى في خلقه بالعصيان، ولا يقولوا قضى عليهم لأن الخلق فيهم لا عليهم، مع أن الله تعالى قد أكذب من زعم أنه خلق المعاصي بقوله سبحانه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾^(٦) كما مر؛ ولا وجه لقولهم: قضى المعاصي على معنى أمر بها لأنه تعالى قد أكذب مدعي ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٧) ولا معنى لقول من

(١) - (٢) اعتقادات الصدوق، ص ٧١. (٣) سورة فصلت، الآية: ١٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤. (٥) سورة يوسف، الآية: ٤١.

(٦) سورة السجدة، الآية: ٧. (٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

زعم أنه قضى بالمعاصي على معنى أنه أعلم الخلق بها إذ كان الخلق لا يعلمون أنهم في المستقبل يطيعون أو يعصون، ولا يحيطون علماً بما يكون منهم في المستقبل على التفصيل؛ ولا وجه لقولهم: إنه قضى بالذنوب على معنى أنه حكم بها بين العباد لأن أحكام الله تعالى حق، والمعاصي منهم، ولا لذلك فائدة وهو لغو باتفاق فبطل قول من زعم أن الله تعالى يقضي بالمعاصي والقبائح.

والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الذي بيّناه أن الله تعالى في خلقه قضاءً وقدرًا وفي أفعالهم أيضاً قضاءً وقدرًا معلوماً، ويكون المراد بذلك أنه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها، وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالإيجاد له؛ والقدر منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حقه وموضعه، وفي أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب لأن ذلك كله واقع موقعه وموضوع في مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً.

فإذا فسر القضاء في أفعال الله تعالى والقدر بما شرحناه زالت الشبهة منه وثبتت الحجة به ووضح القول فيه لذوي العقول ولم يلحقه فساد ولا اختلال.

فأما الأخبار التي رواها في النهي عن الكلام في القضاء والقدر فهي تحتل وجهين: أحدهما أن يكون النهي خاصاً بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم ويضلهم عن الدين ولا يصلحهم إلا الإمساك عنه وترك الخوض فيه، ولم يكن النهي عنه عاماً لكافة المكلفين وقد يصلح بعض الناس بشيء يفسد به آخرون، ويفسد بعضهم بشيء يصلح به آخرون، فدبر الأئمة عليهم السلام أشياءهم في الدين بحسب ما علموه من مصالحهم فيه.

والوجه الآخر أن يكون النهي عن الكلام فيهما النهي عن الكلام فيما خلق الله تعالى وعن علله وأسبابه وعمّا أمر به وتعبّد، وعن القول في علل ذلك إذ كان طلب علل الخلق والأمر محظوراً لأن الله تعالى سترها من أكثر خلقه ألا ترى أنه لا يجوز لأحد أن يطلب لخلق جميع ما خلق عللاً مفصلات، فيقول: لم خلق كذا وكذا؟ حتى يعدّ المخلوقات كلها ويحصيها، ولا يجوز أن يقول: لم أمر بكذا وتعبّد بكذا ونهى عن كذا؟ إذ تعبّد بذلك وأمره لما هو أعلم به من مصالح الخلق، ولم يطلع أحداً من خلقه على تفصيل ما خلق وأمر به وتعبّد، وإن كان قد أعلم في الجملة أنه لم يخلق الخلق عبثاً، وإنما خلقهم للحكمة والمصلحة، ودل على ذلك بالعقل والسمع، فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِيْمِينَ﴾^(١) وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾^(٢) وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٣) يعني بحق، ووضعناه في موضعه، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤) وقال فيما تعبّد: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ

(١) سورة الدخان، الآية: ٣٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

لِحُومِهَا وَلَا دِمَآؤِهَا وَلَكِنَّ بِنَايِهِ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ» (١).

وقد يصح أن يكون تعالى خلق حيواناً بعينه لعلمه تعالى بأنه يؤمن عند خلقه كفاراً، أو يتوب عند ذلك فساقاً، أو ينتفع به مؤمنون، أو يتعظ به ظالمون، أو ينتفع المخلوق نفسه بذلك، أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السماء، وذلك يغيب عنا، وإن قطعنا في الجملة أن جميع ما صنع الله تعالى إنما صنعه لأغراض حكمية، ولم يصنعه عبثاً، وكذلك يجوز أن يكون تعبّدنا بالصلاة لأنها تقرّبنا من طاعته وتبعدنا عن معصيته، وتكون العبادة بها لطفاً لكافة المتعبّدين بها أو لبعضهم.

فلما خفيت هذه الوجوه وكانت مستورة عنا ولم يقع دليل على التفصيل فيها وإن كان العلم بأنها حكمة في الجملة كان النهي عن الكلام في معنى القضاء والقدر إنما هو عن طلب علل لها مفضلة فلم يكن نهياً عن الكلام في معنى القضاء والقدر.

هذا إن سلمت الأخبار التي رواها أبو جعفر عليه السلام، فأما إن بطلت أو اختلف سندها فقد سقط عنا عهدة الكلام فيها، والحديث الذي رواه عن زرارة حديث صحيح من بين ما روى، والمعنى فيه ظاهر ليس به على العقلاء خفاء، وهو مؤيد للقول بالعدل ألا ترى إلى ما رواه عن أبي عبد الله عليه السلام من قوله: إذا حشر الله تعالى الخلائق سألهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم. وقد نطق القرآن بأن الخلق مسؤولون عن أعمالهم انتهى كلامه عليه السلام (٢).

وأقول: من تفكّر في الشبه الواردة على اختيار العباد وفروع مسألة الجبر والاختيار والقضاء والقدر علم سرّ نهى المعصوم عن التفكّر فيها فإنه قلّ من أمعن النظر فيها ولم يزلّ قدمه إلا من عصمه الله بفضله.

٢٥ - يده: المفسّر بإسناده إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام قال: قال الرضا عليه السلام فيما يصف به الربّ: لا يجور في قضيته، الخلق إلى ما علم منقادون، وعلى ما سطر في كتابه ماضون، لا يعملون خلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون. الخبر (٣).

٢٦ - يده: في خبر الفتح بن يزيد، عن أبي الحسن عليه السلام إنّ الله إرادتين ومشيتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أن الله نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك؟ ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيتهما مشية الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشية الله تعالى (٤).

أقول: أوردنا الخبر بإسناده وتمامه في باب جوامع التوحيد، قال الصدوق عليه السلام بعد

(٢) تصحيح الاعتقاد، ص ٣٩-٤٤.

(٤) التوحيد، ص ٦٤ باب ٢ ح ١٧.

(١) سورة الحج، الآية: ٣٧.

(٣) التوحيد، ص ٤٧ باب ٢ ح ٩.

إيراد هذا الخبر: إنَّ الله تعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وقد علم أنهما يأكلان منها لكنَّه عَزَّوَجَلَّ شاء أن لا يحول بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدر، كما منعهما عن الأكل منها بالنهي والزجر، فهذا معنى مشيَّته فيهما، ولو شاء عَزَّوَجَلَّ منعهما من الأكل بالجبر ثمَّ أكلا منها لكان مشيَّتهما قد غلبت مشيَّة الله كما قال العالم، تعالى الله عن العجز علواً كبيراً^(١).

بيان قيل: المراد بالمشيَّة في تلك الأخبار هو العلم، وقيل: هي تهيئة أسباب الفعل بعد إرادة العبد ذلك الفعل، وقيل: ارادة بالعرض يتعلَّق بفعل العبد، والأصوب أنها عبارة عن منع الألفاظ والهدايات الصارفة عن الفعل والداعية إليه لضرب من المصلحة، أو عقوبة لما صنع العبد بسوء اختياره كما مرَّ بيانه.

٢٧ - يده الدقاق، عن الكليني، عن ابن عامر، عن المعلى قال: سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: علم وشاء، وأراد وقدر، وقضى وأمضى؛ فامضى ما قضى، وقضى ما قدر، وقدر ما أراد؛ فبعلمه كانت المشيَّة، وبمشيَّته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدِّم على المشيَّة، والمشيَّة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فلله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشيَّة في المشاء قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس، من ذي لون وريح، ووزن وكيل، وما دبَّ ودرج، من إنس وجن، وطير وسباع، وغير ذلك ممَّا يدرك بالحواس، فلله تبارك وتعالى فيه البدء ممَّا لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدء، والله يفعل ما يشاء، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيَّة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها، وبالإرادة ميَّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها، وبالتقدير قدر أقاتها وعرف أولها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلَّهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها ذلك تقدير العزيز العليم^(٢).

بيان: قوله عليه السلام: قبل تفصيلها وتوصيلها أي في لوح المحو والإثبات، أو في الخارج. قوله عليه السلام: فإذا وقع العين المفهوم المدرك أي فصل وميَّز في اللوح، أو أوجد في الخارج، ولعلَّ تلك الأمور عبارة عن اختلاف مراتب تقديرها في لوح المحو والإثبات قد جعلها الله من أسباب وجود الشيء وشرائطه لمصالح، وقد مرَّ بيانها في باب البدء، فالمشيَّة كتابة وجود زيد وبعض صفاته مثلاً مجملاً، والإرادة كتابة العزم عليه بتاً مع كتابة بعض صفاته أيضاً، والتقدير تفصيل بعض صفاته وأحواله لكن مع نوع من الإجمال أيضاً، والقضاء

(١) التوحيد، ص ٦٥ باب ٢ ذيل حديث رقم ١٧. (٢) التوحيد، ص ٣٣٤ باب ٥٤ ح ٩.

تفصيل جميع الأحوال وهو مقارن للإمضاء أي الفعل والإيجاد، والعلم بجميع تلك الأمور أزلي قديم، فقله: وبالمشيئة عرّف على صيغة التفعيل، وشرح العلل كناية عن الإيجاد.

وقال بعض الأفاضل: الظاهر من السؤال أنه كيف علم الله؟ أبعلم مستند إلى الحضور العيني في وقته والشهود لموجود عيني؟ أو في موجود عيني كما في علومنا؟ أو بعلم مستند إلى الذات سابق على خلق الأشياء؟ فأجاب عليه السلام بأن العلم سابق على وجود المخلوق بمراتب، فقال: علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى، فالعلم ما به ينكشف الشيء، والمشيئة ملاحظته بأحوال مرغوب فيها يوجب فينا ميلاً دون المشيئة له سبحانه لتعالیه عن التغير والاتصاف بالصفة الزائدة، والإرادة تحريك الأسباب نحوه بحركة نفسانية فينا بخلاف الإرادة فيه سبحانه، والقدر التحديد وتعيين الحدود والأوقات، والقضاء هو الإيجاب، والامضاء هو الإيجاد، فوجود الخلق بعد علمه سبحانه بهذه المراتب؛ وقوله: فأمضى ما قضى أي فأوجد ما أوجب، وأوجب ما قدر، وقدر ما أراد، ثم استأنف البيان على وجه أوضح فقال: بعلمه كانت المشيئة وهي مسبقة بالعلم، وبمشيئته كانت الإرادة وهي مسبقة بالمشيئة، وإرادته كان التقدير والتقدير مسبق بالإرادة، وبتقديره كان القضاء والإيجاب وهو مسبق بالتقدير، إذ لا إيجاب إلا للمحدد الموقوف، ويقضائه وإيجابه كان الإمضاء والإيجاد؛ والله تعالى البدء فيما علم متى شاء فإن الدخول في العلم أول مراتب السلوك إلى الوجود العيني، وله البدء فيما علم متى شاء أن يبدو وفيما أراد، وحرك الأسباب نحو تحريكه متى شاء قبل القضاء والإيجاب فإذا وقع القضاء والإيجاب متلبساً بالإمضاء والإيجاد فلا بدء فعلم أن في المعلوم العلم قبل كون المعلوم وحصوله في الأذهان والأعيان، وفي المشاء المشيئة قبل عينه ووجوده العيني. وفي أكثر النسخ: المنشأ ولعل المراد به الإنشاء قبل الإظهار، كما في آخر الحديث، وفي المراد الإرادة قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها وحضورها العيني في أوقاتها، والقضاء بالإمضاء هو المبرم الذي يلزمه وجود المقضي، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وأصل العلم غير مرتبط بنحو من الحصول للمعلوم ولو في غيره بصورته المحددة، ولا يوجب نفس العلم والانكشاف بما هو علم وانكشاف للأشياء إنشاءها، وبالمشيئة ومعرفتها بصفاتها وحدودها أنشأها إنشاءً قبل الإظهار والإدخال في الوجود العيني، وبالإرادة وتحريك الأسباب نحو وجودها العيني ميّز بعضها عن بعض بتخصيص تحريك الأسباب نحو وجود بعض دون بعض، وبالتقدير قدرها وعين وحدد أقواتها وأوقاتها وآجالها، وبالقضاء وإيجابها بموجباتها أظهر للناس أماكنها، ودلهم عليها بدلائلها، فاهتدوا إلى العلم بوجودها حسب ما يوجبهم الموجب بعد العلم بالموجب، وبالإمضاء والإيجاد أوضح تفصيل عللها وأبان أمرها بأعيانها.

مروان بن مسلم، عن الثمالي، عن ابن طريف، عن الأصمغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود تريد واريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن أسلمت لما أريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد^(١).

٢٩ - يده: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن جعفر بن بشير، عن العزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لعلي عليه السلام غلام اسمه قنبر، وكان يحب علياً عليه السلام حباً شديداً، فاذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر ما لك؟ قال: جئت لأمشي خلفك فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك! قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟ قال: لا بل من أهل الأرض، قال: إن أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا بإذن الله تعالى من السماء، فارجع فرجع^(٢).

٣٠ - كاه: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس، فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنه معور، فقال أمير المؤمنين: حرس امرأ أجله، فلما قام سقط الحائط. قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفعل هذا وأشباهه وهذا اليقين^(٣).

٣١ - كاه: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة، عن سعيد بن قيس الهمداني قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس، إنه ليس من عبد إلا وله من الله تعالى حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل، أو يقع في بئر فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء^(٤).

بيان: يمكن أن يكون هذه الأمور من خصائصهم عليهم السلام، لعلمهم بعدم تضررهم بهذه الأمور وبوقت موتهم وسببه، ولذا فر عليه السلام من حائط كما سيأتي، ولم يفر من حائط كما مر، لعلمه بسقوط الأول وعدم سقوط الثاني، ويحتمل أن يكون المقصود من تلك الأخبار عدم المبالغة في الفرار عن البلايا والمصائب، وعدم ترك الواجبات للتوهمات البعيدة.

ويؤيده ما رواه الصدوق في الخصال عن ابن المتوكل، عن محمد العطار، عن محمد بن أحمد بن علي الكوفي، ومحمد بن الحسين، عن محمد بن حماد الحارثي، عن أبي

(١) التوحيد، ص ٣٢٧ باب ٥٥ ح ٤.

(٢) التوحيد، ص ٣٣٨ باب ٥٥ ح ٧. أقول: ويشهد على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُغَيِّبَكُمَا إِلَّا مَا كُتِبَ اللَّهُ لَكُمَا﴾ الآية [النمازي].

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٢ باب فضل اليقين ح ٥.

(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٢ باب فضل اليقين ح ٨.

عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: خمسة لا يستجاب لهم: أحدهم رجل مرّ بحائط مائل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتى سقط عليه. الخبر (١).

٣٢ - يده: ابن الوليد، عن الصفار، عن جعفر بن محمد بن عبد الله، عن القدّاح، عن جعفر بن محمد، عن أبيه ﷺ قال: قيل لعليّ ﷺ: إنّ رجلاً يتكلّم في المشية فقال: ادعه لي، فقال: فدعي له، فقال: يا عبد الله خلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: لما شاء، قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء، قال: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء، قال: فيدخلك حيث يشاء أو حيث شئت؟ فقال: حيث يشاء، قال: فقال عليّ ﷺ: لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك (٢).

٣٣ - يده وبهذا الإسناد قال: دخل على أبي عبد الله ﷺ أو أبي جعفر ﷺ رجل من أتباع بني أمية فخفنا عليه، فقلنا له: لو تواريت وقلنا ليس هو ههنا! قال: بلى ائذنوا له فإن رسول الله ﷺ قال: إنّ الله عزّ وجلّ عند لسان كلّ قاتل ويد كلّ باسط، فهذا القاتل لا يستطيع أن يقول إلّا ما شاء الله، وهذا الباسط لا يستطيع أن يسط يده إلّا بما شاء الله فدخل عليه فسأله عن أشياء آمن بها وذهب (٣).

٣٤ - يده: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن معبد، عن درست، عن الفضيل قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: شاء وأراد ولم يحبّ ولم يرض، شاء أن لا يكون في ملكه شيء إلّا بعلمه وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر (٤).

يده: إنّ الله تبارك وتعالى قد قضى جميع أعمال العباد وقدرها وجميع ما يكون في العالم من خير وشرّ، والقضاء قد يكون بمعنى الإعلام كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْكُمْ بَيِّنَاتٍ﴾ (٥) يريد أعلمناهم، وكما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ (٦) يريد أخبرناه وأعلمناه، فلا ينكر أن يكون الله عزّ وجلّ يقضي أعمال العباد وسائر ما يكون من خير وشرّ على هذا المعنى لأنّ الله عزّ وجلّ عالم بها أجمع، ويصحّ أن يعلمها عباده ويخبرهم عنها، وقد يكون القدر أيضاً في معنى الكتاب والإخبار كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا أَمْرًا تَقْدَرْنَهَا مِنَ الْغَيْبِ﴾ (٧) يعني كتبنا وأخبرنا؛ وقال العجاج: واعلم بأن ذا الجلال قد قدر في الصحف الأولى التي كان سطر

وقدر معناه كتب؛ وقد يكون القضاء بمعنى الحكم والإلزام قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٨) يريد حكم بذلك وألزمه خلقه، فقد يجوز أن يقال: إنّ

(١) الخصال، ص ٢٩٩ باب الخمسة ح ٧١. (٢) التوحيد، ص ٣٣٧ باب ٥٥ ح ٢.

(٣) التوحيد، ص ٣٣٧ باب ٥٥ ح ٣. (٤) التوحيد، ص ٣٣٩ باب ٥٥ ح ٩.

(٥) سورة الاسراء، الآية: ٤. (٦) سورة الحجر، الآية: ٦٦.

(٧) سورة النمل، الآية: ٥٧. (٨) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

الله ﷻ قد قضى من أعمال العباد على هذا المعنى ما قد ألزمه عباده وحكم به عليهم وهي الفرائض دون غيرها، وقد يجوز أيضاً أن يقدر الله ﷻ أعمال العباد بأن يبين مقاديرها وأحوالها من حسن وقبح وفرض ونافلة وغير ذلك، ويفعل من الأدلة على ذلك ما يعرف به هذه الأحوال لهذه الأفعال فيكون ﷻ مقدراً لها في الحقيقة، وليس يقدرها ليعرف مقدارها ولكن ليبين لغيره ممن لا يعرف ذلك حال ما قدره بتقديره إياه، وهذا أظهر من أن يخفى وأبين من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه ألا ترى أننا قد نرجع إلى أهل المعرفة بالصناعات في تقديرها لنا فلا يمنعهم علمهم بمقاديرها من أن يقدروها لنا ليبينوا لنا مقاديرها؟ وإنما أنكرنا أن يكون الله ﷻ حكماً بها على عباده ومنعهم من الانصراف عنها أو أن يكون فعلها وكونها فأمّا أن يكون ﷻ خلقها خلق تقدير فلا ننكره.

وسمعت بعض أهل العلم يقول: إن القضاء على عشرة أوجه: فأول وجه منها العلم، وهو قول الله ﷻ: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَمْقُوبَ قَضَيْنَا﴾^(١) يعني علمها.

والثاني: الإعلام وهو قوله ﷻ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْكَ بَقِيَ إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَابرَ هَؤُلَاءِ﴾ أي أعلمناه.

والوجه الثالث: الحكم وهو قوله ﷻ: ﴿وَيَقْضِي رَبُّكَ بِالْحَقِّ﴾ يعني يحكم بالحق.

والرابع: القول وهو قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾^(٢) أي يقول الحق.

والخامس: الحتم وهو قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ يعني حتمنا فهو القضاء الحتم.

والسادس: الأمر وهو قوله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ يعني أمر ربك.

والسابع: الخلق وهو قوله ﷻ: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ يعني خلقهن.

والثامن: الفعل وهو قوله ﷻ: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي افعل ما أنت فاعل.

والتاسع: الإتمام وهو قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ وقوله ﷻ حكاية عن

موسى: ﴿أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي أتممت.

والعاشر: الفراغ من الشيء، وهو قوله ﷻ: ﴿قَضَى الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يعني

فرغ لكما منه، وقول القائل: «قد قضيت لك حاجتك» يعني فرغت لك منها فيجوز أن يقال:

إن الأشياء كلها بقضاء الله وقدره تبارك وتعالى بمعنى أن الله ﷻ قد علمها وعلم

مقاديرها، وله ﷻ في جميعها حكم من خير أو شر، فما كان من خير فقد قضاه بمعنى أنه

أمر به وحتمه وجعله حقاً وعلم مبلغه ومقداره، وما كان من شر فلم يأمر به ولم يرضه،

ولكنه ﷻ قد قضاه وقدره بمعنى أنه علمه بمقداره ومبلغه وحكم فيه بحكمه.

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٠.

والفتنة على عشرة أوجه: فوجه منها الضلال.

والثاني: الاختبار وهو قوله ﷺ: ﴿وَفَنَّكَ فُتُونًا﴾^(١) يعني اختبارناك اختباراً، وقوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَحْسِبُ النَّاسَ أَنْ يَبْزُكَوْا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقِنُونَ﴾^(٢) يعني لا يختبرون.

والثالث: المحجة وهو قوله ﷺ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٣).

والرابع: الشرك وهو قوله ﷺ: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٤).

والخامس: الكفر وهو قوله ﷺ: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ يعني في الكفر.

والسادس: الإحراق بالنار، وهو قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية يعني أحرقوا.

والسابع: العذاب وهو قوله ﷺ: ﴿يَوْمَ نَمُوتُ عَلَى النَّارِ نُنْفِثُونَ﴾^(٥) يعني يعذبون، وقوله ﷺ: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾^(٦) يعني عذابكم، وقوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ يعني عذابه ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾^(٧).

والثامن: القتل وهو قوله ﷺ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْنِيَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٨) يعني إن خفتم أن يقتلوكم، وقوله ﷺ: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْنِيَهُمْ﴾^(٩) يعني أن يقتلهم.

والتاسع: الصد وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوتِيتَ﴾ الآية^(١٠) يعني ليصدونك.

والعاشر: شدة المحنة وهو قوله ﷺ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١١) وقوله ﷺ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوِيمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١٢) أي محنة فيفتنوا بذلك، ويقولوا في أنفسهم: لم نقتلهم إلا ودينهم الباطل وديننا الحق فيكون ذلك داعياً لهم إلى النار على ما هم عليه من الكفر والظلم. وقد زاد علي بن إبراهيم بن هاشم على هذه الوجوه العشرة وجهاً آخر فقال: في الوجوه من الفتنة ما هو المحبة وهو قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(١٣) أي محبة، والذي عندي في ذلك أن وجوه الفتنة عشرة، وأن الفتنة في هذا

(١) سورة طه، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢٣.

(٥) - (٦) سورة الذاريات، الآيتان: ١٣ و ١٤.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٠١.

(١٠) سورة الإسراء، الآية: ٧٣.

(١٢) سورة يونس، الآية: ٨٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ١-٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩١.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٩) سورة يونس، الآية: ٨٥.

(١١) سورة الممتحنة، الآية: ٥.

(١٣) سورة الانفال، الآية: ٢٨.

الموضع أيضاً المحنة بالنون لا المحبة بالباء، وتصديق ذلك قول النبي ﷺ : «الولد مجهلة مجبنة مبخلة» وقد أخرجت هذا الحديث مسنداً في كتاب مقتل الحسين بن علي عليه السلام (١).

بيان: قوله ﷺ : مجهلة أي يحملون آباءهم على الجهل، مجبنة أي يحملونهم على الجبن. مبخلة أي يحملونهم على البخل.

أقول: هذه الوجوه من القضاء والفتنة المذكورة في تفسير النعماني فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد أثبتناه بإسناده في كتاب القرآن.

٣٥- يده: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمد البرقي، عن عبد الملك بن عنترة الشيباني، عن أبيه، عن جده قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال: بحر عميق فلا تلجه. فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال: طريق مظلم فلا تسلكه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال: سر الله فلا تتكلفه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما إذا آيت فإني سائلك: أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟ قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد؛ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم، وقد كان كافراً، قال: وانطلق الرجل غير بعيد ثم انصرف إليه فقال له: يا أمير المؤمنين أبالمشية الأولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وإنك لبعيد في المشية! أم إني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا؟ فقال: كما شاء، قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟ فقال: لما شاء، قال: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟ قال: يأتونه كما شاء، قال: قم فليس إليك من المشية شيء (٢).

بيان: لعل المراد المشية المستقلة التي لا يحتاج معها إلى عون الله وتوفيقه.

٣٦- يده: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن زرارة، عن عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن القضاء والقدر خلقان من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء (٣).

٣٧- فس: النضر، عن هشام، وعبيد، عن حمران، عنه عليه السلام مثله.

بيان: خلقان من خلق الله بضم الخاء أي صفتان من صفات الله، أو بفتحها، أي هما نوعان من خلق الأشياء وتقديرها في الألواح السماوية، وله البدء فيها قبل الإيجاد، فذلك

(٢) التوحيد، ص ٣٦٥ باب ٦٠ ح ٣.

(١) التوحيد، ص ٣٨٤ باب ٦٠ ح ٣٢.

(٣) التوحيد، ص ٣٦٤ باب ٦٠ ح ١.

قوله: يزيد في الخلق ما يشاء؛ أو المعنى أنهما مرتبتان من مراتب خلق الأشياء فإنها تتدرج في الخلق إلى أن تظهر في الوجود العيني.

٣٨ - يده: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن درست، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قلت له: جعلت فداك ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أقول: إن الله تعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم، ولم يسألهم عما قضى عليهم^(١).

بيان: هذا الخبر يدل على أن القضاء والقدر إنما يكون في غير الأمور التكليفية كالمصائب والأمراض وأمثالها، فلعل المراد بهما القضاء والقدر الحتميان.

٣٩ - يده: أبي، عن سعد، عن الإصبهاني، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري قال: قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلني الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ فقال: إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا يحس، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلاحا، كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئاً لم يحس، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم، ولكنهما باجتماعهما قويا، والله فيه العيون لعباده الصالحين. ثم قال: ألا إن من أجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدي جوراً، ألا إن للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما العيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه. ثم التفت إلى السائل عن القدر فقال: هذا منه هذا منه^(٢).

بيان: أي فتح عيني القلب وتركهما من القدر.

٤٠ - يده: القطان، عن ابن زكريا، عن ابن حبيب، عن علي بن زياد، عن مروان بن معاوية، عن الأعمش، عن ابن حبان التيمي، عن أبيه - وكان مع علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين وفيما بعد ذلك - قال: بينما علي بن أبي طالب عليه السلام يعطي الكتائب يوم صفين، ومعاوية مستقبلة على فرس له يتأكل تحته تأكلًا، وعلي عليه السلام على فرس رسول الله صلى الله عليه وآله المرتجز، ويده حربة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو متقلد سيفه ذا الفقار، فقال رجل من أصحابه: احترس يا أمير المؤمنين فإننا نخشى أن يغتالك هذا الملعون، فقال علي عليه السلام: لئن قلت ذاك إنه غير مأمون على دينه، وإنه لأشقى القاسطين، وألعن الخارجين على الأئمة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردى في بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله خلوا بينه وبين ما يصيبه،

(١) التوحيد، ص ٣٦٥ باب ٦٠ ح ٢.

(٢) التوحيد، ص ٣٦٦ باب ٦٠ ح ٤.

فكذلك أنا إذا حان أجلي انبعث أشقاها فخضب هذه من هذا - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهداً معهوداً، ووعداً غير مكذوب^(١). والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

٤١ - يده: الوراق وابن مغيرة معاً، عن سعد، عن النهدي، عن ابن علوان، عن عمرو بن ثابت، عن ابن طريف، عن ابن نباتة قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر فقبل له يا أمير المؤمنين تفر من قضاء الله؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله ﷻ ^(٢).

بيان: أي أن الفرار أيضاً من تقديره تعالى، فلا ينافي كون الأشياء بقضاء الله الفرار من البلايا والسعي في تحصيل ما يجب السعي فيه، فإن كل ذلك داخل في علمه وقضائه، ولا ينافي شيء من ذلك اختيار العبد كما مر، ويحتمل أن يكون المراد بقدر الله هنا حكمه وأمره أي إنما أفر من القضاء بأمره تعالى.

٤٢ - يده: أبي وابن الوليد معاً، عن محمد العطار، وأحمد بن إدريس معاً، عن الأشعري، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن ابن أذينة، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كما أن بادئ النعم من الله ﷻ وقد نحلكموه، وكذلك الشر من أنفسكم وإن جرى به قدره^(٣).

٤٣ - يده: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعري، عن يوسف بن الحارث، عن محمد بن عبد الرحمن العزمي، عن أبيه رفعه إلى من قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة^(٤).

٤٤ - فس: محمد بن جعفر، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن محمد السيار، عن فلان، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إن الله جعل قلوب الأئمة مودداً لإرادته فإذا شاء الله شيئاً شاؤوه، وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

٤٥ - فس: جعفر بن أحمد، عن عبد الله بن موسى، عن ابن البطائني، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: لأن المشية إليه تبارك وتعالى لا إلى الناس^(٦).

بيان: لعل المراد أن المشية إنما هي مما خلقها الله في العبد وجعله شائئاً فلا يشاؤون إلا بعد أن جعلهم الله بحيث يقدر على المشية، أو أن المشية المستقلة التي لا يعارضها شيء

(١) التوحيد، ص ٣٦٧ باب ٦٠ ح ٥. (٢) التوحيد، ص ٣٦٩ باب ٦٠ ح ٨.

(٣) - (٤) التوحيد، ص ٣٦٨ باب ٦٠ ح ٦-٧.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠١-٤٠٢ في تفسيره لسورة التكويد، الآية: ٢٩.

(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠٢.

إنما هي لله تعالى، وأما مشيئة العباد فهي مشوبة بالعجز يمكن أن يصرفهم الله تعالى عنها إذا شاء، فهم لا يشاؤون إلا بعد أن يهتئ الله لهم أسباب الفعل ولم يصرفهم عن مشيئتهم، فالمعنى أن المشيئة المستقلة إليه تعالى، أو أن أسباب المشيئة ونفوذها بقدرته تعالى.

وفي الآية وجه آخر ذكر في الخبر السابق، وحاصله أن الله تعالى بعد أن أكمل أوليائه وحججه ﷺ لا يشاؤون شيئاً إلا بعد أن يلهمهم الله تعالى ويلقي المشيئة في قلوبهم، فهو المتصرف في قلوبهم وأبدانهم والمسدد لهم في جميع أحوالهم فالآية خاصة غير عامة. وقال الطبرسي رحمه الله: فيه أقوال: أحدها أن معناه: وما تشاؤون الاستقامة إلا أن يشاء الله ذلك من قبل حيث خلقكم لها وكلفكم بها، فمشيئته تعالى بين يدي مشيئكم.

وثانيها: أنه خطاب للكفار والمراد: لا تشاؤون الإسلام إلا أن يشاء الله أن يجبركم عليه ويلجئكم إليه، ولكنه لا يفعل لأنه يريد منكم أن تؤمنوا اختياراً لتستحقوا الثواب.

وثالثها: أن المراد: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أن يلطف لكم في الاستقامة^(١).

٤٦ - فس: قال علي بن إبراهيم: وأما الرد على المعتزلة فإن الرد من القرآن عليهم كثير، وذلك أن المعتزلة قالوا: نحن نخلق أفعالنا وليس لله فيها صنع ولا مشيئة ولا إرادة ويكون ما شاء إبليس، ولا يكون ما شاء الله، واحتجوا أنهم خالقون بقول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فقالوا: في الخلق خالقون غير الله، فلم يعرفوا معنى الخلق وعلى كم وجه هو^(٢)، فسئل الصادق عليه السلام: أفروض الله إلى العباد أمراً؟ فقال: الله أجل وأعظم من ذلك، فقيل: فأجبرهم على ذلك؟ فقال: الله أعدل من أن يجبرهم على فعل ثم يعذبهم عليه، فقيل له: هل بين هاتين المنزلتين منزلة؟ قال: نعم ما بين السماء والأرض.

٤٧ - وفي حديث آخر قال: سئل هل بين الجبر والقدر منزلة؟ قال: نعم، فقيل ما هو؟ فقال: سر من أسرار الله.

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٨٢.

(٢) وقال الفضل بن شاذان النيشابوري في كتاب الايضاح ص ٥: ومنهم المعتزلة الذين يقولون في التوحيد وعذاب القبر والميزان والصراط مثل قول الجهمية ويقولون: إن الله لم يقض ولم يقدر علينا خيراً ولا شراً ولا قضاء ولا قدراً ويقولون: إن الجنة والنار لم تخلقا بعد، ويقولون: إن شئنا زاد الله في الخلق وإن شئنا لم يزد، لأن سبب النشأ والولد الينا، إن شئنا فعلنا وإن لم نشأ لم نفعل، ويقولون: إن الله لم يخلق الشر (وأنه يكون ما لا يشاء الله وإن الله لا يشاء الشر) ولا يشاء إلا ما يحب فلزمهم أن يقولوا: إن الله خلق الكلاب والخنازير، وإن الله يحبهما أو يقولوا: إن الله لم يشأهما ولم يخلقهما فيكونون بذلك قد صدقوا المجوس؛ الخ. والاصل فيهم واصل بن عطا كان يجلس إلى الحسن البصري فلما ظهر الاختلاف خرج عن الفريقين فطرده الحسن، فاعتزل عنه وتبعه عمرو بن عبيد وجمع فسماوا المعتزلة. [مستدرک السفينة ج ٧ لغة عزل].

٤٨ - وفي حديث آخر قال: هكذا خرج إلينا^(١).

٤٩ - قال: وحدثني محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس قال: قال الرضا عليه السلام: يا يونس لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس فإن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(٢) ولم يقولوا بقول أهل النار، فإن أهل النار قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾^(٣) وقال إبليس: ﴿رَبِّ يَا أَغْوَيْنِي﴾^(٤) فقلت: يا سيدي والله ما أقول بقولهم ولكني أقول: لا يكون إلا ما شاء الله وقضى وقدر، فقال: ليس هكذا يا يونس ولكن لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، أتدري ما المشية يا يونس؟ قلت: لا، قال: هو الذكر الأول: وتدري ما الإرادة؟ قلت: لا؟ قال العزيمة على ما شاء؛ وتدري ما التقدير؟ قلت: لا، قال: هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق والبقاء والفناء؛ وتدري ما القضاء؟ قلت: لا، قال: هو إقامة العين، ولا يكون إلا ما شاء الله في الذكر الأول^(٥).

بيان: الظاهر أن المراد بالقدرية هنا من يقول: إن أفعال العباد، ووجودها ليست بقدره الله ويقدره، بل باستقلال إرادة العبد به واستواء نسبة الإرادتين إليه، وصدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة، كما ذهب إليه بعض المعتزلة. لا يقول بقول أهل الجنة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه، ولا بقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم، ولا بقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه، والفرق بين كلامه عليه السلام وكلام يونس إنما هو في الترتيب، فإن في كلامه عليه السلام التقدير مقدم على القضاء كما هو الواقع، وفي كلام يونس بالعكس، والذكر هو الكتابة مجملاً في لوح المحو والإثبات، أو العلم القديم.

٥٠ - ثواب علي بن أحمد، عن محمد بن جعفر، عن محمد بن أبي القاسم، عن إسحاق بن إبراهيم، عن علي بن موسى البصري، عن سليمان بن عيسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن أرواح القدرية يعرضون على النار غدواً وعشيا حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة عذبوا مع أهل النار بالوان العذاب، فيقولون: يا ربنا عذبتنا خاصة وتعذبنا عامة فیرد عليهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾^(٦) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ^(٧).

بيان: قال الطبرسي رحمته الله: أي خلقنا كل شيء خلقناه مقدراً بمقدار توجه الحكمة لم نخلقه جزافاً، فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الاستحقاق، وكذلك كل شيء خلقناه في الدنيا والآخرة خلقناه مقدراً بمقدار معلوم. وقيل: معناه خلقنا كل شيء على قدر معلوم، فخلقنا

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٦) ثواب الأعمال، ص ٤٨.

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٦.

(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥.

اللسان للكلام، واليد للبطش، والرجل للمشي، والعين للنظر، والأذن للسمع، والمعدة للطعام، ولو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الغرض. وقيل: معناه: جعلنا لكل شيء شكلاً يوافقه ويصلح له، كالمرأة للرجل، والأتان للحمار، وثياب الرجال للرجال، وثياب النساء للنساء. وقيل: خلقنا كل شيء بقدر مقدر وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ^(١).

٥١ - ثوب: علي بن أحمد، عن محمد بن جعفر، عن محمد بن أبي بشر، عن محمد بن عيسى الدامغاني، عن محمد بن خالد البرقي، عن يونس، عن عمن حدثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أنزل الله هذه الآيات إلا في القدرية: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ^(٢).

٥٢ - ثوب: علي بن أحمد، عن محمد بن جعفر، عن مسلمة بن عبد الملك، عن داود ابن سليمان، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدرية^(٣).

٥٣ - ثوب: العطار، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازي، عن صفوان، عن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يحشر المكذبون بقدر الله من قبورهم قد مسخوا قردة وخنازير^(٤).

٥٤ - ثوب: ابن المتوكل، عن الحميري، عن ابن أبي الخطاب، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن زرارة ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في القدرية: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٥).

٥٥ - شي: عن زرارة وحمزان ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِبُهُ فِي عَنَقِهِ﴾^(٦) قال: قدره الذي قدره عليه^(٧).

٥٦ - وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خيره وشره معه، حيث كان لا يستطيع فراقه حتى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل^(٨).

بيان: قال الطبرسي رحمته الله: معناه وألزمنا كل إنسان عمله من خير أو شر في عنقه، أي جعلناه كالطوق في عنقه لا يفارقه. وقيل: طائره يمنه وشؤمه وهو ما يتطير به. وقيل: طائره حظه من الخير والشر؛ وخصّ العنق لأنه محلّ الطوق الذي يزين المحسن، والغلّ الذي يشين المسيء، وقيل: طائره كتابه. وقيل: معناه: جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه لأن الطائر يستدلّ به عندهم على الأمور الكائنة، فيكون معناه: كل إنسان دليل نفسه وشاهد

(٢) ثواب الأعمال، ص ٢٥٢.

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٢٤.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

(٣) - (٥) ثواب الأعمال، ص ٢٥٣.

(٨) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٨.

(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٧ ح ٤٢.

عليها، إن كان محسناً فطائره ميمون، وإن أساء فطائره مشوم^(١).

٥٧ - ثو: ابن المتوكل، عن محمد بن جعفر، عن النخعي، عن النوفلي، عن السكوني، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال: يجاء بأصحاب البدع يوم القيامة فترى القدرة من بينهم كالشامة البيضاء في الثور الأسود فيقول الله عز وجل: ما أردتم؟ فيقولون: أردنا وجهك، فيقول: قد أقلتكم عثراتكم وغفرت لكم زلاتكم إلا القدرة فإنهم دخلوا في الشرك من حيث لا يعلمون^(٢).

بيان: المراد بأصحاب البدع من لم يتنه به بدعته إلى الكفر فضلوا من حيث لا يعلمون.
٥٨ - ثو: بهذا الإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر^(٣).

٥٩ - ثو: بهذا الإسناد قال: دخل مجاهد مولى عبد الله بن عباس على علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في كلام أهل القدر؟ - ومعه جماعة من الناس - فقال أمير المؤمنين عليه السلام: معك أحد منهم أو في البيت أحد منهم؟ قال: ما تصنع بهم يا أمير المؤمنين؟ قال: أستبيهم فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم^(٤).

٦٠ - ثو: بالإسناد المتقدم عن السكوني، عن مروان بن شجاع، عن سالم الأبطس، عن سعيد بن جبير قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيمان^(٥).

٦١ - ثو: ابن المتوكل، عن محمد بن جعفر، عن أحمد بن محمد العاصمي، عن علي بن عاصم، عن محمد بن عبد الرحمن، عن يحيى بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجنة باليهودية، ولا من القدرة بالنصرانية^(٦).

٦٢ - ير: أحمد بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن القضاء والقدر، فقال: هما خلقان من خلق الله والله يزيد في الخلق ما يشاء، وأردت أن أسأله في المشيئة فنظر إلي فقال: يا جميل لا أجيبك في المشيئة^(٧).

٦٣ - سن: أبي، عن إسماعيل بن إبراهيم، وابن أبي عمير، عن ابن بكير، عن زرارة، عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله الله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٨) فقال: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، قلت: فقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾^(٩) قال: لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم^(١٠).

(٢) ثواب الأعمال، ص ٢٥٣.

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٣٠.

(٤) - (٦) ثواب الأعمال، ص ٢٥٤.

(٣) ثواب الأعمال، ص ٢٥٣ وفيه: بالقدر.

(٨) سورة الانسان، الآية: ١.

(٧) بصائر الدرجات ص ٢٣٢ ج ٥ باب ١٠ ح ١٧.

(١٠) المحاسن، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٩) سورة مريم، الآية: ٦٧.

بيان: ولا علم أي علم أحد من المخلوقين، والخلق في هذه الآية يحتمل التقدير والإيجاد. قوله عليه السلام: كان شيئاً أي مقدراً، كما روى الكليني عن مالك الجهني مكان «شيئاً: «مقدراً غير مذكور» أي عند الخلق أي غير موجود ليذكر عند الخلق، أو كان مقدراً في اللوح لكن لم يوح أمره إلى أحد من الخلق.

٦٤ - سنن: أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله إذا أراد شيئاً قدره، فإذا قدره قضاه، فإذا قضاه أمضاه^(١).

٦٥ - سنن: أبي، عن فضالة، عن محمد بن عمار، عن حريز بن عبد الله، أو عبد الله بن مسكان قال: قال أبو جعفر عليه السلام لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب، وأجل؛ فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة منهن فقد كفر^(٢).

٦٦ - سنن: النضر، عن هشام، وعبيد بن زرارة، عن حمran، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت أنا والطيار جالسين فجاء أبو بصير فأفرجنا له فجلس بيني وبين الطيار، فقال: في أي شيء أنتم؟ قلنا: كنا في الإرادة والمشيئة والمحبة، فقال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شاء لهم الكفر وأراد؟ فقال: نعم، قلت: فأحب ذلك ورضيه؟ فقال: لا، قلت: شاء وأراد ما لم يحب ولم يرض؟ قال: هكذا خرج إلينا^(٣).

٦٧ - سنن: أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المشيئة محدثة^(٤).

٦٨ - سنن: أبي، عن يونس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه، قلت: فما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مرد له^(٥).

بيان: ابتداء الفعل أي أول الكتابة في اللوح، أو أول ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه مما يؤدي إلى وجود المعلول.

٦٩ - سنن: أبي، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن إسحاق قال: قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين: يا يونس لا تتكلم بالقدر، قال: إني لا أتكلم بالقدر ولكن أقول: لا يكون إلا ما أراد الله وشاء وقضى وقدر، فقال: ليس هكذا أقول، ولكن أقول: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى؛ ثم قال: أتدري ما المشيئة؟ فقال: لا، فقال: همته بالشيء؛ أو تدري ما أراد؟ قال: لا، قال: إتمامه على المشيئة، فقال: أو تدري ما قدر؟ قال:

لا، قال: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء. ثم قال: إن الله إذا شاء شيئاً أَرَادَهُ، وإذا أَرَادَ قَدْرَهُ، وإذا قَدَّرَهُ قَضَاهُ، وإذا قَضَاهُ أَمْضَاهُ؛ يا يونس إنَّ القدرية لم يقولوا بقول الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ولا قالوا بقول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ ولا قالوا بقول أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾^(١) ولا قالوا بقول إبليس: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَوَيْتُكَ﴾ ولا قالوا بقول نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْرَتِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢) ثم قال: قال الله: يا بن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء، وبقوتي أدبت إليَّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، وجعلتك سميعاً بصيراً قوياً، فما أصابك من حسنة فمعي، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك أني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون، ثم قال: قد نظمت لك كل شيء تريده^(٣).

٧٠ - ضياء سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن القدر قال: فقل له: أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين؛ فقال: سر الله فلا تفتشوه. فقل له الثاني: أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين، قال: بحر عميق فلا تلجوه، فقل له: أنبئنا عن القدر، فقال: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾^(٤) فقال: يا أمير المؤمنين إنما سألناك عن الاستطاعة التي بها نقوم ونقعد، فقال: استطاعة تملك مع الله أم دون الله؟ قال: فسكت القوم ولم يحيروا جواباً، فقال ﷺ: إن قلتم: إنكم تملكونها مع الله قتلتمكم، وإن قلتم: دون الله قتلتمكم! فقالوا: كيف نقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تملكونها بالذي يملكها دونكم فإن أمركم بها كان ذلك من عطائه، وإن سلبها كان ذلك من بلائه، إنما هو المالك لما ملككم، والقادر لما عليه أقدركم، أما تسمعون ما يقول العباد ويسألونه الحول والقوة حيث يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله، فسئل عن تأويلها، فقال: لا حول عن معصيته إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بعونه^(٥).

٧١ - قال العالم كتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما يسأله عن القدر، وكتب إليه: فاتبع ما شرحت لك في القدر مما أفضي إلينا أهل البيت فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله ﷻ فقد افترى على الله افتراءً عظيماً، إن الله تبارك وتعالى لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولا يهمل العباد في الهلكة، لكنه المالك لما ملكهم، والقادر لما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله صادراً عنها مبطناً، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء أن يمنَّ عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها قسراً، ولا كلفهم

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٣٤.

(٣) المحاسن، ص ٢٤٤.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٥) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٤٠٨ باب ١١٨.

جبراً، بل بتمكينه إياهم بعد إعداره وإنذاره لهم واحتجاجه عليهم طوقهم ومكنهم، وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم، وترك ما عنه نهاهم، جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم به من شيء غير آخذه، ولترك ما نهاهم عنه من شيء غير تاركه، والحمد لله الذي جعل عباده أقوياء لما أمرهم به، ينالون بتلك القوة وما نهاهم عنه، وجعل العذر لمن يجعل له السبيل، حمداً متقبلاً فإنا على ذلك أذهب وبه أقول، والله وأنا وأصحابي أيضاً عليه، وله الحمد^(١).

٧٢ - نهج: قال عليه السلام - وقد سئل عن القدر - : طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسر الله فلا تتكلفوه^(٢).

٧٣ - ضاء: سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن مشيئة الله وإرادته، فقال عليه السلام : إنَّ الله مشيئتين : مشيئة حتم، ومشية عزم، وكذلك إنَّ الله إرادتين : إرادة حتم، وإرادة عزم، إرادة حتم لا تخطئ، وإرادة عزم تخطئ وتصيب، وله مشيئتان : مشيئة يشاء، ومشية لا يشاء؛ ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، معناه أراد من العباد وشاء ولم يرد المعصية وشاء، وكل شيء بقضائه وقدره، والأمور تجري ما بينهما، فإذا أخطأ القضاء لم يخطئ القدر، وإذا لم يخطئ القدر لم يخطئ القضاء، وإنما الخلق من القضاء إلى القدر وإذا يخطئ ومن القدر إلى القضاء؛ والقضاء على أربعة أوجه في كتاب الله تعالى الناطق على لسان سفيره الصادق عليه السلام : منها قضاء الخلق وهو قوله تعالى : ﴿ فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾^(٣) معناه خلقهن.

والثاني قضاء الحكم وهو قوله : ﴿ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ معناه حكم.

والثالث قضاء الأمر وهو قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ معناه أمر ربك.

والرابع قضاء العلم وهو قوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾^(٤) معناه علمنا من بني إسرائيل، قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد وشاء الطاعة وأراد منهم لأنَّ المشيئة مشيئة الأمر ومشية العلم، وإرادته إرادة الرضا وإرادة الأمر، أمر بالطاعة ورضي بها، وشاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها، فهذا من عدل الله تبارك وتعالى في عباده جلَّ جلاله وعظم شأنه^(٥).

أقول: كانت النسخة سقيمة فأوردناه كما وجدناه.

قوله عليه السلام : إذا أخطأ القضاء يمكن أن يقرأ بغير همز : والمعنى إذا جاوز أمر من الأمور التي شرع في تهيئة أسباب وجوده القضاء ولم يصر مقضياً فلا يتجاوز عن القدر، ولا محالة يدخل في التقدير، وإنما يكون البدء بعد التقدير. وإذا لم يخطئ من المضاعف بمعنى الكتابة

(١) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٤٠٨ باب ١١٨.

(٢) نهج البلاغة قصار الحكم.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٥) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٤١٠ باب ١١٩.

أي إذا لم يكتب شيء في لوح القدر لا يكتب في لوح القضاء إذ هو بعد القدر. وإنما الخلق من القضاء أي إذا لوحظت علل الخلق والإيجاد ففي الترتيب الصعودي يتجاوز من القضاء إلى القدر، والتخلفي والبداء إنما يكون بعد القدر قبل القضاء، والأظهر أنه كان وإذا أخطأ القدر مكان «وإذا لم يخط القدر» ويكون من الخطأ لا من الخط، فالمعنى أن كل ما يوجد من الأمور إما موافق للوح القضاء، أو للوح القدر على سبيل منع الخلوة، فإذا وقع البداء في أمر ولم يقع على ما أثبت في القدر يكون موافقاً للقضاء، ولعل ظاهر هذا الخبر تقدم القضاء على القدر، ويحتمل أن يكون القضاء في الأولى بمعنى الأمر، وفي الثانية بمعنى الحتم فيستقيم ما في الرواية من النفي.

٧٤ - شاء روى الحسن بن أبي الحسن البصري قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من حرب صفين فقال له: يا أمير المؤمنين خبرني عما كان بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب أكان بقضاء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما علوتم تلة ولا هبطتم وادياً إلا والله فيه قضاء وقدر، فقال الرجل: فعند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين، فقال له: ولم؟ قال: إذا كان القضاء والقدر ساقانا إلى العمل فما الثواب لنا على الطاعة؟ وما وجه العقاب على المعصية؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أوظننت يا رجل أنه قضاء حتم وقدر لازم لا تظن ذلك فإن القول به مقالة عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله جلّ جلاله أمر تخيراً ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، فقال الرجل فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال: الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك السيئة، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا، فأما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال. فقال الرجل: فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك، وأنشأ يقول: أنت الإمام الذي نرجو بطاعته... إلى آخر البيتين^(١).

٧٥ - الدرة الباهرة: قال الرضا عليه السلام: المشية الاهتمام بالشيء، والارادة إتمام ذلك الشيء^(٢).

٧٦ - نهج: قال عليه السلام - وقد سئل عن القدر - : طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسر الله فلا تتكلفوه^(٣).

٧٧ - وقال عليه السلام: يغلب المقدار على التقدير حتى تكون الآفة في التدبير^(٤).

(١) الارشاد ص ١٢٠.

(٢) - (٤) نهج البلاغة قصار الحكم.

(٢) الدرة الباهرة، ص ٥٣.

بيان: المقدار: القدر.

٧٨ - نهج: من كلامه ﷺ للشامي لما سأل: أكان مسيره إلى الشام بقضاء من الله وقدره؟ - بعد كلام طويل مختاره - : ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدرأ حاتماً، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار^(١).

٧٩ - شيء: عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله ﷺ قال: من زعم أن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئته فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي عملت بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار^(٢).

تتميم: قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد: يطلق القضاء على الخلق والإتمام قال الله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ مِمَّا سَبَّحْنَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي خلقهن وأتمهن. وعلى الحكم والإيجاب كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي أوجب وألزم. وعلى الإعلام والإخبار كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ أي أعلمناهم وأخبرناهم. ويطلق القدر على الخلق كقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾^(٣) والكتابة كقول الشاعر:

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر في الصحف الأولى التي كان سطر
والبيان: كقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرًا تَقْدَرْنَهَا مِنَ الْفَٰتِرِ﴾^(٤) أي بيئنا وأخبرنا بذلك، إذا ظهر هذا فنقول للأشعري: ما تعني بقولك: إنه تعالى قضى أعمال العباد وقدرها؟ إن أردت به الخلق والإيجاد فقد بيئنا بطلانه، وأن الأفعال مستندة إلينا، وإن عني به الإلزام لم يصح إلا في الواجب خاصة، وإن عني به أنه تعالى بيئنا وكتبها وعلم أنهم سيفعلونها فهو صحيح، لأنه تعالى قد كتب ذلك أجمع في اللوح المحفوظ وبيئه لملائكته، وهذا المعنى الأخير هو المتعين للإجماع على وجوب الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، ولا يجوز الرضا بالكفر وغيره من القبائح، ولا ينفعهم الاعتذار بوجوب الرضا به من حيث إنه فعله، وعدم الرضا به من حيث الكسب لبطلان الكسب أولاً؛ وثانياً نقول: إن كان كون الكفر كسباً بقضائه تعالى وقدره وجب الرضا به من حيث هو كسب، وهو خلاف قولكم وإن لم يكن بقضاء وقدر بطل إسناد الكائنات بأجمعها إلى القضاء والقدر انتهى^(٥).

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥ ح ١٤.

(٤) سورة النمل، الآية: ٥٧.

(١) نهج البلاغة قصار الحكم.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٠.

(٥) كشف المراد، ص ٢٩٣.

وقال شارح المواقف: اعلم أن قضاء الله عند الأشاعرة هو إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره إيجادها إتيانها على وجه مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها، وأما عند الفلاسفة فالقضاء عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام وأكمل الانتظام، وهو المسمى عندهم بالعناية التي هي مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها والقدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الذي تقرّر في القضاء والمعتزلة ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد، ويثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال، ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم، بل إلى اختيار العباد، وقدرتهم انتهى.

وقال السيد المرتضى رحمته الله في كتاب الغرر والدرر: إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمَرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) فظاهر هذا الكلام يدل على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بإذنه وأمره وليس هذا مذهبكم، فإن حمل الإذن هنا على الإرادة اقتضى أن من لم يقع منه الإيمان لم يرد الله تعالى منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم، ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون، ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلفاً، فكيف يستحق العذاب؟ وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أكثر أهل الجنة البله.

الجواب يقال له: في قوله: إلا بإذن الله وجوه: منها أن يكون الإذن: الأمر، ويكون معنى الكلام أن الإيمان لا يقع من أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه ويأمر به، ولا يكون معناه ما ظنه السائل من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه، ويجري هذا مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢) ومعلوم أن معنى قوله: «ليس لها» في هذه الآية هو ما ذكرناه، وإن كان الأشبه في الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم.

ومنها أن يكون الإذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل، ولا شبهة في أن الله تعالى يوفق لفعل الإيمان ويلطف فيه ويسهل السبيل إليه.

ومنها أن يكون الإذن: العلم، من قولهم: أنت أذنت لكذا وكذا: إذا سمعته وعلمته، وأذنت فلاناً بكذا وكذا: إذا أعلمته، فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وأنه مما لا تخفى عليه الخفيات، وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الإذن - بكسر الالف وتسكين الذال - عبارة عن العلم، وزعم أن الذي هو العلم الأذن - بالتحريك - واستشهد بقول الشاعر: إن همتي في سماع وأذن. وليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم لأن الأذن هو المصدر والإذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر في أنه مصدر والحذر -

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٠.

بالتسكين - الاسم؛ على أنه لو لم يكن مسموعاً إلا الأذن - بالتحريك - لجاز التسكين، مثل مثل ومثل وشبه وشبه ونظائر ذلك كثيرة.

ومنها أن يكون الإذن: العلم، ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله، فيكون معنى الآية: وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الإيمان ويدعوها إلى فعله، فأما ظن السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ فباطل، لأن الإذن لا يحتمل الإرادة في اللغة، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه لأنه إذا قال: إن الإيمان لم يقع إلا وأنا مرید له لم ينف أن يكون مریداً لما لم يقع، وليس في صريح الكلام ولا في دلالة شيء من ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) فلم يعن به الناقصي العقول، وإنما أراد تعالى الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى، والاعتراف بنبوة رسله ﷺ، والانقياد إلى طاعتهم، ووصفهم بأنهم لا يعقلون تشبيهاً، كما قال الله تعالى: ﴿هُمْ بِكُمْ عُتَى﴾ وكما يصف أحدنا من لم يفتن لبعض الأمور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل. فأما الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل فيه: إنه ﷺ لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنما أراد البله عن الشر والقيح وسماهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه، لا من حيث فقد العلم به، ووجه تشبيهه من هذه حاله بالبله ظاهر^(٢). ثم قال ﷺ: إن سأل سائل عن قوله تعالى - حاكياً عن شعيب عليه السلام - : ﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾^(٣) فقال: أليس هذا تصريحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقيح؟ لأن ملة قومه كانت كفراً وضلالاً، وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله.

الجواب قيل له: في هذه الآية وجوه: أولها أن تكون الملة التي عناها الله تعالى إنما هي العبادات الشرعية التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته.

وثانيها: أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيئة الله تعالى، لما كان معلوماً أنه لا يشاؤه، وكل أمر علّق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه، وتجري الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سِتْرِ اللَّيْلِ﴾^(٤).

وثالثها: ما ذكره قطرب من أن في الكلام تقديمًا وتأخيراً وأن الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب فكأنه تعالى قال - حاكياً عن الكفار - : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨.

(٢) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٣٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

قَرَيْنَا^(١) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَعُودَ فِي مَلَّتِنَا، ثُمَّ قَالَ حَاكِيًا عَنْ شُعَيْبٍ: وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ.

ورابعها : أن تعود الهاء التي في قوله تعالى : ﴿ فِيهَا ﴾ إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ، ويكون تلخيص الكلام : إنا سنخرج من قريبتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود إليها .

وخامسها : أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يردكم إلى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة ، لأنه لما قال تعالى حاكياً عنهم : ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ كان معناه أو لتكوننَّ على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول من بعد : إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة . فإن قيل : الاستثناء بالمشية إنما كان بعد قوله : وما يكون لنا أن نعود فيها فكأنه قال : ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب ؟ قلنا : هو كذلك إلا أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يقع الاستثناء على المعنى فيقول : إلا أن يشاء الله أن نتفق في الملة بأن ترجعوا أنتم إلى الحق .

فإن قيل : وكان الله ما شاء أن ترجع الكفار إلى الحق؟ قلنا : بلى قد شاء ذلك إلا أنه ما شاء على كل حال ، بل من وجه دون وجه ، وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجرى بالتكليف إليه ، ولو شاءه على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم .

وسادسها : أن يكون المعنى : إلاً أن يشاء الله أن يمكّنكم من إكراهنا ويخلى بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين ، ويقوّي هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كُنتُمْ مَكْرَهِينَ ۚ ۝۱۰۰ ﴾

وسابعها: أن يكون المعنى: إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه لأن إظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهاره؛ وقوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ﴾ يقوّي هذا الوجه أيضاً.

فإن قيل : فكيف يجوز من نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع ؟ قلنا : يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنه قال : وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه ، وهذا جائز غير ممتنع ^(٢) .

وقال طيب الله رمسه: إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣) فقال: كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة؟ وما تأويل قوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾؟

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٢) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ٦٣.

كَفَرُونَ ﴿ فظاهره يقتضي أنه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم لأن القائل إذا قال : أريد أن يلقاني فلان وهو لابس أو على صفة كذا وكذا فالظاهر أنه أراد كونه على هذه الصفة .

قلنا : أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه :

أحدها : ما روي عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ، ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ، ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين وأولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها ؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ بِكُنُوتِي هَكَذَا فَأَلْفَهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظَرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ^(١) فالمعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم .

وثانيها : أن يكون المعنى : ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم ، وفي ذلك لا محالة إيلاهم واستخفاف بهم .

وثالثها : أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كل ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي هي لهؤلاء الكفار والمنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة وجالبة للنفع والعوض ، ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر - قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع أنه حي - من العذاب الدائم الذي قد أعد له ، وإعلامه أنه صائر إليه .

ورابعها : أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً ، وفي هذا الوجه نظر ^(٢) .

(١) سورة النمل ، الآية : ٢٨ .

(٢) أقول : وفي هذا الوجه نظر ليس من كلام المرتضى إنما قال : وهذا وجه غير صحيح ، لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله ، كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ، ومحال أن يكون إنما كلف إخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء ، لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه ، والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة واللفظ في التكليف ، ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصائب والغموم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة ، لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنهما للعقوبة والمحنة جميعاً ، ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد وهو المصلحة في الدين ، فافترق الأمران ، وليس لهم أن يقولوا : ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم ، وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على سبيل النكرة والاستقلال ، وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكره خرج الأمر من أن يكون مراداً لله تعالى ، لأنه جل وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة ، فإذا أخرجوها متكرهين مستقلين لم يرد ذلك ، فكيف يقول : إنما يريد الله ليعذبهم بها ؟ ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريد الله تعالى .

ثم اعلم أن جميع الوجوه التي حكيناها في هذه الآية إلا جواب التقديم والتأخير مبنية على أن الحياة الدنيا ظرف للعذاب، وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه إذا لم نجعل الحياة ظرفاً للعذاب، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد المتعلق بهما، لأننا قد علمنا أولاً أن قوله: ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد أنفسهما لا تكون عذاباً، فالمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلق بهما والمضاف إليهما، سواء كان إنفاقها، أو المصيبة بها والغم عليها، أو إياحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها؛ وكان تقدير الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بكذا وكذا مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ويتصل بها، وإذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله وتسخطه كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي، وحملهم الأولاد على الكفر، فتقدير الكلام: إنما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك في الحياة الدنيا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَغِرُورٍ﴾ فمعناه تبطل وتخرج أي أنهم يموتون على الكفر، ليس يجب إذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يريد الحال نفسها على ما ظنوه. وقد ذكر في ذلك وجه آخر وهو أن لا يكون قوله: ﴿وَهُمْ كَغِرُورٍ﴾، حالاً لزهوق أنفسهم بل يكون كأنه كلام مستأنف، والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كله كافرون صاثرون إلى النار، وتكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة، ويكون معنى تزهق أنفسهم المشقة الشديدة والكلفة الصعبة^(١).

أقول: قد مضى بعض الأخبار في معنى القدر والقضاء في باب البداء.

٤ - باب الآجال

الآيات: آل عمران (٣): ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (١٤٥)
«وقال تعالى»: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ (١٥٤).

الأنعام (٦): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ رَبِّكُمْ ثُمَّ أَنْتُمْ تُمَرُّونَ﴾ (٢).

الأعراف (٧): ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ (١٣٤).

يونس (١٠): ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَقْدِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ (٤٩).

الحجر (١٥): ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿١﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٢﴾﴾.

(١) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ١٥٢.

النحل (١٦): ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَاكِرٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَغْفِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ (٦١).

مريم (١٩): ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ (٨٤).

طه (٢٠): ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (١٢٩).

العنكبوت (٢٩): ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٣).

فاطر (٣٥): ﴿وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مُّعْتَرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١).

حمعسق [الشورى]: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (١٤).

المنافقون (٦٣): ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (١١).

نوح (٧١): ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

تفسيره: قال الرازي في تفسيره: اختلفوا في تفسير الإذن:

الأول: أن يكون الإذن هو الأمر، أي يأمر ملك الموت بقبض الأرواح، فلا يموت أحد إلا بهذا الأمر.

الثاني: أن المراد به الأمر التكويني كقوله تعالى: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) ولا يقدر على الحياة والموت أحد إلا الله.

الثالث: أن يكون الإذن هو التخلية والإطلاق، وترك المنع بالقهر والإجبار وبه فسّر قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢) أي بتخليته، فإنه تعالى قادر على المنع من ذلك بالقهر.

الرابع: أن يكون الإذن بمعنى العلم، ومعناه أن نفساً لا تموت إلا في الوقت الذي علم الله موتها فيه.

الخامس: قال ابن عباس: الإذن: هو قضاء الله وقدره، فإنه لا يحدث شيء إلا بمشيئة الله وإرادته، والآية تدلّ على أن المقتول ميت بأجله، وأن تغيير الآجال ممتنع. انتهى^(٣).

قوله: لكان لنا من الأمر شيء أي من الظفر الذي وعدنا النبي ﷺ، أو لو كنا مختارين لما خرجنا باختيارنا.

قوله تعالى: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^(٤) قال الطبرسي رحمه الله: فيه قولان: أحدهما أن معناه: لو لزمتم منازلكم أيها المنافقون والمرتابون لخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين، فيقتلون ويقتلون ولما تخلفوا بتخلفكم.

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٣) تفسير فخر الرازي، ج ٩ ص ٣٧٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

والثاني: أن معناه: لو كنتم في منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم، وذلك أن ما علم الله كونه فإنه يكون كما علمه لا محالة، وليس في ذلك أن المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لأنه كما علم أنهم لا يختارون ذلك علم أنهم قادرون، ولو وجب ذلك لوجب أن لا يكون تعالى قادراً على ما علم أنه لا يفعله، والقول بذلك كفر^(١).

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أي كتب وقدر أجلاً ﴿وَأَجَلَ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قيل فيه أقوال: أحدها: أنه يعني بالأجلين: أجل الحياة إلى الموت، وأجل الموت إلى البعث. وروى ابن عباس قال: قضى أجلاً من مولده إلى مماته، وأجل مسمى عنده من الممات إلى البعث، لا يعلم أحد ميقاته سواه، فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه زاد الله له في أجل الحياة من أجل الممات إلى البعث، وإذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من أجل الحياة، وزاد في أجل المبعث، قال: وذلك قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^(٢).

وثانيها: أنه الأجل الذي يحيي به أهل الدنيا إلى أن يموتوا، وأجل مسمى عنده يعني الآخرة لأنها أجل ممدود دائم لا آخر له.

وثالثها: أن أجلاً يعني به أجل من مضى من الخلق، وأجل مسمى عنده يعني به آجال الباقين.

ورابعها: أن قوله: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾ عني به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع عند اليقظة، والأجل المسمى هو أجل الموت؛ والأصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة، وأجل الموت أو القتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت أو القتل، وما يعلم الله تعالى أن المكلف يعيش إليه لو لم يقتل لا يسمى أجلاً حقيقة، ويجوز أن يسمى ذلك مجازاً؛ وما جاء في الأخبار من أن صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وأن الله تعالى زاد في أجل قوم يونس وما أشبه ذلك فلا مانع من ذلك^(٣).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: أي لكل جماعة وأهل عصر وقت لاستئصالهم. وقيل: المراد بالأجل أجل العمر الذي هو ملة الحياة.

قوله: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ أي لا يتأخرون ساعة من ذلك الوقت ولا يتقدمون ساعة. وقيل: معناه: لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت للأياس عنه ولا يطلبون التقدم؛ ومعنى جاء أجلهم: قرب أجلهم، كما يقال: جاء الصيف: إذا قارب وقته^(٤).

(٢) سورة فاطر، الآية: ١١.

(٤) مجمع البيان ج ٤ ص ٢٤٨.

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٢١.

(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٨.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١) أي في تأخير العذاب عن قومك وأنه لا يعذبهم وأنت فيهم لقضي بينهم أي لفرغ من عذابهم واستئصالهم، وقيل: معناه لولا حكم سبق من ربك بتأخيرهم إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم^(٢).

١ - فس: أبي، عن النضر، عن الحلبي، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأجل المقضي هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه، والمسمى هو الذي فيه البدء، يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير^(٣).

فس: ﴿إِلَّا وَلَمَّا كُتِبَ مَعْلُومٌ﴾ أي أجل مكتوب^(٤).

٢ - فس: أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر عن يحيى الحلبي، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾^(٥) قال: إن عند الله كتباً موقوفة يقدم منها ما يشاء ويؤخر فإذا كان ليلة القدر أنزل فيها كل شيء يكون إلى مثلها فذلك قوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ إذا أنزله وكتبه كتاب السماوات وهو الذي لا يؤخره^(٦).

٣ - شيء: عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ رَبِّكَ﴾ قال: الأجل الذي غير مسمى موقوف، يقدم منه ما شاء، ويؤخر منه ما شاء، وأما الأجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل، فذلك قول الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾^(٧).

٤ - ماء: وعن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المسمى ما سمي لملك الموت في تلك الليلة وهو الذي قال الله: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ والآخر له فيه المشية إن شاء قدمه وإن شاء أخره^(٨).

٥ - ماء: الغضائري، عن التلعكبري، عن محمد بن همام، عن محمد بن علي بن الحسين الهمداني، عن محمد بن خالد البرقي، عن محمد بن سنان، عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى لم يجعل للمؤمن أجلاً في الموت، يقيه ما أحب البقاء فإذا علم منه أنه سيأتي بما فيه بوار دينه قبضه إليه تعالى مكرهاً^(٩) (١٠).

(١) سورة الشورى، الآية: ١٤.

(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٢.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠١.

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧٥.

(٥) سورة المنافقون، الآية: ١١.

(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥٢.

(٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٤ ح ٥.

(٨) لم نجده في أمالي الطوسي، ولكنه في تفسير العياشي ج ١ ص ٣٨٤ ح ٦.

(٩) (١٠) أمالي الطوسي، ص ٣٠٥ ح ٦١١.

(٩) في المصدر: مكرهاً.

٦ - قال محمد بن همام: فذكرت هذا الحديث لأحمد بن علي بن حمزة مولى الطالبيين - وكان راوية للحديث - فحدثني عن الحسين بن أسد الطفاوي، عن محمد بن القاسم عن فضيل بن يسار، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يموت بالذنوب أكثر ممّن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممّن يعيش بالأعمار^(١).

٧ - دعوات الراوندي: قال الصادق عليه السلام: يعيش الناس بإحسانهم أكثر ممّا يعيشون بأعمارهم، ويموتون بذنوبهم أكثر ممّا يموتون بآجالهم^(٢).

٨ - النهج: قال عليه السلام: إنّ مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة^(٣).

٩ - شي: عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال هما أجلان: أجل موقوف يصنع الله ما يشاء وأجل محتوم^(٤).

١٠ - شي: عن حصين، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال: الأجل الأوّل هو الذي نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمّى عنده هو الذي ستره عن الخلائق^(٥).

بيان: ظاهر بعض الأخبار كون الأجل الأوّل محتوماً والثاني موقوفاً، وبعضها بالعكس، ويمكن الجمع بأنّ المعنى أنّه تعالى قضى أجلاً أخبر به أنبياءه وحججه عليهم السلام، وأخبر بأنّه محتوم فلا يتطرق إليه التغيير، وعنده أجل مسمّى أخبر بخلافه غير محتوم، فهو الذي إذا أخبر بذلك المسمّى يحصل منه البداء، فلذا قال تعالى: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي لم يطلع عليه أحداً بعد، وإنّما يطلق عليه المسمّى لأنّه بعد الإخبار يكون مسمّى فما لم يسمّ فهو موقوف، ومنه يكون البداء فيما أخبر لا على وجه الحتم، ويحتمل أن يكون المراد بالمسمّى ما سمي ووصف بأنّه محتوم فالمعنى: قضى أجلاً محتوماً أي أخبر بكونه محتوماً. وأجلاً آخر وصف بكونه محتوماً عنده ولم يخبر الخلق بكونه محتوماً فيظهر منه أنّه أخبر بشيء لا على وجه الحتم فهو غير المسمّى لا الأجل الذي ذكر أولاً، وحاصل الوجهين مع قريهما أنّ الأجلين كليهما محتومان، أخبر بأحدهما ولم يخبر بالآخر، ويظهر من الآية أجل آخر غير الأجلين وهو الموقوف، ويمكن أن يكون الأجل الأوّل عامّاً فيتركب تكلف في خبر ابن مسكان بأنّه قد يكون محتوماً، وظاهر أكثر الأخبار أنّ الأوّل موقوف والمسمّى محتوم.

١١ - شي: عن حماد بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن قول الله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِثُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: إنّ ذلك كتاب يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت،

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٠٥ ذيل ح ٦١١. (٢) دعوات الراوندي، ص ٢٩١.

(٣) نهج البلاغة قصار الحكم، رقم ٢٠١.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٤ ح ٧ و ٩.

فمن ذلك الذي يردُّ الدعاء القضاء، وذلك الدعاء مكتوب عليه: «الذي يرد به القضاء» حتى إذا صار إلى أم الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً^(١).

بيان: لعل المراد بكونه مكتوباً عليه أن هذا الحكم ثابت له حتى يوافق ما في اللوح من القضاء الحتمي، فإذا وافقه فلا ينفع الدعاء، ويحتمل أن يكون المعنى أن ذلك الدعاء الذي يردُّ به القضاء من الأسباب المقدرة أيضاً فلا ينافي الدعاء القدر والقضاء.

١٢ - **شي:** عن الحسين بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاث سنين فيمدها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإن المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى. قال الحسين: وكان جعفر عليه السلام يتلو هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢).

١٣ - **نهج:** من كلامه عليه السلام - لما خوّف من الغيلة - وإن عليّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء يومي انفرجت عني وأسلمتني فحيث لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم^(٣).

بيان: الغيلة: القتل على غفلة؛ وطاش السهم: انحرف عن الغرض.

١٤ - **نهج:** قال عليه السلام: كفى بالأجل حارساً^(٤).

تذنيب: أقول: الأخبار الدالة على حقيقة الأجلين وتحقيقهما قد مرّ في باب البدء من كتاب التوحيد، وقال المحقق الطوسي رحمته الله في التجريد: أجل الحيوان الوقت الذي علم الله بطلان حياته فيه، والمقتول يجوز فيه الامران لولاه، ويجوز أن يكون الأجل لطفاً للغير لا للمكلف.

وقال العلامة رحمته الله في شرحه: اختلف الناس في المقتول لو لم يقتل فقالت المجبرة إنه كان يموت قطعاً وهو قول أبي هذيل العلاف، وقال بعض البغداديين: إنه كان يعيش قطعاً، وقال أكثر المحققين: إنه كان يجوز أن يعيش ويجوز أن يموت، ثم اختلفوا فقال قوم منهم: إن كان المعلوم منه البقاء لو لم يقتل له أجلان وقال الجبائيان وأصحابهما وأبو الحسين البصري: إن أجله هو الوقت الذي قتل فيه، ليس له أجل آخر لو لم يقتل فما كان يعيش إليه ليس بأجل له الآن حقيقي بل تقديري، واحتجّ الموجبون لموته بأنه لولاه لزم خلاف معلوم الله تعالى وهو محال، واحتجّ الموجبون لحياته بأنه لو مات لكان الذابح غنم غيره محسناً ولما وجب القود لأنه لم يفوت حياته.

والجواب عن الأول ما تقدّم من أن العلم يؤثر في المعلوم، وعن الثاني بمنع الملازمة، إذ

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٦ ح ٧٥ و ٧٦ من سورة الرعد.

(٣) نهج البلاغة، خطبة رقم ٦١. (٤) نهج البلاغة قصار الحكم، رقم ٣٠٦.

لو ماتت الغنم استحق مالكها عوضاً زائداً على الله تعالى فيذبحه فوته الأعواض الزائدة، والقود من حيث مخالفة الشارع إذ قتله حرام عليه وإن علم موته، ولهذا لو أخبر الصادق بموت زيد لم يجز لأحد قتله. ثم قال ﷺ: ولا استبعاد في أن يكون أجل الإنسان لطفاً لغيره من المكلفين، ولا يمكن أن يكون لطفاً للمكلف نفسه لأن الأجل يطلق على عمره وحياته، ويطلق على أجل موته أما الأول فليس بلطف لأنه تمكين له من التكليف، واللطف زائد على التمكين، وأما الثاني فهو قطع للتكليف فلا يصح أن يكلف بعده فيكون لطفاً له فيما يكلفه من بعد، واللطف لا يصح أن يكون لطفاً فيما مضى. انتهى^(١).

أقول: لا يخفى ما في قوله ﷺ: العلم لا يؤثر، فإنه غير مرتبط بالسؤال، بل الجواب هو أنه يلزم خلاف العلم على هذا الفرض على أي حال فإن من علم الله أنه سيقتل إذا مات بغير قتل كان خلاف ما علمه تعالى، وأما علمه بموته على أي حال فليس بمسلم؛ وأما قوله: واللطف لا يصح أن يكون لطفاً فيما مضى فيمكن منعه بأنه يمكن أن يكون لطفاً من حيث علم المكلف بوقوعه فيردعه عن ارتكاب كثير من المحرمات، إلا أن يقال: اللطف هو العلم بوقوع أصل الموت فأما خصوص الأجل المعين فلعدم علمه به غالباً لا يكون لطفاً من هذه الجهة أيضاً، ويمكن تطبيق كلام المصنف على هذا الوجه من غير تكلف.

٥ - باب الأرزاق والأسعار

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ «٢١٢».

آل عمران «٣»: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ «٣٧».

هود «١١»: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ «٦».

الرعد «١٣»: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ «٢٦».

الاسراء «١٧»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ «٣٠».

الحج «٢٢»: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ «٥٨».

المؤمنون «٢٣»: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ «٧٢».

النور «٢٤»: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ «٣٨».

العنكبوت: ﴿وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ «٦٠».

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «٦٢».

الروم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ «٣٧».

سبا: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ «٢٤» وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رِئِي

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ «وقال تعالى»: ﴿قُلْ إِنْ رَزَقْتُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَمْ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٩).
 الزمر (٣٩): ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢).

حمعسق [الشورى] (٤٢): ﴿لَمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٢) «وقال تعالى»: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧).

الزخرف (٤٣): ﴿أَمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٢).
 الذاريات (٥١): ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قَرِيبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (٢٣).

تفسير: قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قيل فيه أقوال: أحدها أن معناه: يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرته.
 وثانيها: أنه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة أعمالهم وإيمانهم وكفرهم، فلا يدل بسط الرزق على الكفار على منزلتهم عند الله، وإن قلنا: إن المراد به في الآخرة فمعناه أن الله لا يشيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلاً.
 وثالثها: أنه يعطيه عطاء لا يأخذه بذلك أحد، ولا يسأله عنه سائل، ولا يطلب عليه جزاء ولا مكافأة.

ورابعها: أنه يعطيه من العدد الشيء الذي لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء لا من عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والعشرة من المائة.

وخامسها: أن معناه: يعطي أهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب^(١).

وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي أسباب رزقكم أو تقديره. وقيل: المراد بالسما السحاب، وبالرزق المطر لأنه سبب الأقوات، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الثواب لأن الجنة فوق السماء السابعة، أو لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء، وقيل: إنه مستأنف خبره: ﴿قَرِيبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ وعلى هذا فالضمير «لما» وعلى الأول يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعيد. ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ أي مثل نطقكم كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في تحقق ذلك انتهى^(٢).

وقال الوالد العلامة رحمه الله: يحتمل أن يكون التشبيه من حيث اتصال النطق وفيضان

المعاني من المبدأ بقدر الحاجة من غير علم بموضعه ومحلّ وروده فيكون التشبيه أكمل .
١ - ب: ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **إِنَّ الرِّزْقَ لَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى عَدَدِ قَطْرِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَدَّرَ لَهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ فَضُولٌ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ** ^(١).

٢ - ن: محمد بن القاسم المفسر، عن أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي، عن أبيه، عن جده، عن الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر ﷺ قال: سأل الصادق جعفر بن محمد ﷺ عن بعض أهل مجلسه فقيل: عليل، فقصده عائداً وجلس عند رأسه فوجده دنفاً، فقال له: أحسن ظنك بالله، قال: أما ظني بالله فحسن، ولكن غمي لبناتي ما أمرضني غير غمي بهن، فقال الصادق ﷺ: الذي ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيئاتك فارجعه لإصلاح حال بناتك أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: **لَمَّا جَاوَزَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَبَلَغَتْ أَغْصَانَهَا وَقُضْبَانَهَا رَأَيْتُ بَعْضَ ثَمَارِ قُضْبَانِهَا أَثْدَاءً مَعْلَقَةً يَقْطُرُ مِنْ بَعْضِهَا اللَّبَنُ، وَمِنْ بَعْضِهَا الْعَسَلُ، وَمِنْ بَعْضِهَا الدَّهْنُ، وَيَخْرُجُ عَنْ بَعْضِهَا شِبْهُ دَقِيقِ السَّمِيدِ، وَعَنْ بَعْضِهَا الثِّيَابُ، وَعَنْ بَعْضِهَا كَالنَّبَقِ فِيهِوِي ذَلِكَ كُلُّهُ نَحْوَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَيْنَ مَقَرُّ هَذِهِ الْخَارِجَاتِ عَنْ هَذِهِ الْأَثْدَاءِ؟ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ جِبْرِئِيلُ لِأَنِّي كُنْتُ جَاوَزْتُ مَرْتَبَتَهُ، وَاخْتَزَلْتُ دُونِي، فَنَادَانِي رَبِّي ﷺ فِي سَرِّي: يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ أَنْبَتُهَا مِنْ هَذَا الْمَكَانِ الْأَرْفَعِ لِأَغْذُو مِنْهَا بَنَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّتِكَ وَبَنِيهِمْ فَقُلْ لِآبَاءِ الْبَنَاتِ: لَا تَضَيِّقَنَّ صُدُورَكُمْ عَلَى فَاقْتِهِنَّ فَإِنِّي كَمَا خَلَقْتِهِنَّ أَرْزُقُهُنَّ** ^(٢).

بيان: السميد بالذال المعجمة والمهملة الدقيق الأبيض؛ والاختزال: الانفراد والاقتطاع.

٣ - شي: عن إسماعيل بن كثير رفع الحديث إلى النبي ﷺ قال: **لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾** ^(٣). قال: فقال أصحاب النبي ﷺ: ما هذا الفضل؟ أيكم يسأل رسول الله ﷺ عن ذلك؟ قال: فقال علي بن أبي طالب ﷺ: أنا أسأله فسأله عن ذلك الفضل ما هو؟ فقال رسول الله ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ وَقَسَمَ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ مِنْ حَلَالِهَا وَعَرَضَ لَهُمْ بِالْحَرَامِ فَمَنْ انْتَهَكَ حَرَاماً نَقَصَ لَهُ مِنَ الْحَلَالِ بِقَدَرِ مَا انْتَهَكَ مِنَ الْحَرَامِ وَحُوسِبَ بِهِ** ^(٤).

(١) قرب الإسناد، ص ١١٧ ح ٤١١.

(٢) عيون اخبار الرضا ﷺ، ج ٢ ص ٦ باب ٣٠ ح ٧. أقول: الأرزاق قسمان: الظاهرة للأبدان كالأقوات، والباطنة للأرواح كالعلوم والمعارف، ولذلك أريد من قوله تعالى: ﴿فَنَنْظُرُ الْإِنْسَانَ لِمَنِ كَانَتْ

طَعَامُهُ﴾ الطعام الظاهر والطعام الباطن، ظاهره لظاهره وباطنه لباطنه [النمازي].

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٦٥ ح ١١٦.

٤ - نهج: قال عليه السلام: الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأت أذاك، فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك، كفاك كل يوم ما فيه فإن تكن السنة من عمرك فإن الله تعالى جدّه سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك ^(١).

٥ - شيء: عن ابن الهذيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله قسم الأرزاق بين عباده وأفضل فضلاً كبيراً لم يقسمه بين أحد قال الله: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ^(٢).

٦ - شيء: عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت من الحرام شيئاً قاضها به من الحلال الذي فرض الله لها وعند الله سواهما فضل كبير ^(٣).

٧ - شيء: عن الحسين بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنهم يقولون: إن النوم بعد الفجر مكروه لأن الأرزاق تقسم في ذلك الوقت فقال: الأرزاق موزونة مقسومة، والله فضل يقسمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك قوله: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ثم قال: وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض ^(٤).

٨ - كاه: العدة عن سهل، عن ابن يزيد، عن محمد بن أسلم، عن عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله وكل بالسعر ملكاً فلن يغلو من قلة، ولا يرخص من كثرة ^(٥).

٩ - كاه: محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن ابن معروف، عن الحجاج، عن بعض أصحابه، عن الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: إن الله عز وجل وكل ملكاً بالسعر يدبره بأمره ^(٦).

١٠ - كاه: العدة، عن سهل، عن ابن يزيد، عن عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله وكل ملكاً بالأسعار يدبرها ^(٧).

١١ - نهج: وقدّر الأرزاق فكثرها وقلّلها، وقسمها على الضيق والسعة، فعدل فيها لبيتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها، ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها، ويفرج أفراجها غصص أتراحها، وخلق الآجال فأطالها وقصرها، وقدمها وأخرها، ووصل بالموت أسبابها، وجعله خالجاً لأشطانها، وقاطعاً لمرائر أقرانها ^(٨).

(١) نهج البلاغة قصار الحكم، رقم ٣٧٩.

(٢) - (٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٦٥ ح ١١٧ و ١١٨ و ١١٩.

(٥) - (٧) الكافي، ج ٥ ص ٦٧٦ باب ٩٥ ح ٢ و ٣ و ٤.

(٨) نهج البلاغة، ص ٢٠٥ خطبة رقم ٩٠.

بيان: العقابيل بقايا المرض، واحدها عقبول، والأتراح: الغموم، والخلج: الجذب، والشطن: الحبل، والمرائر: الحبال المفتولة على أكثر من طاق، والأقران: الحبال.

١٢ - عدة: روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١) قال: هو قول الرجل: لولا فلان لهلك، ولولا فلان لما أصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي؛ ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قلت: فنقول: لولا أن الله من عليّ بفلان لهلك، قال: نعم لا بأس بهذا ونحوه^(٢).

١٣ - كا: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعدة من أصحابنا؛ عن سهل بن زياد عن ابن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: ألا إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فإن الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً، ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حله، ومن هتك حجاب ستر الله ﷻ وأخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال وحوسب عليه^(٣).

بيان: أقول: سيأتي أكثر الآيات والأخبار المتعلقة بهذا الباب في كتاب المكاسب والنفس: النفخ، والروح بالضم: العقل والقلب، والإجمال في الطلب: ترك المبالغة فيه، أي اتقوا الله في هذا الكد الفاحش، أو المعنى أنكم إذا اتقيتم الله لا تحتاجون إلى هذا الكد والتعب لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾^(٤) ويرزقه من حيث لا يحتسب^(٥) وهتك الستر: تمزيقه وخرقه.

ثم الظاهر من هذا الخبر وغيره من الأخبار أن الله تعالى قدر في الصحف السماوية لكل بشر رزقاً حلالاً بقدر ما يكفيه بحيث إذا لم يرتكب الحرام وطلب من الحلال سبب له ذلك ويسره له، وإذا ارتكب الحرام فبقدر ذلك يمنع مما قدر له.

قال الشيخ البهائي قدس الله روحه في شرح هذا الحديث: الرزق عند الأشاعرة كل ما انتفع به حي، سواء كان بالتغذي أو بغيره، مباحاً كان أو لا، وخصه بعضهم بما تربى به الحيوان من الأغذية والأشربة، وعند المعتزلة هو كل ما صح انتفاع الحيوان به بالتغذي أو غيره، وليس لأحد منعه منه فليس الحرام رزقاً عندهم، وقال الأشاعرة في الرد عليهم: لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المغتذي طول عمره بالحرام مرزوقاً، وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٥) وفيه نظر فإن الرزق عند المعتزلة أعم من الغذاء

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) عدة الداعي، ص ٩٩.

(٣) الكافي، ج ٥ ص ٦٣٢ باب ٣٩ ح ١.

(٤) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

(٥) سورة هود، الآية: ٦.

وهم لم يشترطوا الانتفاع بالفعل ، فالمغتذي طول عمره بالحرام إنما يرده عليهم لو لم ينتفع مدة عمره بشيء انتفاعاً محللاً ، ولو بشرب الماء والتنفس في الهواء ، بل ولا تمكن من الانتفاع بذلك أصلاً ، وظاهر أن هذا مما لا يوجد ، وأيضاً فلهم أن يقولوا : لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئاً محللاً ولا محرماً يلزم أن يكون غير مرزوق ، فما هو جوابكم فهو جوابنا ؛ هذا ، ولا يخفى أن الأحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة ، والمعتزلة تمسكوا بهذا الحديث ، وهو صريح في مدعاهم غير قابل لتأويل ، والأشاعرة تمسكوا بما روه عن صفوان ابن أمية قال : كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاء عمر بن قرّة فقال : يا رسول الله إن الله كتب عليّ الشقوة فلا أراني أرزق إلا من دقي بكفي ، فاذن في الغناء من غير فاحشة ؛ فقال ﷺ : لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة أي عدوّ الله لقد رزقك الله طيباً فاخترت ما حرّم عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله ، أما إنك لو قلت بعد هذه المقالة ضربتك ضرباً وجيعاً . والمعتزلة يطعنون في سند هذا الحديث تارة ويؤولونه على تقدير سلامته أخرى بأن سياق الكلام يقتضي أن يقال : فاخترت ما حرّم الله عليك من حرامه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله ، وإنما قال ﷺ : من رزقه مكان من حرامه ، فأطلق على الحرام اسم الرزق بمشاكلة قوله : فلا أراني أرزق ، وقوله ﷺ : لقد رزقك الله ، وتمسك المعتزلة أيضاً بقوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال الشيخ في التبيان ما حاصله : إن هذه الآية تدلّ على أن الحرام ليس رزقاً لأنه سبحانه مدحهم بالإنفاق من الرزق ، والإنفاق من الحرام لا يوجب المدح ، وقد يقال : إن تقديم الظرف يفيد الحصر وهو يقتضي كون المال المنفق على ضربين : ما رزقه الله ، وما لم يرزقه وإن المدح إنما هو على الإنفاق ممّا رزقهم وهو الحلال ، لا ممّا سوّلت لهم أنفسهم من الحرام ولو كان كلّ ما ينفقونه رزقاً من الله سبحانه لم يستقم الحصر فتأمل . انتهى كلامه رفع الله مقامه ^(١) .

أقول : إن كان المراد بقولهم : رزقهم الله الحرام أنه خلقه ومكّنهم من التصرف فيه فلا نزاع في أن الله رزقهم بهذا المعنى ، وإن كان المعنى أنه المؤثر في أفعالهم وتصرفاتهم في الحرام فهذا إنما يستقيم على أصلهم الذي ثبت بطلانه ، وإن كان الرزق بمعنى التمكين وعدم المنع من التصرف فيه بوجه فظاهر أن الحرام ليس برزق بهذا المعنى على مذهب من المذاهب ، وإن كان المعنى أنه قدّر تصرفهم فيه بأحد المعاني التي مضت في القضاء والقدر ، أو خذلهم ولم يصرفهم جبراً عن ذلك فهذا المعنى يصدق أنه رزقهم الحرام ؛ وأمّا ظواهر الآيات والأخبار الواردة في ذلك فلا يريب عاقل في أنها منصرفة إلى الحلال ، كما أومانا إلى معناه سابقاً .

وأما الأسعار فقد ذهبت الأشاعرة إلى أنه ليس المستقر إلا الله تعالى ، بناءً على أصلهم من

أن لا مؤثر في الوجود إلا الله^(١). وأما الإمامية والمعتزلة فقد ذهبوا إلى أن الغلاء والرخص قد يكونان بأسباب راجعة إلى الله، وقد يكونان بأسباب ترجع إلى اختيار العباد؛ وأما الأخبار الدالة على أنهما من الله فالمعنى أن أكثر أسبابهما راجعة إلى قدرة الله، أو أن الله تعالى لما لم يصرف العباد عما يختارونه من ذلك مع ما يحدث في نفوسهم من كثرة رغباتهم، أو غناهم بحسب المصالح فكأنهما وقعا بإرادته تعالى، كما مر القول فيما وقع من الآيات والأخبار الدالة على أن أفعال العباد بإرادة الله تعالى ومشئته، وهدايته وإضلاله، وتوفيقه وخذلانه؛ ويمكن حمل بعض تلك الأخبار على المنع من التسعير والنهي عنه؛ بل يلزم الوالي أن لا يجبر الناس على السعر ويتركهم واختيارهم، فيجري السعر على ما يريد الله تعالى.

قال العلامة رحمته الله في شرحه على التجريد: السعر هو تقدير العوض الذي يباع به الشيء، وليس هو الثمن ولا المثلن، وهو ينقسم إلى رخص وغلاء، فالرخص هو السعر المنحط عما جرت به العادة مع اتحاد الوقت والمكان، والغلاء زيادة السعر عما جرت به العادة مع اتحاد الوقت والمكان، وإنما اعتبرنا الزمان والمكان لأنه لا يقال: إن الثلج قد رخص سعره في الشتاء عند نزوله لأنه ليس أوان سعره، ويجوز أن يقال: رخص في الصيف إذا نقص سعره عما جرت عاداته في ذلك الوقت، ولا يقال: رخص سعره في الجبال التي يدوم نزوله فيها لأنها ليست مكان بيعه، ويجوز أن يقال: رخص سعره في البلاد التي اعتيد بيعه فيها، واعلم أن كل واحد من الرخص والغلاء قد يكون من قبله تعالى بأن يقلل جنس المتاع المعين، ويكثر رغبة الناس إليه فيحصل الغلاء لمصلحة المكلفين، وقد يكثر جنس ذلك المتاع ويقلل رغبة الناس إليه تفضلاً منه وإنعاماً، أو لمصلحة دينية فيحصل الرخص، وقد يحصلان من قبلنا بأن يحمل السلطان الناس على بيع جميع تلك السلعة بسعر غالٍ ظلماً منه أو لاحتكار الناس، أو لمنع الطريق خوف الظلمة، أو لغير ذلك من الأسباب المستند إلينا فيحصل الغلاء، وقد يحمل السلطان الناس على بيع السلعة برخص ظلماً منه، أو يحملهم على بيع ما في أيديهم من جنس ذلك المتاع فيحصل الرخص^(٢).

٦ - باب السعادة والشقاوة والخير والشر وخالقهما ومقدرهما

الآيات: هود (١١): ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١١٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَبِئْسَ الْتَارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ

(١) وقال العلامة المرعشي في إحقاق الحق ج ١ ص ٢٢٨: وبإلحاح أن أول من تفوه بذلك هو الشيخ أبو الحسن الأشعري قدوة الأشاعرة وتبعه المتأخرون والصوفية من العامة، ثم سرت إلى صوفية الشيعة حتى الآن، وما دروا أنها كلمة مسمومة من قلب مريض يسند أفعال العباد إليه تعالى وهذا لا يلائم مبنى الإمامية وما ورثوها من الأئمة الطاهرين. أقول: هذا يستلزم الجبر، بل واضح أن في الخلق مؤثرات ومتأثرات، وكل ذلك مؤثرات ومتأثرات بالله لا مع الله ولا من دون الله. [مستدرك السفينة ج ١ لغة «أثر»].

(٢) كشف المراد، ص ٣٢١.

﴿١٠٦﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ (١٠٥ - ١٠٨).

المؤمنون (٢٣): ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَائِقَى تُلَىٰ عَلَيْكَ فَكُتِرَ فِيهَا تُكَذِّبُوتَ﴾ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾.

الزمر (٣٩): ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧١).

التغابن (٦٤): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرَ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ (٢).

تفسير: قال البيضاوي: «فمنهم شقي» وجبت له النار بمقتضى الوعيد «وسعيد» وجبت له الجنة بموجب الوعد^(١).

وقال الطبرسي رحمه الله: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي شقاوتنا وهي المضرة اللاحقة في العاقبة، والسعادة: المنفعة اللاحقة في العاقبة، والمعنى: استعلت علينا سيئاتنا التي أوجبت لنا الشقاوة^(٢).

وقال الزمخشري: قالوا: بلى أتونا وتلوا علينا، ولكن وجبت علينا كلمة الله بسوء أعمالنا كما قالوا: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال^(٣).

١ - لي: أبي، عن علي، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن الكنانى، عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الشقي من شقي في بطن أمه. الخبر^(٤).

٢ - ب: محمد بن عيسى، عن القداح، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: خرج رسول الله ﷺ قابضاً على شيتين في يده، ففتح يده اليمنى ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من الرحمن الرحيم في أهل الجنة بأعدادهم وأحسابهم وأنسابهم مجمل عليهم، لا ينقص منهم أحد، ولا يزداد فيهم أحد. ثم فتح يده اليسرى فقال: بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من الرحمن الرحيم في أهل النار بأعدادهم وأحسابهم وأنسابهم مجمل عليهم إلى يوم القيامة لا ينقص منهم أحد، ولا يزداد فيهم أحد، وقد يسلك بالسعداء طريق الأشقياء حتى يقال: هم منهم، هم هم، ما أشبههم بهم! ثم يدرك أحدهم سعادته قبل موته ولو بفراق ناقة، وقد يسلك بالأشقياء طريق أهل السعادة حتى يقال: هم منهم، هم هم، ما أشبههم بهم، ثم يدرك أحدهم شقاءه ولو قبل موته ولو بفراق ناقة، فقال النبي ﷺ: العمل بخواتيمه، العمل بخواتيمه، العمل بخواتيمه^(٥).

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢٨٥.

(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢١٢.

(٣) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٥٧.

(٤) أمالي الصدوق، ص ٣٩٥ مجلس ٧٤ ح ١.

(٥) قرب الإسناد، ص ٢٤ ح ٨١.

بيان قال الجزري: في حديث القدر: كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأهل النار أجمل على آخرهم، تقول: أجملت الحساب: إذا جمعت آحاده وكملت أفرادها، أي أحصوا فلا يزداد فيهم ولا ينقص. وقال الفيروزآبادي: الفواق كغراب: ما بين الحلبتين من الوقت، ويفتح، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع.

٣ - ب: ابن عيسى، عن البنزطي قال: سألت الرضا عليه السلام أن يدعو الله لامرأة من أهلنا بها حمل. فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: الدعاء ما لم يمض أربعة أشهر؛ فقلت له: إنما لها أقل من هذا فدعا لها، ثم قال: إن النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً، وتكون علقة ثلاثين يوماً، وتكون مضغة ثلاثين يوماً، وتكون مخلقة وغير مخلقة ثلاثين يوماً، وإذا تمت الأربعة أشهر بعث الله تبارك وتعالى إليها ملكين خلّاقين يصوّرانه، ويكتبان رزقه وأجله شقيّاً أو سعيداً^(١).

بيان: قال اليبضاوي في قوله تعالى: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: مسوّاة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسوّاة؛ أو تامة وساقطة؛ أو مصوّرة وغير مصوّرة انتهى^(٢).

أقول: لعل المراد بالخبر أن في ثلاثين يوماً بعد المضغة إمّا أن يبدأ في تصويره بخلق عظامه، أو يسقط، أو إمّا أن يسوّى بحيث لا يكون فيه عيب، أو يجعل حيث يكون فيه عيب. ثم أعلم أنّ هذا الخبر يمكن أن يكون تفسيراً لقوله عليه السلام: الشقي من شقي في بطن أمه؛ أي يكتب شقاوته، وما يؤول إليه أمره عليه في ذلك الوقت.

٤ - ب: بالإسناد قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: جفت القلم بحقيقة الكتاب من الله بالسعادة لمن آمن واتقى، والشقاوة من الله تبارك وتعالى لمن كذب وعصى^(٣).

٥ - ل: ماجيلويه، عن عمه، عن البرقي، عن أبيه، عن وهب بن وهب، عن جعفر ابن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنه قال: حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة، وحقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء^(٤).

٦ - ع: المظفر العلوي، عن جعفر بن محمّد بن مسعود، عن أبيه، عن عليّ بن الحسن، عن محمّد بن عبد الله بن زرارة، عن عليّ بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: تعتلج النطفتان في الرحم فأيتهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت

(١) قرب الإسناد، ص ٣٥٢ ح ١٢٦٢. (٢) تفسير اليبضاوي، ج ٣ ص ١٣٣.

(٣) قرب الإسناد، ص ٣٥٥ ح ١٢٧٠. أقول: يستفاد منه أنه حق القول والقضاء من الله أنّ المؤمن والمتقي يسعد بدخول الجنة، كما أنّ من كذب وعصى يشقى بالعذاب، فإنّ العذاب على من كذب وتولى. [المازي].

(٤) الخصال ص ٥ باب الواحد ح ١٤.

نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه. وقال: تحوّل النطفة في الرحم أربعين يوماً فمن أراد أن يدعو الله ﷻ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق، ثم يبعث الله ﷻ ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله ﷻ فيقف منه ما شاء الله، فيقول: يا إلهي أذكر أم أنثى؟ فيوحى الله ﷻ من ذلك ما يشاء ويكتب الملك، ثم يقول: إلهي أشقّي أم سعيد؟ فيوحى الله ﷻ من ذلك ما يشاء ويكتب الملك، فيقول: اللهم كم رزقه وما أجله؟ ثم يكتبه ويكتب كل شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه، ثم يرجع به فيرده في الرحم؛ فذلك قول الله ﷻ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ (١) (٢).

٧ - ن: المفسر بإسناده إلى أبي محمد عليه السلام قال: قال الرضا عليه السلام: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هلك فلان، يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول الله ﷺ: بل قد نجا ولا يختم الله تعالى عمله إلا بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيئات، ويبذلها له حسنات إنه كان مرة يمر في طريق عرض له مؤمن قد انكشف عورته وهو لا يشعر فسترها عليه ولم يخبره بها مخافة أن يخجل، ثم إن ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له: أجزل لك الثواب، وأكرم لك المآب، ولا ناقشك الحساب فاستجاب الله له فيه، فهذا العبد لا يختم له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن، فاتصل قول رسول الله ﷺ بهذا الرجل فتاب وأتاب وأقبل إلى طاعة الله ﷻ فلم يأت عليه سبعة أيام حتى أغير على سرح المدينة فوجه رسول الله ﷺ في أثرهم جماعة ذلك الرجل أحدهم فاستشهد فيهم (٣).

٨ - يده الدقاق، عن الكليني، عن علي بن محمد، رفعه، عن شعيب العرقوقي عن أبي بصير قال: كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالسا وقد سأله سائل فقال: جعلت فداك يا بن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم لهم في علمه بالعذاب على عملهم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيها السائل علم الله ﷻ أن لا يقوم أحد من خلقه بحقه فلما علم بذلك وهب لأهل محبته القوة على (٤) معصيتهم لسبق علمه فيهم، ولم يمنعهم إطاقة القبول منه لأن علمه أولى بحقيقة التصديق فوافقوا ما سبق لهم في علمه، وإن قدروا أن يأتوا خلافاً ينجيهم عن معصيته وهو معنى شاء ما شاء وهو سر (٥).

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١١٨ باب ٨٥ ح ٤.

(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١٨٠ باب ٤١ ح ١.

(٤) هنا سقط والظاهر أنه من النسخة الغير واضحة التي نقل عنها المجلسي رضوان الله عليه وكما في المصدر: القوة على معرفته ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله ووجب لأهل المعصية القوة على

(٥) التوحيد، ص ٣٥٤ باب ٥٨.

بيان: هذا الخبر مأخوذ من الكافي، وفيه تغييرات عجيبة تورث سوء الظن بالصدوق^(١) وأنه إنما فعل ذلك ليوافق مذهب أهل العدل، وفي الكافي هكذا: أيها السائل حكم الله ﷻ لا يقوم أحد من خلقه بحقه فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله، وهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم، ومنعهم إطاعة القبول منه فوافقوا ما سبق لهم في علمه، ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه لأن علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ما شاء وهو سره.

قوله ﷺ: لا يقوم أحد أي تكاليفه تعالى شاقة لا يتيسر الإتيان بها إلا بهدايته تعالى؛ أو كيفية حكم الله وقضائه في غاية الغموض، لا تصل إليها عقول أكثر الخلق.

قوله ﷺ: ومنعهم إطاعة القبول قيل: هو مصدر مضاف إلى الفاعل أي منعوا أنفسهم إطاعة القبول، والظاهر أنه على صيغة الماضي أي منع الله منهم غاية الوسع والطاقة بالألطف والهدايات التي يستحقها أهل الطاعة بنياتهم الحسنة لا أنه سلبهم القدرة على الفعل والله يعلم.

٩ - يده ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن أبي الخطاب، عن ابن أسباط، عن البطائني، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ قال: بأعمالهم شقوا^(٢).

١٠ - يده محمد بن أحمد العلوي، عن ابن قتيبة، عن الفضل، عن ابن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر ﷺ عن معنى قول رسول الله ﷺ: الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه؛ فقال: الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء^(٣). قلت

(١) قد ذكرنا سابقاً السقط الواضح عند النقل والإتهام بسوء الظن لا يجوز إلحاقه بالصدوق رضوان الله عليه وهو أجل من ذلك.

(٢) التوحيد، ص ٣٥٦ باب ٥٨ ح ٢. أقول: يظهر من هذه الرواية أن الأعمال سبب للشقاوة فبحسن اختياره أعمال الخير سعد وبسوء اختياره للشر شقي. [النمازي].

(٣) اعلم أن اختلاف السعيد والشقي. وبعبارة أخرى الطيب والخبيث. بالعرض لا بالذات، فإن أصل الأشياء الماء، كما في الروايات. ويظهر من أخبار الطينة والميثاق وأخبار عرض الولاية وأخبار بدء الخلق أنه عرض الولاية على الماء، فما قبل صار عذبا فرائاً، وما لم يقبل صار ملحاً أجاباً. فالأصل الماء والاختلاف بالعرض. وصرح الرضا ﷺ في رواية عمران الصابي أنه خلق خلقاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة؛ الخ، وله تعالى البدء في ذلك كله بأن يمحوه من الأشقياء ويكتبه في السعداء ويكون عاقبة الذين أساؤوا السواى أن كذبوا بآيات الله فيدخلوا في الأشقياء. نعوذ بالله من سوء العاقبة. وفي الروايات المستفيضة الواردة في بيان خلقه الإنسان في الرحم أنه إذا تمت الأربعة أشهر، بعث الله ﷻ ملكين خلاقين فيقولان: يا رب، ما تخلق؟ قال: فيوحي الله تعالى ما يريد من ذلك ذكراً أو أنثى، مؤمناً أو كافراً، أسوداً أو أبيض، شقياً أو سعيداً، وأحواله وما يصيبه من صحة أو عافية أو بلاء =

له : فما معنى قوله ﷺ : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ؟ فقال : إن الله ﷻ خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه ، وذلك قوله ﷻ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) فيسر كلاً لما خلق له ، فالويل لمن استحب العمى على الهدى^(٢) .

١١ - يده ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن يزيد ، عن صفوان ، عن ابن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله ﷻ خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه فمن علمه الله سعيداً لم يبغضه أبداً ، وإن عمل شراً أبغض عمله ولم يبغضه ، وإن علمه شقيماً لم يحبه أبداً ، وإن عمل صالحاً أحب عمله وأبغضه لما يصير إليه ، فإذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً ، وإذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً^(٣) .

منه : أبي ، عن صفوان مثله . «ج ١ باب ٤٠ ح ٤٠٥»

بيان : خلق السعادة والشقاوة أي قدرهما بتقدير التكليف الموجبة لهما . قوله ﷻ : فمن علمه الله سعيداً في الكافي : فمن خلقه الله أي قدره بأن علمه كذلك ، وأثبت حاله في اللوح أو خلقه حال كونه عالماً بأنه سعيد .

١٢ - يده ابن الوليد ، عن الصفار وسعد معاً ، عن أيوب بن نوح ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^(٤) قال : يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق وقد قيل : إن الله تعالى يحول بين المرء وقلبه بالموت ، وقال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله ينقل العبد من الشقاء إلى السعادة ، ولا ينقله من السعادة إلى الشقاء^(٥) .

= ومرض وأجله والميثاق الذي أخذه منه في عالم الذر ، ويكتبانه بين عينيه ، ويقول الله تعالى لهما : اشترطائي البدء في ذلك كله . ويعرف ذلك كله المتوسمون وهم الأئمة عليهم السلام ، فإذا نظروا إلى كل أحد يرون ما قدر له ويعلمون ذلك . فمما ذكرنا ظهر معنى هذا الخبر فيحمل على ظاهره مع ثبوت البدء له تعالى ، فلا إشكال فيه على أساس المعارف الإلهية ، ولا يحتاج إلى التأويل والقول بأن المراد من بطن الأم بطن الأرض حين يدخل في قبره ، فإن الأرض أمه يعني أصله الذي خلق منها ، كما قال تعالى : ﴿أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ وقوله : ﴿وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . ويمكن أن يكون المراد بالسعادة الراحة والنعمة والصحة وسائر نعمات الدنيا ويقابله الشقاوة يعني الضيق والزحمة والظنك والمحنة والمرض والآفات الدنيوية ، كما استعمل في القرآن في سورة طه خطاباً منه تعالى لآدم وحواء بقوله : ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ وقوله : ﴿طه﴾ ﴿مَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ويشهد على ذلك الأخبار المبينة لما يكون من السعادة والشقاوة . وبالجملية ترتفع الشقاوة بالدعاء لقوله تعالى حكاية عن زكريا : ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيماً﴾ . [مستدرك السفينة ج ٥ لغة «سعد»].

(٢) - (٣) التوحيد ، ص ٣٥٦ و ٣٥٧ ح ٣ و ٥ .

(٥) التوحيد ، ص ٣٥٨ باب ٥٨ ح ٦ .

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤ .

١٣ - يروى إبراهيم بن هاشم، عن الحسين بن سيف، عن أبيه، عن أبي القاسم، عن محمد ابن عبد الله قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: خطب رسول الله ﷺ الناس ثم رفع يده اليمنى قابضاً على كفه فقال: أتدرون ما في كفي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: فيها أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة؛ ثم رفع يده اليسرى فقال: أيها الناس أتدرون ما في يدي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم، وقبائلهم إلى يوم القيامة؛ ثم قال: حكم الله وعدل، وحكم الله وعدل، فريق في الجنة وفريق في السعير^(١).

١٤ - سنن أبي، عن النضر، عن الحلبي، عن ابن مسكان، عن ابن حازم قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: أيحب الله العبد ثم يبغضه؟ أو يبغضه ثم يحبه؟ فقال: ما تزال تأتيني بشيء! فقلت: هذا ديني وبه أخاصم الناس، فإن نهيتني عنه تركته. ثم قلت له: هل أبغض الله محمداً ﷺ على حال من الحالات؟ فقال: لو أبغضه على حال من الحالات لما ألطف له حتى أخرجه من حال إلى حال فجعله نبياً؛ فقلت: ألم تجبني منذ سنين عن الشقاوة والسعادة أنهما كانا قبل أن يخلق الله الخلق؟! قال: بلى وأنا الساعة أقوله؛ قلت: فأخبرني عن السعيد هل أبغضه الله على حال من الحالات؟ فقال: لو أبغضه على حال من الحالات لما ألطف له حتى يخرج من حال إلى حال فيجعله سعيداً؛ قلت: فأخبرني عن الشقي هل أحبه الله على حال من الحالات؟ فقال: لو أحبه على حال من الحالات ما تركه شقيّاً ولا استنقذه من الشقاء إلى السعادة، قلت: فهل يبغض الله العبد ثم يحبه أو يحبه ثم يبغضه؟ فقال: لا^(٢).

١٥ - سنن النضر، عن يحيى الحلبي، عن معلى أبي عثمان، عن علي بن حنظلة عن أبي عبد الله ﷺ قال: اختصم رجلان بالمدينة: قدرتي ورجل من أهل مكة فجعلوا أبا عبد الله ﷺ بينهما فأتياه فذكرا كلامهما فقال: إن شئتما أخبرتكما بقول رسول الله ﷺ؟ فقالا: قد شئنا، فقال: قام رسول الله ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: كتاب كتبه الله يمينه - وكلتا يديه يمين - فيه أسماء أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائهم ويجمل عليهم، لا يزيد فيهم رجلاً ولا ينقص منهم رجلاً، وقد يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء حتى يقول الناس: كان منهم، ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثم تداركه السعادة؛ وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثم يتداركه الشقاء، من كتبه الله سعيداً ولو لم يبق من الدنيا إلا فواق ناقة ختم الله له بالسعادة^(٣).

يده: أبي، عن سعد، عن البرقي، عن أبيه، عن النضر، عن الحلبي، عن معلى أبي عثمان، عن ابن حنظلة، عن أبي عبد الله ﷺ قال: يسلك بالسعيد طريق الأشقياء إلى آخر الخبر^(٤).

(١) بصائر الدرجات، ص ١٩٠ ج ٤ باب ٥ ح ٤. (٢) - (٣) المحاسن، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٤) التوحيد، ص ٣٥٧ باب ٥٨ ح ٤.

١٦- سنن: ابن فضال، عن مثني الحنّاط، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق قوماً يحبّنا، وخلق قوماً لبغضنا، فلو أنّ الذين خلقهم لحبّنا خرجوا من هذا الأمر إلى غيره لأعادهم إليه وإن رغمت آناهم، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبّوننا أبداً^(١).

١٧- سنن: الوشاء، عن مثني، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله خلق خلقه، فخلق خلقاً يحبّنا لو أنّ أحداً خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه، وإن رغم أنفه، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبّوننا أبداً^(٢).

١٨- سنن: ابن محبوب، وعليّ بن الحكم، عن معاوية بن وهب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ ممّا أوحى الله إلى موسى وأنزل في التوراة: إنّني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق وخلقت الخير وأجرته على يدي من أحبّ، فطوبى لمن أجرته على يديه، وأنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق وخلقت الشرّ وأجرته على يدي من أريد فويل لمن أجرته على يديه^(٣).

١٩- سنن: أبي، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حكيم، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ في بعض ما أنزل الله في كتبه: إنّني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخير وخلقت الشرّ فطوبى لمن أجرته على يديه الخير، وويل لمن أجرته على يديه الشرّ، وويل لمن قال: كيف ذا؟ وكيف ذا^(٤)؟

٢٠- سنن: محمد بن سنان، عن حسين بن أبي عبيد، وعمرو الأفرق الخياط، وعبد الله ابن مسكان كلّهم، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله يقول: أنا الله لا إله إلا أنا، خالق الخير والشرّ، وهما خلقان من خلقي، فطوبى لمن قدّرت له الخير، وويل لمن قدّرت له الشرّ، وويل لمن قال: كيف ذا^(٥)؟

٢١- سنن: الحسن بن عليّ، عن داود بن سليمان الجمّال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وذكر عنده القدر وكلام الاستطاعة - فقال: هذا كلام خبيث، أنا على دين آبائي، لا أرجع عنه، القدر حلوه ومرّه من الله، والخير والشرّ كلّ من الله^(٦).

٢٢- سنن: أبو شعيب المحاملي، عن أبي سليمان الحمّار، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شيء من الاستطاعة فقال: يا أبا محمد الخير والشرّ حلوه ومرّه وصغيره وكثيره من الله^(٧).

بيان: المراد بخلق الخير والشرّ إمّا تقديرهما كما مرّ، أو المراد خلق الآلات والأسباب التي بها يتيسّر فعل الخير وفعل الشرّ كما أنّه تعالى خلق الخمر، وخلق في الناس القدرة على

(٣) - (٦) المحاسن، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(١) - (٢) المحاسن، ص ٢٨٠.

(٧) المحاسن، ص ٢٨٤ وفيه: وكثيره من الله.

شربها، أو كناية عن أنهما إنما يحصلان بتوفيقه وخذلانه فكأنه خلقهما؛ أو المراد بالخير والشر النعم والبلايا؛ أو المراد بخلقهما خلق من يعلم أنه يكون باختياره مختاراً للخير، ومختاراً للشر، والله يعلم.

٢٣ - سنن: البزنطي، عن حماد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر إليه فقد كذب على الله ^(١).

شيء: عن أبي بصير مثله ^(٢).

٧ - باب الهداية والاضلال والتوفيق والخذلان ^(٣)

الآيات: الفاتحة «١»: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.
البقرة «٢»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ «وقال تعالى»: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ «وقال تعالى»: ﴿فَهْدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٢٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ «وقال تعالى»: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿٢٥٧﴾ «وقال»: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٥٨﴾ «وقال»: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٦٤﴾.

آل عمران: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ ﴿٧٣﴾ «وقال تعالى»: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٦﴾.
النساء «٤»: ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿٦٨﴾.

المائدة: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ ﴿٤١﴾ «وقال تعالى»: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمْنَا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ ﴿٤٩﴾ «وقال تعالى»: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ «وقال تعالى»: ﴿إِنَّ

(١) المحاسن، ص ٢٨٤. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦ ح ١٦ من سورة الأعراف.

(٣) أقول: إعانة تعالى ونصره وتوفيقه والقاء الملك في أذن قلب العبد اليمنى كنداء المنادي رجلاً يا رجلاً تعال مثلاً، فإذا ناداه يقول: نعم، وإن لم يناده لم يجب مع أنه بقدر على أن يقول: نعم من دون نداء، فافهم واغتنم وهذا مثل التوفيق. وقال في المجمع: التوفيق من الله توجيه الأسباب نحو مطلوب الخير. واستوفقت الله أي سألته التوفيق. ووافقته: صادفته. والتوافق: الاتفاق. [مستدرك السفينة ج ١٠ لغة «وفق»].

اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ «وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٠٨).

الأنعام ﴿٦﴾: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (٢٥) «وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٥) «وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِينَ لِيَتَذَكَّرُوا فِيهَا﴾ (١٢٣) «وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٩) «وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ (٥٣) «وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١١﴾ وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَبَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ قُبْلَا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَنَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفْئِدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْرِئُوا مَا هُمْ مُنْفَرِقُونَ ﴿١١٤﴾﴾ «وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٥) «وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٤) «وقال تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٤٩).

الأعراف ﴿٧﴾: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٧) «وقال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلْفِئَةٍ بَدَلًا هُمْ أَصْلَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ «وقال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ (٣٠) «وقال تعالى: ﴿سَاصِرُونَ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُفْلًا عَابُوا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (١٤٦) «وقال تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَهُمْ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨١﴾﴾.

الأنفال ﴿٨﴾: ﴿قُلْتُمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (١٧) «وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (٢٤).

التوبة ﴿٩﴾: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) «وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) «وقال تعالى: ﴿وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٨٧) «وقال تعالى: ﴿مَرَفَكَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٢٧).

يونس ﴿١٠﴾: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٥) «وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) «وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ

يَهْدِي الْعَمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَتَّبِعُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ «وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤٧﴾».

هود ﴿١١﴾: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿١٨٨﴾ «وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿١٨٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْيَتِيمِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٨٩﴾» «وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٣٤﴾».

الرعد ﴿١٣﴾: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ ﴿٢٧﴾ «وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِصَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ﴿٣١﴾» «وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٣﴾».

إبراهيم: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿٤﴾ «وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الْفَاطِلِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾».

النحل ﴿١٦﴾: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَشْتَغِلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ «وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾».

الإسراء: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ ﴿٩٧﴾ «وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ﴿١٦﴾».

الكهف ﴿١٨﴾: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ﴿١٧﴾.

مريم: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدَدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ ﴿٧٥﴾ «وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى﴾ ﴿٧٦﴾» «وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَرِ أَنَّكَ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ ﴿٨٣﴾».

النور ﴿٢٤﴾: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ «وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ﴿٤٠﴾» «وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٦﴾».

الفرقان ﴿٢٥﴾: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَءَابَأَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿١٨﴾.

الشعراء: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ «لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

النمل ﴿٢٧﴾: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتُهُمْ أَعْمَلَتْهُمْ فَهُمْ بِعَمَلِهِمْ﴾ ﴿٤١﴾.

القصص ﴿٢٨﴾: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَذْعَبُونَ إِلَى النَّكَارِ﴾ ﴿٤١﴾ «وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾».

الروم ﴿٣٠﴾: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ مُنْصِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ «وقال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾».

التنزيل [السجدة] (٣٢): ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣).

سباء: (٣٤): ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠).

فاطر (٣٥): ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٨) ﴿وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾﴾ (٢٢).

يس (٣٦): ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ (٨) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٩) ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠).

الزمر (٣٩): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٣) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾﴾ (٢٣) ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ (٣٧) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾﴾ (٥٧).

المؤمن [غافر] (٤٠): ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٣) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾﴾ (٣٤) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ﴾﴾ (٣٥) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾﴾ (٧٤).

السجدة [فصلت] (٤١): ﴿وَقَفَّيْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢٥).

حمسق [الشورى] (٤٢): ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾﴾ (٤٤) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾﴾ (٤٦).

الزخرف (٤٣): ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (٣٢) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾﴾ (٣٦) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾﴾ (٤٠).

الجاثية (٤٥): ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِثْرَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣).

محمد (٤٧): ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٦) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَالَتْهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾﴾ (١٧) ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾﴾ (٢٣).

الصف (٦١): ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧).

المنافقون (٦٣): ﴿نَطِيعٌ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣).

الدهر (٧٦): ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (١) (٣١).

تفسيره: قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال البيضاوي: الختم: الكتم، سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره، نظراً إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه. والغشاوة فعالة من غشاء: إذا غطاه، بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة، ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة، وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي، واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد، وإعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق، وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لا تجتلي لها الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس، كما تجتليها عين المستبصرين، فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإبصار، وسماء على الاستعارة ختماً وتغشية؛ أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختماً وتغطية. وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِي طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ (٢) وبالإغفال في قوله تعالى: ﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُمْ﴾ (٣) وبالإقساء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (٤) وهي من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة إلى الله واقعة بقدرته استندت إليه، ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (٦) وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم، واضطرت المعتزلة فيه فذكروا وجوهاً من التأويل: الأول: أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه.

الثاني: أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدر ختم الله عليها؛ ونظيره: سال به الوادي: إذا هلك، وطارت به العنقاء: إذا طالت غيبته.

الثالث: أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان، أو الكافر لكن لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى إياه أسنده إليه إسناد الفعل إلى السبب.

الرابع: أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل

(١) ويظهر من جميع الآيات أن إضلاله تعالى للفساق والكفار والمجرمين جزاء لفسقهم وكفرهم وجرمهم وإسرافهم [النمازي].

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٦) سورة المنافقون، الآية: ٣.

إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثم لم يقسرهم إبقاءً على غرض التكليف عبّر عن تركه بالختم، فإنه سدّ لإيمانهم، وفيه إشعار على ترامي أمرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي.

الخامس: أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل: ﴿قُلُونَا فِي أَكْثَرِ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيءَ إِذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾^(١) تهكماً واستهزاء بهم، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية^(٢).

السادس: أن ذلك في الآخرة، وإنما أخبر عنه بالماضي لتحقيقه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكَاءٌ وَصَعًا﴾^(٣).

السابع: أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما. انتهى^(٤).

أقول: بعد قيام البرهان على امتناع أن يكلف الحكيم أحداً ثم يمنعه عن الإتيان بما كلفه به ثم يعذبه عليه وشهادة العقل بقبح ذلك وأنه تعالى منزّه عنه لا بدّ من الحمل على أحد الوجوه التي ذكرها.

وزاد الشيخ الطبرسي رحمه الله على ما ذكر وجهين آخرين: أحدهما ما سيأتي نقلاً عن تفسير العسكري عليه السلام وقد مرّت الإشارة إليه أيضاً وهو أن المراد بالختم العلامة وإذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنه لا يؤمن فإنه يعلم على قلبه علامة؛ وقيل: هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما أنه تعالى يكتب في قلب المؤمن الإيمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها أنه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له، فقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ يحتمل أمرين: أحدهما أنه طبع الله عليها جزاءً للكفر وعقوبة عليه، والآخر أنه طبع عليها بعلامة كفرهم كما يقال: طبع عليه بالطين، وختم عليه بالشمع. وثانيهما أن المراد بالختم على القلوب أن الله شهد عليها وحكم بأنها لا تقبل الحق كما يقال: أراك أنك تختم على كل ما يقوله فلان أي تشهد به وتصدّقه، وقد ختمت عليك بأنك لا تفلح أي شهدت، وذلك استعارة^(٥).

قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ قال الطبرسي رحمه الله: فيه وجهان: أحدهما: حكي عن الفراء أنه قال حكاية عمّن قال: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أي يضلّ به قوم ويهدي به قوم، ثم

(١) سورة فصلت، الآية: ٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.

(٣) مجمع البيان، ج ١ ص ٩٦.

(٤) سورة البينة، الآية: ١.

(٥) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٣٦.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ فيبين تعالى أنه لا يضل إلا فاسقاً ضالاً، وهذا وجه حسن. والآخر أنه كلامه تعالى ابتداءً وكلاهما محتمل، وإذا كان محمولاً على هذا فمعنى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ أن الكفار يكذبون به وينكرونه، ويقولون: ليس هو من عند الله فيضلون بسببه، وإذا حصل الضلال بسببه أضيف إليه، وقوله: ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يعني الذين آمنوا به وصدقوه، وقالوا هذا في موضعه، فلما حصلت الهداية بسببه أضيف إليه، فمعنى الإضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال فالمعنى أن الله يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضل بها قوم كثير، ويهتدي بها قوم كثير، ومثله قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي ضلوا عندها، وهذا مثل قولهم: أفسدت فلانة فلاناً وأذهبت عقله، وهي ربما لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من أجلها أضيف الفساد إليها، وقد يكون الإضلال بمعنى التخليّة على وجه العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع اللطاف التي تفعل بالمؤمنين جزاءً على إيمانهم، وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه: أفسدت سيفك؛ أريد به أنك لم تحدث فيه الإصلاح في كل وقت بالصقل والإحداد. وقد يكون الإضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال: أضله إذا نسبه إلى الضلال، وأكفره: إذا نسبه إلى الكفر، قال الكميت: وطائفة قد أكفروني بحبكم. وقد يكون الإضلال بمعنى الإهلاك والعذاب والتدمير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي هلكنّا، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي لم يبطل فعلى هذا يكون المعنى: أن الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيراً بأن يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهدي إلى الثواب وطريق الجنة بالإيمان به كثيراً؛ عن أبي علي الجبائي قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ لأنه لا يخلو من أن يكون أراد العقوبة على التكذيب كما قلناه، أو يكون أراد به التحيير والتشكيك، فإن أراد الحيرة فقد ذكر أنه لا يفعل إلا بالفاسق المتحير الشاك فيجب أن لا تكون الحيرة المتقدمة التي بها صاروا فاسقاً من فعله إلا إذا وجدت حيرة قبلها أيضاً، وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أول، أو ثبوت إضلال لا إضلال قبله، وإذا كان ذلك من فعله فقد أضل من لم يكن فاسقاً وهو خلاف قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ وعلى هذا الوجه فيجوز أن يكون حكم الله عليهم بالكفر وبراءته منهم ولعنته عليهم إهلاكاً لهم، ويكون إهلاكه إضلالاً، وكل ما في القرآن من الإضلال المنسوب إلى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه الإضلال الذي أضافه إلى الشيطان وإلى فرعون والسامري بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ وقوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ﴾ وقوله: ﴿وَأَضَلُّمُ السَّامِرِيُّ﴾ وهو أن يكون بمعنى التلبس والتغليط والتشكيك والإيقاع في الفساد والضلال وغير ذلك مما يؤدي إلى التظليم والتجوير إلى ما يذهب إليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وإذ قد ذكرنا أقسام الإضلال فلنذكر أقسام الهداية التي هي ضده. اعلم أن الهداية في القرآن تقع على وجوه: أحدها: أن تكون بمعنى الدلالة والإرشاد يقال: هداه الطريق وللطريق وإلى الطريق إذا دلّه عليه، وهذا الوجه عام لجميع المكلفين، فإن الله تعالى هدى كل مكلف إلى الحق بأن دلّه عليه وأرشده إليه لأنه كلفه الوصول إليه فلو لم يدلّه عليه لكان قد كلفه ما لا يطيق؛ ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ وقوله: ﴿أَنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ وما أشبه ذلك من الآيات. وثانيها: أن يكون بمعنى زيادة اللطاف التي بها يثبت على الهدى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدىً﴾.

وثالثها: أن تكون بمعنى الإثابة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْصُرْ أَهْلَهُمْ﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ والهداية التي تكون بعد قتلهم هي إثابتهم لا محالة.

ورابعها: الحكم بالهداية كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ وهذه الوجوه الثلاثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لأنه تعالى إنما يشب من يستحق الإثابة وهم المؤمنون، ويزيدهم الطافاً بإيمانهم وطاعتهم، ويحكم لهم بالهداية لذلك أيضاً.

وخامسها: أن تكون الهداية بمعنى جعل الإنسان مهتدياً، بأن يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحركاً بخلق الحركة فيه، والله تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه تعالى، وهذا الوجه أيضاً عام لجميع العقلاء كالوجه الأول، فأما الهداية التي كلف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به وبأنبيائه وغير ذلك فإنها من فعل العباد، ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب، وإن كان الله سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهم على ذلك وإرشادهم إليه ودعاهم إلى فعله وتكليفهم إياه وأمرهم به، فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم، ومنة منه واصله إليهم، وفضل منه وإحسان لديهم، فهو مشكور على ذلك محمود، إذ فعله بتمكينه والطفه وضروب تسهيلات ومعونات^(١).

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: إن المراد به البيان والدلالة، والصراط المستقيم هو الإسلام؛ أو المراد به: يهديهم باللفظ فيكون خاصاً بمن علم من حاله أنه يصلح به؛ أو المراد به: يهديهم إلى طريق الجنة^(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ قيل: هذا استعجال للموعود كما يفعله الممتحن، وإنما قاله الرسول استبطاءاً للنصر على جهة التمني. وقيل: إن معناه الدعاء لله بالنصر.

وقيل: إنه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيلاً: قال المؤمنون متى نصر الله؟ وقال الرسول: ألا إن نصر الله قريب^(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: أي من ظلمات الضلال والكفر إلى نور الهدى والإيمان بأن هداهم إليه ونصب الأدلة لهم عليه ورغبهم فيه وفعل بهم من الألفاف ما يقوي دواعيهم إلى فعله^(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد. وقيل: لا يهديهم إلى المحاجة كما يهدي أنبياءه. وقيل: لا يهديهم بالطفاه وتأيدته إذا علم أنه لا لطف لهم. وقيل: لا يهديهم إلى الجنة^(٣).

وقال في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾: معناه: كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم والثناء عليهم؟ أو أنه على طريق التباعد كما يقال: كيف يهديك إلى الطريق وقد تركته؟ أي لا طريق يهديهم به إلى الإيمان إلا من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه، أو كيف يهديهم الله إلى طريق الجنة والحال هذه^(٤)؟.

أقول: الأظهر أن المعنى أنهم حرّموا أنفسهم بما اختاروه الألفاف الخاصة من ربهم تعالى.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتُهُ﴾: قيل فيه أقوال: أحدها: أن المراد بالفتنة العذاب أي من يرد الله عذابه كقوله تعالى: ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يعذبون وقوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي عذابكم.

وثانيها: أن معناه من يرد الله إهلاكه.

وثالثها: أن المراد به من يرد الله خزيه وفضيحه بإظهار ما ينطوي عليه.

ورابعها: أن المراد من يرد الله اختباره بما يتليه من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرّفه. والأصح الأول. ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي فلن تستطيع أن تدفع لأجله من أمر الله الذي هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ معناه: أولئك اليهود لم يرد الله أن يطهر من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع والضيق قلوبهم، كما طهر قلوب المؤمنين منها، بأن كتب في قلوبهم الإيمان، وشرح صدورهم للإسلام. وقيل: معناه: لم يرد أن يطهرها من الكفر بالحكم عليها بأنها بريئة منه، ممدوحة بالإيمان.

قال القاضي: وهذا لا يدل على أنه سبحانه لم يرد منهم الإيمان لأن ذلك لا يعقل من

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٦٩.

(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٦٤.

(٣) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٦٩.

(٤) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٣٩.

تطهير القلب إلا على جهة التوسع، ولأن قوله: ﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهِرْ قُلُوبَهُمْ﴾ يقتضي نفي كونه مريداً، وليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه، والمراد بذلك أنه لم يرد تطهير قلوبهم مما يلحقها من الغموم بالذم والاستخفاف والعقاب ولذا قال عقيه: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ولو كان أراد ما قاله المجبرة لم يجعل ذلك ذمّاً لهم ولا عقبه بالذم، ولا جعله في حكم الجزاء على ما لأجله عاقبهم وأراد ذلك فيهم^(١).

أقول: روى النعماني في تفسيره فيما رواه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنهم سأله عن المتشابه في تفسير الفتنة فقال: منه فتنة الاختبار وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ الرُّسُلُ أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُقْبَلُونَ﴾ وقوله لموسى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾.

ومنه فتنة الكفر وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَتَيْنَا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وقوله سبحانه في الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أن يتخلفوا عنه من المنافقين فقال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُرُ أَتَدْنِي وَلَا نَقْتُلِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ يعني ائذن لي ولا تكفري، فقال ﷺ: ﴿إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

ومنه فتنة العذاب وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يعذبون ﴿ذُوقُوا وَنُتَكَّرْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي ذوقوا عذابكم.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي عذبوا المؤمنين.

ومنه فتنة المحبة للمال والولد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

ومنه فتنة المرض وهو قوله سبحانه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ أي يمرضون ويقتلون. انتهى.

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾^(٢) قيل في معناه أقوال: أحدها معناه: فاعلم يا محمد أنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض أفعالهم، وذكر البعض والمراد به الكل، كما يذكر العموم ويراد به الخصوص.

والثاني: أنه ذكر البعض تغليظاً للعقاب، والمراد أنه يكفي أن يؤخذوا ببعض ذنوبهم في إهلاكهم والتدمير عليهم.

والثالث: أنه أراد تعجيل بعض العقاب مما كان من التمرّد في الإجماع لأنّ عذاب الدنيا مختصّ ببعض الذنوب دون بعض، وعذاب الآخرة بعم^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾^(٤) قال الزمخشري: الأكنة على القلوب والوقر في

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٥.

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣٣٦.

(٣) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣٥٢.

الأذان مثل في نبؤ قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته، ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه، أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم: ﴿وَفِي ءَاذَانِنَا وَقَرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ جِجَابٌ﴾^(١).

وقال الطبرسي رحمه الله: قال القاضي أبو عاصم العامري: أصح الأقوال فيه ما روي أن النبي ﷺ كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهراً رجاء أن يستمع إلى قراءته إنسان فيتدبر معانيه ويؤمن به فكان المشركون إذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة، وكان الله تعالى يلقي عليهم النوم، أو يجعل في قلوبهم أكنة ليقطعهم عن مرادهم، وذلك بعدما بلغهم ما تقوم به الحجة وتنقطع به المexcuse، وبعدها علم الله تعالى أنهم لا يتفهمون بسماعه ولا يؤمنون به، فشبه إلقاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم، وبوقر آذانهم لأن ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطاء، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾^(٢) ويحتمل ذلك وجهاً آخر وهو أنه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم أنهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفقهوا ما يستمعونه؛ ويحتمل أيضاً أن يكون سمي الكفر الذي في قلوبهم كناً تشبيهاً ومجازاً وإعراضهم عن القرآن وقرأ توسعاً لأن مع الكفر والإعراض لا يحصل الإيمان والفهم، كما لا يحصلان مع الكفر والوقر، ونسب ذلك إلى نفسه لأنه الذي شبه أحدهما بالآخر كما يقول أحدهما لغيره إذا أثنى على إنسان وذكر مناقبه: جعلته فاضلاً، وبالعكس إذا ذكر مقابحه وفسقه يقول: جعلته فاسقاً^(٣).

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَلَّهُ لَجَمْعِهِمْ عَلَى الْهُدَى﴾ أي بأن يأتيهم بآية ملجئة، ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لِيَتَكُونُوا فِيهَا﴾ قال الطبرسي رحمه الله: اللام: لام العاقبة^(٥)، وقال الزمخشري: معناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر؛ وكذا قال: اللام لام العاقبة في قوله تعالى: ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي عاملناهم معاملة المختبر ليشكروا أو يصبروا فآل أمرهم إلى هذه العاقبة.

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ وجهين: أحدهما: أنه يقلبهما في جهنم على لهب النار وحر الجمر كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا؛ والآخر أن المعنى: يقلب أفئدتهم وأبصارهم بالحيرة التي تغم وتزعج النفس^(٦).

(١) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٢٢. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.

(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٩. (٤) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٢٥.

(٥) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٥٣. (٦) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٣٦.

وقال الزمخشري: ﴿وَنَقْلِبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَنَذَرُهُمْ﴾ عطف على (لا يؤمنون) داخل في حكم وما يشعركم أنهم لا يؤمنون، وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم، أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق، كما كانوا عند نزول آياتنا أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعاً على قلوبهم وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه^(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي مشيئة إكراه واضطرار^(٢).

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾ وجوه: أحدها: أن المراد كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجن والإنس، ومتى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداء له.

وثانيها: أن معناه حكمنا بأنهم أعداء وأخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الأعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم، وهذا كما يقال: جعل القاضي فلاناً عدلاً وفلاناً فاسقاً إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك.

وثالثها: أن المراد خلينا بينهم وبين اختيارهم العداوة، لم نمنعهم على ذلك كرهاً ولا جبراً، لأن ذلك يزيل التكليف.

ورابعها: أنه سبحانه إنما أضاف ذلك إلى نفسه، لأنه سبحانه لما أرسل إليهم الرسل، وأمرهم بدعائهم إلى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه، ومثله قول نوح عليه السلام: ﴿فَلَمَّ يَرَوْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا﴾^(٣) وقال: والعامل في قوله: ﴿وَلْيَصْغَى﴾ قوله: (يُوحِي) ولا يجوز أن يكون العامل فيه ﴿جَعَلْنَا﴾ لأن الله سبحانه لا يجوز أن يريد إصغاء القلوب إلى الكفر ووحى الشياطين، إلا أن نجعلها لام العاقبة. وقال البلخي: اللام في: ﴿وَلْيَصْغَى﴾ لام العاقبة، وما بعده لام الأمر الذي يراد به التهديد.

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ فيه وجوه:

أحدها: أن معناه من يرد الله أن يهديه إلى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره في الدنيا للإسلام بأن يثبت عزمه عليه ويقوي دواعيه على التمسك به، وإنما يفعل ذلك لطفاً له ومناً عليه، وثواباً على اقتدائه بهدي الله وقبوله إياه؛ ومن يرد أن يضلّه عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقاً حرجاً عقوبة له على تركه الإيمان من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان، بل ربما يكون ذلك داعياً إليه، فإن من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً إلى تركه.

(١) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٤٠.

(٢) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٣٤٢.

(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٤٠.

وثانيها : أنَّ معناه فمن يرد الله أن يشبهه على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه، جزاءً له على إيمانه واهتدائه، وقد يطلق الهدى ويراد به الاستدامة؛ ومن يرد أن يضلَّه أي يخذله ويخلِّي بينه وبين ما يريد، لا اختياره الكفر وتركه الإيمان يجعل صدره ضيقاً حرجاً بأن يمنعه الألفاف التي يشرح لها صدره، لخروجه من قبولها بإقامته على كفره.

وثالثها : أنَّ معناه من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعدّها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة لأنَّ من حقها أن يزيد المؤمن بصيرة، ومن يرد أن يضلَّه عن تلك الزيادة بمعنى يذهب عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن تصحَّ عليه يجعل صدره ضيقاً حرجاً لمكان فقد تلك الزيادة، لأنها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر ما يضادّه، والرجس : العذاب^(١).

وقال في قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ أي حكمنا بذلك لأنهم يتناصرون على الباطل كما قال : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِئَاءً﴾^(٢).

وقال في قوله : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ يعني خلقناهم على أن عاقبتهم المصير إلى جهنم بكفرهم وإنكارهم وسوء اختيارهم، ويدلُّ عليه قوله سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣).

وقال الزمخشري : جعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الأذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة شكائهم فيه وأنهم لا يتأتى منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار، دلالة على توغلهم في الموجبات، وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار^(٤).

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ أي جماعة حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى، أو لطف لهم بما اهتدوا عنده، أو هداهم إلى طريق الثواب ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ﴾ أي وجب عليهم الضلالة، إذ لم يقبلوا الهدى، أو حق عليهم الخذلان لأنه لم يكن لهم لطف تشرح لهم^(٥) صدورهم، أو حق عليهم العذاب أو الهلاك بكفرهم^(٦).

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿وَلَنَكَبَنَّ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ : أي إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم، وشاء النصر والظفر، وقوى قلوبكم، وأذهب عنها الفزع والجزع، وما رميت أنت يا محمد إذ رميت

(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٣٨.

(٤) الكشف، ج ١ ص ٣٩٩.

(٦) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٤٢.

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٩٨.

(٥) الصواب : له كما في المصدر.

ولكن الله رمى، يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغ أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله ﷺ، لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنها لم توجد من الرسول أصلاً^(١).

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ أي انصرفوا عن المجلس، وقيل انصرفوا عن الإيمان به ﴿صَرَفَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الفوائد التي يستفيدونها المؤمنون والسرور بها، وحرموا الاستبشار بتلك الحال. وقيل: معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبة لهم على انصرافهم عن الإيمان بالقرآن، وعن مجلس رسول الله ﷺ. وقيل: إنه على وجه الدعاء عليهم أي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك، ودعاء الله على عباده وعيد لهم وإخبار بلحاق العذاب بهم^(٢).

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قال الزمخشري: ﴿أَنْتُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك، أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن، أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب. ﴿وَأَنْتُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون^(٣).

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره فتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد؛ تعالى الله عن ذلك^(٤).

وقال السيد المرتضى رحمه الله: إن سأل سائل فقال: ما عندكم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١٧٨) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^(٥) يقال له: أمّا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ فإنما عني به المشية التي ينضم إليها الإلجاء، ولم يعن المشية على سبيل الاختيار، وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وأنه مقن لا يغالب ولا يعصى مقهوراً، من حيث كان قادراً على الإلجاء والإكراه على ما أراد من العباد، فأما لفظة (ذلك) في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف لدليل العقل وشهادة اللفظ، فأما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه، فكيف يجوز أن يكون شائياً له ومجرباً بخلق العباد إليه؟ وأمّا شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف، وحمل اللفظ على أقرب المذكورين أولى

(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ١٤٨.

(٤) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٤٩١.

(١) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٤١٣.

(٣) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٤٧٩.

(٥) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.

في لسان العرب، فأما ما طعن به السائل من تذكير الكناية فباطل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي، وإذا كنّا عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لأن معناها هو الفضل والإنعام كما قالوا: سرّني كلمتك، يريدون سرّني كلامك. وقال الله تعالى: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ ولم يقل: (هذه) وإنما أراد هذا فضل من ربّي، وفي موضع آخر ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنْ الْمُتَحْسِنِينَ﴾^(١) ولم يقل: قريبة.

أقول: ثمّ استشهد بالحديث لذلك بكثير من الأشعار تركناها حذراً من الإطناب ثمّ قال: وقال زياد الأعجم:

إنّ الشجاعة والمرّة ضمّنا قبراً بمرّو على الطريق الواضح
ويروى: إنّ السماحة والشجاعة؛ فقال: «ضمّنا» ولم يقل: «ضمّتنا» قال الفراء لأنّه ذهب إلى أنّ السماحة والشجاعة مصدران، والعرب تقول: قصارة الثوب يعجبني لأنّ تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل وهو مذكّر، على أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ كما يدل على الرحمة يدل أيضاً على أن يرحم فإذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير في موضعه لأنّ الفعل مذكّر، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه أمة واحدة لا محالة أنّه لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقد قال قوم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه أنّه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ في أنّه أراد هداها إلى طريق الجنة، فعلى هذا التأويل يمكن أن ترجع لفظة ذلك إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنة لأنّه تعالى إنّما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها. فأما قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات. وذكر أبو مسلم محمد بن بحر في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أنّ خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لأنّه سواء قولك: خلف بعضهم بعضاً وقولك: اختلفوا، كما سواء قولك: قتل بعضهم بعضاً، واقتتلوا. ومنه قولهم: لا أفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان أي جاء كلّ واحد منهما بعد الآخر؛ فأما الرحمة فليست رقة القلب، لكنّها فعل النعم والإحسان؛ يدلّ على ذلك أنّ من أحسن إلى غيره وأنعم عليه يوصف بأنّه رحيم وإن لم تعلم منه رقة قلبه عليه.

فإن قيل: إذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أنّ نعم الله تعالى شاملة للخلق أجمعين فاي معنى لاستثناء ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ من جملة «المختلفين» إن كانت الرحمة هي النعمة؟ وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامّة؟.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

قلنا : لا شبهة في أن نعم الله سبحانه شاملة للخلق أجمعين غير أن في نعمه أيضاً ما يختص بها بعض العباد، إما لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص، فإذا حملنا قوله : إلا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لأن النعمة به لا تكون إلا مستحقة فمن استحق الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة، ومن لم يستحقه لم يصل إليها وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان واللطف الذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة لأنه تعالى إنما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه أن لهم توفيقاً، وأن في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان فاختصاص هذه النعمة ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر لهم كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه^(١). انتهى كلامه رفع الله مقامه.

وقال الزمخشري : (ذلك) إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول وتضمنه، يعني ولذلك التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره، وثمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لعلمه بكثرة من يختار الباطل.

وقال في قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَأْتِنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ يعني مشيئة الإلجاء والقسر ﴿لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ومعنى : ﴿أَفَلَمْ يَأْتِنِ﴾ : أفلم يعلم؛ قيل : هي لغة قوم من النخع، وقيل : إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك، ويدل عليه أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا أي أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم^(٢).

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر والدرر : قال الله جل من قائل : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾^(٣) الآية، في هذه الآية وجوه من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه :

أولها : أن الإهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فإذا كان مستحقاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً، وإنما يكون قبيحاً إذا كان ظلماً فتعلق الإرادة لا يقضي تعلقها به على الوجه القبيح، ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك، وإذا علمنا بالأدلة العقلية تنزه القديم تعالى عن القبائح علمنا أن الإرادة لم يتعلق إلا بالإهلاك الحسن. وقوله تعالى : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المأمور به محذوف، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق، وإن وقع بعده الفسق، ويجري هذا

(٢) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٥٦٩.

(١) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٥٠-٥٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية : ١٦.

مجري قول القائل: أمرته فعصى ودعوته فأبى؛ والمراد إنني أمرته بالطاعة ودعوته إلى الإجابة والقبول - ويمكن أن يقال على هذا الوجه: ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه، وإنما موضعها أن يقال: أي معنى لتقدم الإرادة فإن كانت متعلقة بإهلاك مستحق بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا... أَرَدْنَا أَمْرًا﴾ لأن أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحق بما تقدم من الأفعال، وإن كانت الإرادة متعلقة بالإهلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا هو الذي تأبونه، لأنه يقتضي أنه تعالى يريد لإهلاك من لم يستحق العقاب.

والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعلق الإرادة إلا بالإهلاك المستحق بما تقدم من الذنوب، والذي حسن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا... أَرَدْنَا أَمْرًا﴾ هو أن في تكرّر الأمر بالطاعة والإيمان إعداراً إلى العصاة وإنذاراً لهم، وإيجاباً وإثباتاً للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرّر الوعيد والوعظ والإنذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة، ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

والثاني: أن يكون قوله تعالى: ﴿أَمْرًا مُتَرَفِّهَا﴾ من صفة القرية وصلتها، ولا يكون جواباً لقوله: ﴿وَإِذَا... أَرَدْنَا﴾ ويكون تقدير الكلام: وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا أمرنا مترفها ففسقوا فيها، ويكون إذا على هذا الجواب لم يأت له جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه، ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة: ﴿حَقَّقَ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ إلى قوله: ﴿فَنَعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾^(١) ولم يأت لإذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه.

والثالث: أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً واتساعاً وتنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وأنهم متى أمروا فسقوا وخالفوا، ويجري ذكر الإرادة ههنا مجرى قولهم: إذا أراد التاجر أن يفتقر أته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق، وقولهم: إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله وتسرع إلى كل ما تتوق إليه نفسه، ومعلوم أن التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً، ولا العليل أيضاً لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال ذاك الهلاك حسن هذا الكلام، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه مجازاً، وكلام العرب وحي وإشارات واستعارة ومجازات، ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة، فإن الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة بريئاً من البلاغة، وكلام الله تعالى أفصح الكلام.

الرابع: أن تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها: وإذا أمرنا مترفي قرية

(١) سورة الزمر، الأيتان: ٧٣-٧٤.

بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم، والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير؛ ومما يمكن أن يكون شاهداً بصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(١) والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَلْتُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْهِمْ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾^(٢) وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة، لأن إقامتها هو الإتيان بجميعها على الكمال، فأمّا قراءة من قرأ بالتشديد فقال: أمرنا وقراءة من قرأ بالمد والتخفيف فقال: أمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها إلا الوجه الأول، فإن معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يستدعي به الفعل انتهى^(٣).

وقال الطبرسي رحمه الله: وقرأ يعقوب: أمرنا بالمد وهو قراءة علي بن أبي طالب والحسين رضي الله عنهما وجماعة، وقرأ أمرنا بالتشديد ابن عباس والنهدي وأبو جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما بخلاف، وقرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر وأرجع الجميع إلى معنى كثرنا كقوله رضي الله عنه: خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة، أي كثيرة النتائج^(٤).

وقال الزمخشري: وإذا أردنا أي وإذا دنى وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إهلاكهم إلا قليلاً أمرناهم ففسقوا أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً، ووجه المجاز أنه صبت عليهم النعمة صباً فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك، لتسبب إبلاء النعمة فيه، وإنما خولهم إيّاها ليشكروا ويعملوا فيها بالخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلفهم أصحاب أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إثارة الطاعة على المعصية فأثروا الفسوق، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم^(٥). وقد فسر بعضهم أمرنا بكثرنا؛ وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثرته فشر.

وقال: في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾^(٦) يعني أمهله وأملى له في العمر، فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممثل، لتقطع معاذير الضال، ويقال له يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرْ﴾^(٧) أو كقوله: ﴿إِنَّمَا نُقَالِ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِسْمًا﴾^(٨) أو ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ في معنى الدعاء بأن يمهله الله وينقّس في مدة حياته^(٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

(٤) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٣٢.

(٦) سورة مريم، الآية: ٧٥.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٣) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٤-٤.

(٥) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٦٢٩.

(٧) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٩) تفسير الكشاف، ج ١ ص ٦٩٢.

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي خلينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعواهم إلى الضلال حتى أغوهم ولم يخل بينهم بالالجاء ولا بالمنع، وعبر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز والتوسع، كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره: أرسل كلبه عليه ﴿تَوَزُّؤُهُمْ أَزًا﴾ أي تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، وقيل تغريهم إغراءً بالشيء^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بأن لطف لكم وأمركم بما تصيرون به أزكيا ما صار منكم أحد زكياً، أو ما طهر أحد من وسوسة الشيطان وما صلح، ولكن الله يزكي أي يطهر بلطفه من يشاء، وهو من له لطف، يفعل سبحانه به ليزكو عنده^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ أي نجاة وفرجاً، أو نوراً في القيامة^(٣).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ أي طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم، وأمددتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه وكانوا قوماً هلكى فاسدين^(٤).

وفي قوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أي القرآن.

وفي قوله تعالى: ﴿زَيْنًا لَّمْ أَعْمَلْنَاهُمْ﴾ أي أعمالهم التي أمرناهم بها، وقيل: بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح ليجتنبوا المشتبهى.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ﴾ قال البيضاوي: قيل: بالتسمية كقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا﴾ أو بمنع الألفاظ الصارفة عنه^(٥).

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي هدايته، أو من أحببته لقربته، والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان، فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى. لأنه إما أن يكون من فعله خاصة أو بإعلامه، ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى، فإن الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافها سبحانه إليه في قوله: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وقيل: إن المراد بالهداية في الآية الإخبار على الاهتداء أي أنت لا تقدر على ذلك. وقيل: معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحق^(٦).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ أي بأن نفعل أمراً من الأمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد، ولكن ذلك يطل الغرض بالتكليف. قال الجبائي ويجوز أن

(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٣٤.

(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٨٦.

(٦) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٤٩.

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٥١.

(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٥٧.

(٥) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٠٥.

(٧) سورة السجدة، الآية: ١٣.

يكون المراد به ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الرد إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات، ولكن حق القول مني أن أجازيهم بالعقاب ولا أردتهم. وقيل: معناه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لهديناهم إلى الجنة ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي الخير والوعيد ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي من كلا الصنفين بكفرهم^(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي ينفع بالإسماع من يشاء أي يلفظ له ويوقفه ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي أنك لا تقدر على أن تنفع الكفار بإسماعك إياهم، إذ لم يقبلوا كما لا يسمع من في القبور من الأموات^(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ أي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم فهم لا يؤمنون ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله. وقيل: تقديره: لقد سبق القول على أكثرهم أنهم لا يؤمنون، وذلك أنه سبحانه أخبر ملائكته أنهم لا يؤمنون، فحق قوله عليهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ يعني أيديهم كتي عنها وإن لم يذكرها لأن الأعناق والأغلال يدلان عليهما، واختلف في معنى الآية على وجوه: أحدها أنه سبحانه إنما ذكره ضرباً للمثل، وتقديره: مثل هؤلاء المشركين في إعراضهم عما تدعوهم إليه كمثله رجل غلّت يده إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطهما إلى خير، ورجل طامع برأسه لا يبصر موطنه قدميه. وثانيها: أن المعنى كان هذا القرآن أغلالاً في أعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبره لثقله عليهم، وذلك أنهم لما استكبروا عنه وأنفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعاً رأسه، لا وياً عنقه، شامخاً بأنفه، لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنما غلّت أيديهم إلى أعناقهم؛ وإنما أضاف ذلك إلى نفسه لأن عند تلاوة القرآن عليهم ودعوته إياهم صاروا بهذه الصفة.

وثالثها: أن المعنى بذلك أناس من قريش هموا بقتل النبي ﷺ فغلّت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه أبداً.

ورابعها: أن المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ أراد أن أيديهم لما غلّت إلى أعناقهم ورفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعداً فهم مرفوع^(٣) الرأس برفع الأغلال إياها، والمقمح: الغاض بصره بعد رفع رأسه. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الإيمان وقبول الحق، وذلك عبارة عن خذلان الله إياهم لما كفروا، فكأنه قال: وتركناهم مخذولين فصار ذلك من بين أيديهم سداً ومن خلفهم

(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٤٠.

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٠٤.

(٣) الصواب: مرفوعو، كما في المصدر.

سداً، وإذا قلنا: أنه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته، ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدماً ولا متأخراً إذ سدّ عليهم جوانبهم، وإذا حملناه على صفة القوم الذين همّوا بقتل النبي ﷺ فالمراد جعلنا بين أيدي أولئك الكفار منعاً ومن خلفهم منعاً حتى لم يبصروا النبي ﷺ، وقوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي أغشينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي ﷺ. وقيل: أي فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى. وقيل: فأغشيناهم بالعذاب فهم لا يبصرون في النار، وقيل: معناه أنهم لما انصرفوا عن الإيمان والقرآن لزمهم ذلك حتى لا يكادوا يتخلصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طريقه^(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ أي عن طريق الجنة ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي لا يقدر على هدايته أحد، وقيل من ضلّ عن الله ورحمته فلا هادي له، يقال: أضللت بعيري إذا ضلّ. وقيل: معناه: من يضلله عن زيادة الهدى والألطف لأن الكافر لا لطف له^(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي كراهة أن تقول: لو أراد الله هدايتي لكنت ممن يتقي معاصيه. وقيل: إنهم لما لم ينظروا في الأدلة واشتغلوا بالدنيا توهموا أن الله لم يهديهم فردّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي﴾ الآية^(٣).

وقال الزمخشري: (وقيضنا لهم): وقدرنا لهم، يعني لمشركي مكة ﴿قُرْآنًا﴾ أخذاناً من الشياطين من جمع قرين كقوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

فإن قلت: كيف جاز أن يقيض لهم القرآن من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم؟ قلت: معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين، والدليل عليه: ومن يعش نقيض. ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما تقدّم من أعمالهم وما هم عازمون عليها^(٤)، أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب، ﴿وَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يعني كلمة العذاب ﴿فِي أَمْرٍ﴾ في جملة أمم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب^(٥).

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾^(٦): معناه أن الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة أن في ذلك تسخييراً من بعض العباد لبعض بإحواجهم إليه يستخدم بعضهم بعضاً فيستفاد أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم. وقيل: معناه ليملك بعضهم بعضاً بمالهم فيخذلونهم عبيداً ومماليك^(٧).

(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٩٥.

(٤) الصواب: عليه.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٥٩-٢٦١.

(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤١٠.

(٥) تفسير الكشاف، ج ٢ ص ١٠٨٨.

(٧) مجمع البيان، ج ٩ ص ٧٩.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي يعرض عنه ﴿نُقِصَ لَمْ شَيْطَانًا﴾ أي نخلي بينه وبين الشيطان الذي يغويه فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله. وقيل: معناه نقرن به شيطاناً في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار، كما أن المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة^(١).

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه فيما مر في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿سَاصِرُفْ عَنْ آيَاتِي﴾ الآية: فيه وجوه: أولها أن يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب الله النظر في الآيات، وعن العز والكرامة اللذين يستحقهما من أذى الواجب عليه في آيات الله تعالى وأدلته وتمسك بها، والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء ﷺ خاصة، وهذا التأويل يطابقه الظاهر لأنه تعالى قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ فيبين أن صرفهم من الآيات يستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه.

وثانيها: أن يصرفهم عن زيادة المعجزات التي يظهرها على الأنبياء بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم، لأنه تعالى إنما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات فإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم أنهم لا يؤمنون بها عنها؛ ويكون الصرف على أحد وجهين: إما بأن لا يظهرها جملة، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم.

وثالثها: أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوتيها من هذه صفته، وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم، وكلا اللفظين يفيد معنى واحداً.

ورابعها: أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله في قلوب المؤمنين، ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد منها ما يستحقه من التعظيم أو الاستخفاف كما تأول أهل الحق الطبع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن، ويكون معنى سأصرفهم عنها أي أعدل بهم عنها وأخص بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنبيائي.

وخامسها: أن يريد تعالى: أنني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها، لأن من الواجب على الله أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لأنه ينقض الغرض في البعثة.

وسادسها: أن يكون الصرف هنا الحكم والتسمية والشهادة، ومعلوم أن من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز أن يقال له: صرفه عنه، كما يقال: أكفره وكذبه وفسقه.

وسابعها: أنه تعالى لما علم أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر

في آياته والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول: سأصرف عن آياتي فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه، ويجري ذلك مجرى قولهم: سأبخل فلاناً أي أسأله ما يبخل ببذله، والآيات إما المعجزات أو جمع الأدلة.

وثامنها: أن يكون الصرف ههنا المنع من إبطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججاً، فيكون تقدير الكلام: إني بما أؤيده من حجج وأحكامه من آياتي وبيّناتي سأصرف المبطلين والمكذّبين عن القدح في الآيات والدلالات.

وتاسعها: أن الله ﷻ لما وعد موسى ﷺ وأُمته لهلاك عدوهم قال: سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق فأراد ﷻ أنه يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم، بما قد كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى والردّ لحججه، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وجهان: أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق.

والثاني: أن في التكبر ما يكون ممدوحاً لأن من تكبر وتنزه عن الفواحش وتباعد عن فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح، وإنما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوي الضعف، والفخر عليهم والمباهاة لهم.

ثم المراد بالغفلة في الآية التشبيه لا الحقيقة، ووجه التشبيه أنهم لما عرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها اشتبهت حالهم حال من كان ساهياً، غافلاً عنها كما قال تعالى: ﴿مُمْ بِكُمْ عُنَى﴾ على هذا المعنى. انتهى ملخص كلامه ﷻ وقد بسط الكلام فيها بما لا مزيد عليه^(٢).

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٣): أما النور والظلمة المذكوران في الآية فجائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر، وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار، والثواب والعقاب، وقد تصحّ الكناية عن الثواب والنعيم في الجنة بأنه نور، وعن العقاب في النار بأنه ظلمة، وإذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغ إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى لأنه لا شبهة في أنه ﷻ هو المدخل للمؤمن الجنة، والعاقل به عن طريق النار، والظاهر بما ذكرناه أشبه لأنه يقتضي أن المؤمن الذي ثبت

(١) أقول: ظاهر الآية أنه تعالى يصرفهم عن الآيات لتكبرهم عن الحق مجازاة كما يلعنهم بكفرهم، بل الصرف هو طردهم عن الحق والرحمة وهذا هو اللعن. [النمازي].

(٢) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٢٢٤. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

كونه مؤمناً يخرج من الظلمة إلى النور، فلو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى، ولصار تقدير الكلام: أنه يخرج المؤمن الذي تقدم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان، وذلك لا يصح؛ على أننا لو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصح ولم يكن مقتضياً لما توهموه، ويكون وجه إضافة الإخراج إليه - وإن لم يكن الإيمان من فعله - من حيث دلّ ويّين وأرشد ولطف وسهّل، وقد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من الكفر إلى الإيمان، فتصح إضافة الإخراج إليه لكون ما عددناه من جهته، وعلى هذا يصح من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح، أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول: أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني، وأنا أخرجته من كذا وكذا، ألا ترى أنه تعالى قد أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت، وإن لم يدل ذلك على أن الطاغوت هو الفاعل للكفر للكفار، بل وجه الإضافة ما تقدم لأن الشياطين يغوون ويدعون إلى الكفر، ويزيّنون فعله، فكيف اقتضت الإضافة الأولى أن الإيمان من فعل الله في المؤمن، ولم تقتض الإضافة الثانية أن الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم؟ وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم، ولما كان خاذلاً للكفار ومضيفاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله بهم؛ ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الأمرين فيهما؟ ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلا معاند مغالط لنفسه^(١).

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْ قُلُوبَنَا﴾ فيه وجوه: أولها أن يكون المراد بالآية: ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه، فيفضي بنا إلى ضيق قلوبنا بعد الهداية، وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم إليه، كما قال تعالى في السورة: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٢).

فإن قيل كيف يشدد المحنة عليهم؟ قلنا: بأن يقوى شهواتهم لما في عقولهم ونفوسهم من الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً، والثواب المستحق عليهم عظيماً متضاعفاً، وإنما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة.

وثانيها: أن يكون ذلك دعاءً بالتشيت على الهداية، وإمدادهم باللطاف التي معها يستمرون على الإيمان.

فإن قيل: وكيف يكون مزيجاً لقلوبهم بأن لا يفعل اللطف؟ قلنا: من حيث كان المعلوم أنه متى قطع إمدادهم بالطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان، ويجري هذا مجرى قولهم: اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا. معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا، فكأنهم قالوا: لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا الطافك فتزيغ ونضل.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.

(١) أمالي المرتضى، ج ٣ ص ١٠٠.

وثالثها: ما ذكره الجبائي وهو أن المعنى لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك، ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله أن يلفظ لهم في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الإيمان أن تزغ قلوبهم عن الثواب وأن يفعل بهم بدلاً منه العقاب^(١). ورابعها: أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزغ القلوب عن اليقين والإيمان ولا يقتضي ذلك أنه تعالى سئل ما كان لا يحب أن يفعله، وما لولا المسألة لجاز فعله لأنه غير ممتنع أن ندعوه على سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما عنده، بأن يفعل ما نعلم أنه لا بد من أن يفعله، وبأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعوه به: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ﴾ وكقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُعَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(٢). وقال رضي الله عنه في قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾^(٣): ليس في هذه الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لأنه تعالى لم يقل: إنه فعل الغواية أو أرادها، وإنما أخبر أن نصح النبي عليه السلام لا ينفع إن كان الله يريد غوايتهم، ووقوع الإرادة لذلك، أو جواز وقوعها لا دلالة عليه في الظاهر، على أن الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب، ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

فكأنه قال: إن كان الله يريد أن يخيبكم ويعاقبكم بسوء عملكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي ما دمت مقيمين على ما أنتم عليه، إلا أن تقلعوا وتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غياً فقال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾^(٤) وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه، وأن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا: ﴿قَالُوا يَنْشُوعُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جَدَلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥) قَالَ إِنَّمَا يَأْيِكُم بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ^(٦) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي^(٧) الآية، فأخبر أن نصحه لا ينفع من يريد الله أن ينزل به العذاب، ولا يغني عنه شيئاً.

وقال جعفر بن حرب: إن الآية تتعلق بأنه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم، وقال لهم على طريق الإنكار عليهم والتعجب من قولهم: إن كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحاً فأنتم على قولكم لا تنتفعون به وهذا جيد.

(١) أقول: ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ يعني فلما مالوا عن الحق والطاعة، أمال الله قلوبهم عن الإيمان والخير جزاء بما يعملون. [مستدرك السفينة ج ٤ لفة «زيع»].

(٢) سورة هود، الآية: ٣٤.

(٣) أمالي المرتضى، ج ٣ ص ١١٤.

(٤) سورة هود، الآيات: ٣٢-٣٤.

(٥) سورة مريم، الآية: ٥٩.

وروي عن الحسن في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال: المعنى فيها: إن كان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وإن قبلتموه وأمتم به، لأن من حكم الله تعالى أن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب، وكل هذا واضح في زوال الشبهة في الآية^(١).
أقول: إنما بسطنا الكلام فيما نقلناه عن الأفاضل الأعلام في تفسير تلك الآيات من كلام الملك العلام لتحيط خبراً بما ذكره أهل العدل فيها لدفع شبه المخالفين، وستلو عليك ما ورد في تأويلها نقلاً عن أئمة الدين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ما تتخلص به من شبه المبطلين.

١ - كاء عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نصر، عن حماد بن عثمان عن أبي عبيدة الحذاء قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: - وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُخْلِفُونَكَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ لَخَلْقُهُمْ^(٢) - يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول وكلهم هالك، قال: قلت: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ قال: هم شيعةنا ولرحمة خلقهم وهو قوله: ﴿وَلَئِنَّكَ لَخَلْقُهُمْ﴾ يقول: لطاعة الإمام^(٣).

عده اعتقادنا في الفطرة والهداية أن الله تعالى فطر جميع الخلق على التوحيد وذلك قوله تعالى فطر الله التي فطر الناس عليها.

٢ - وقال: الصادق عليه السلام في قول الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا لِنُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾^(٤) قال: حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه.

٣ - وقال في قوله تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٥) قال: بين لها ما تأتي وما تترك.

٤ - وقال في قوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٦) قال: عرفناه إما أخذاً وإما تاركاً.

٥ - وفي قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَصَىٰ أَلْهَدَىٰ﴾^(٧) قال: وهم يعرفون.

٦ - وسئل عن قول الله تعالى ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٨) قال: نجد الخير ونجد الشر.

٧ - وقال عليه السلام: ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم.

٨ - وقال عليه السلام: إن الله احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم^(٩).

٩ - ماء الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم عن

(١) أمالي المرتضى، ج ٤ ص ١٥٤. (٢) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.

(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٥٦ باب نكت وننف من التنزيل في الولاية ح ٨٣.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٥. (٥) سورة الشمس، الآية: ٨.

(٦) سورة الإنسان، الآية: ٣. (٧) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٨) سورة البلد، الآية: ١٠. (٩) اعتقادات الصدوق، ص ٧٢.

الحسن بن علي الزعفراني، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله يُزِيلُ : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال : نجد الخير والشر ^(١).

١٠ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود ^(٢).

١١ - فس : في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ ^(٣) يقول : أخذ الله منكم الهدى من إله غير الله يأتاكم به ^(٤).

١٢ - فس : في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ يقول : وننكس قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها ونعمي أبصارهم فلا يبصرون الهدى ^(٥).

١٣ - فس : في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ يقول : طبع الله عليها فلا تعقل ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ﴾ عليها غطاء عن الهدى ﴿لَا يَبْصُرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ جعل في آذانهم وقرا فلم يسمعوا الهدى ^(٦).

١٤ - فس : أحمد بن محمد، عن جعفر بن عبد الله، عن كثير بن عياش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سُدُّوا قُلُوبَهُمْ﴾ يقول : صم عن الهدى، وبكم لا يتكلمون بخير، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يعني ظلمات الكفر ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو ردة على قدرية هذه الأمة، يحشرهم الله يوم القيامة مع الصابئين والنصارى والمجوس فيقولون : ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يقول الله : ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ قال : فقال رسول الله ﷺ : ألا إن لكل أمة مجوساً، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر، ويزعمون أن المشية والقدرة إليهم ولهم ^(٧).

١٥ - فس : محمد بن عبد الله، عن موسى بن عمران، عن النوفلي، عن السكوني قال، جاء رجل إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه وأنا عنده، فقال : يا بن رسول الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ^(٨) وقوله : ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ^(٩) فقال : نعم ليس لله في عباده أمر إلا العدل والإحسان، فالدعاء من الله عام، والهدى خاص، مثل قوله : ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ولم يقل : ويهدي جميع من دعاه إلى صراط مستقيم ^(١٠).

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٦٠ مجلس ٣٥ ح ١٣٦٧.

(٢) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ٢٥٠. (٣) سورة الأنعام، الآية : ٤٦.

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠٨. (٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٢٠.

(٦) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٥٠. (٧) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٠٦.

(٨) سورة النحل، الآية : ٩٠. (٩) سورة يوسف، الآية : ٤٠.

(١٠) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩١.

١٦ - لي: أبي، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن نوح بن شعيب، عن ابن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن علقمة بن محمد الحضرمي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله جلّ جلاله: عبادي كلّكم ضالّ إلا من هديته، وكلّكم فقير إلا من أغنيته، وكلّكم مذنب إلا من عصمته^(١).

١٧ - ب: ابن سعد، عن الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر إدخالاً^(٢).

١٨ - ب: اليقطيني، عن نباتة بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً وكل به ملكاً فأخذه بعضده فأدخله في هذا الأمر^(٣).

١٩ - ب: هارون، عن ابن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: كونوا دعاة الناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاةً بالسستكم؛ فإن الأمر ليس حيث يذهب إليه الناس إنّه من أخذ ميثاقه أنّه منّا فليس بخارج منّا ولو ضربنا خيشومه بالسيف، ومن لم يكن منّا ثمّ حبونا له الدنيا لم يحبنا^(٤).

بيان: قوله عليه السلام: ليس حيث يذهب إليه الناس أي أنّهم يقدرّون على هداية الناس بالاحتجاج عليهم، ولعلّ المقصود في تلك الأخبار زجر الشيعة عن المعارضات والمجادلات مع المخالفين بحيث يتضرّرون بها فإنّهم كانوا يبالغون في ذلك ظناً منهم أنّهم يقدرّون بذلك على هداية الخلق، وليس الغرض منع الناس عن هداية الخلق في مقام يظنون النفع ولم يكن مظنة ضرر فإنّ ذلك من أعظم الواجبات.

٢٠ - ب: أحمد، عن البرزطي قال: قلت له: قول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ قال: الله يهدي من يشاء، ويضلّ من يشاء؛ فقلت له: أصلحك الله إنّ قوماً من أصحابنا يزعمون أنّ المعرفة مكتسبة، وأنّهم إذا نظروا منه وجه النظر أدركوا، فأنكر عليه السلام ذلك وقال: فما لهؤلاء القوم لا يكتسبون الخير لأنفسهم؟ ليس أحد من الناس إلّا وهو يحبّ أن يكون خيراً ممّن هو خير منه، هؤلاء بني هاشم موضعهم موضعهم، وقرابتهم قرابتهم، وهم أحقّ بهذا الأمر منكم، أفترّون أنّهم لا ينظرون لأنفسهم وقد عرفتم ولم يعرفوا؟ قال أبو جعفر عليه السلام: لو استطاع الناس لأحبّونا^(٥).

٢١ - يد، مع: الوراق والسناني، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب عن ابن بهلول، عن أبيه، عن جعفر بن سليمان البصري، عن الهاشمي قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن

(١) أمالي الصدوق، ص ٩٠ مجلس ٢٢ ح ١. (٢) قرب الإسناد، ص ٣٥ ح ١١٣.

(٣) قرب الإسناد، ص ٤٥ ح ١٤٥. (٤) قرب الإسناد، ص ٧٧ ح ٢٥١.

(٥) قرب الإسناد، ص ٣٥٦ ح ١٢٧٤.

محمد ﷺ عن قول الله ﷻ : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرْشِدًا﴾^(١) فقال : إن الله تبارك وتعالى يضل الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته ويهدي أهل الإيمان والعمل الصالح إلى جنته كما قال ﷻ : ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٢) وقال الله ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِيكَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٣) قال : فقلت : فقله : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وقوله ﷻ : ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٤) ؟ فقال : إذا فعل العبد ما أمره الله ﷻ به من الطاعة كان فعله وفقاً لأمر الله ﷻ وسمي العبد به موقفاً ، وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فتركها كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ، ومتى خلى بينه وبين المعصية فلم يحل بينه وبينها حتى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفقه^(٥) .

٢٢ - يد، مع، ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان قال : سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ عن قول الله ﷻ : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٦) قال : من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه ، ومن يرد أن يضلّه عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتى يشك في كفره ويضطرب من اعتقاده قلبه حتى يصير كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون^(٧) .

ج : مرسلاً عنه ﷺ مثله^(٨) .

٢٣ - مع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن ثعلبة ، عن زرارة ، عن عبد الخالق بن عبد ربّه ، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله ﷻ : ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ فقال : قد يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر ، والخرج هو الملتثم الذي لا منفذ له يسمع به ولا يبصر منه^(٩) .

٢٤ - م، ج : بالإسناد إلى أبي محمد ﷺ قال في قوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة ابراهيم ، الآية : ٢٧ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٩ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٠ .

(٥) التوحيد ، ص ٢٤١ باب ٣٥ ح ١ ، ومعاني الأخبار ، ص ٢١ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥ .

(٧) التوحيد ، ص ٢٤٢ ، باب ٣٥ ح ٤ ، ومعاني الأخبار ، باب ٨٦ ح ٢ ، وعيون اخبار الرضا ج ١ ص

(٨) الاحتجاج ، ص ٤١١ .

١٢٠ باب ١١ ح ٢٨ .

(٩) معاني الأخبار ، ص ١٤٥ .

سَمِعُوهُمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(١): أي وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم الذين لا يؤمنون، وعلى سمعهم كذلك بسمات وعلى أبصارهم غشاوة، وذلك أنهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه وقصروا فيما أريد منهم وجعلوا ما لزمهم الإيمان به فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه فإن الله ﷻ يتعالى عن العبث والفساد، وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبة ولا بالمصير إلى ما قد صدّهم عنه بالقسر عنه، ثم قال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني في الآخرة العذاب المعد للكافرين، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينتبه لطاعته، ومن عذاب الاصطلام ليصيره إلى عدله وحكمته.

قال الطبرسي رحمه الله: وروى أبو محمد العسكري عليه السلام مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفار عن الصادق عليه السلام بزيادة شرح لم تذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب^(٢).

٢٥ - ن: تميم القرشي، عن أبيه، عن الأنصاري، عن الهروي قال: قال الرضا عليه السلام في قوله ﷻ ﴿مَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣): ليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلفة متعبدة، وإلجاؤه إياها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها^(٤).

٢٦ - ن: السناني، عن محمد الأسدي، عن سهل، عن عبد العظيم الحسيني، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله ﷻ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥).

٢٧ - ف: قوله: ﴿إِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٦) يعني الحسنات والسيئات، ثم قال في آخر الآية: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ وقد اشتبه هذا على عدّة من العلماء فقالوا: يقول الله: وإن تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله، وإن تصيبهم سيئة يقولوا هذه من عندك، قل كل من عند الله الحسنة والسيئة. ثم قال في آخر الآية: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ فكيف هذا وما معنى القولين؟

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٢) تفسير العسكري عليه السلام، ص ٩٨ ح ٥٣ والاحتجاج للطبرسي، ص ٤٥٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٠.

(٤) عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠١ باب ١٠ ح ٣٣.

(٥) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ١ ص ١١٣ باب ١١ ح ١٦.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

فالجواب في ذلك من معنى القولين جميعاً عن الصادقين عليه السلام أنهم قالوا: الحسنات في كتاب الله على وجهين، والسيئات على وجهين، فمن الحسنات التي ذكرها الله الصحة والسلامة والأمن والسعة في الرزق وقد سماها الله حسنات ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني بالسيئة ههنا المرض والخوف والجوع والشدة ﴿يَطْلُبُوا يُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي يتشاءموا به، والوجه الثاني من الحسنات يعني به أفعال العباد وهو قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ ومثله كثير. وكذا السيئات على وجهين فمن السيئات الخوف والجوع والشدة وهو ما ذكرناه في قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْلُبُوا يُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ وعقوبات الذنوب قد سماها الله السيئات كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾.

والوجه الثاني من السيئات يعني بها أفعال العباد الذين يعاقبون عليها وهو قوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾^(١) وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(٢) يعني ما عملت من ذنوب فعوقبت عليها في الدنيا والآخرة فمن نفسك بأعمالك لأن السارق يقطع، والزاني يجلد ويرجم، والقاتل يقتل فقد سمي الله العلل والخوف والشدة وعقوبات الذنوب كلها سيئات، فقال: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ بأعمالك، قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني الصحة والعافية والسعة والسيئات التي هي عقوبات الذنوب من عند الله^(٣).

بيان: لا يخفى أن الظاهر في الآية الأولى من الحسنة النعمة كالخصب والظفر والأمن والفرح، ومن السيئة القحط والهزيمة والجوع والخوف، ويحتمل بعيداً ما ذكره علي بن إبراهيم من عقوبات الذنوب؛ وفي الآية الثانية يحتمل أن يكون المراد بالحسنة الطاعة فإنها بتوفيقه تعالى والنعمة فإنها بأنواعها من فضله تعالى، وبالسيئة الذنوب فإنها باختيارنا؛ أو عقوباتها فإنها بسبب أفعالنا، ولا ينافي ذلك كونها من الله، إذ تقديرها وإلزامها وإيجابها من الله وفعل ما يوجبها منا، ولعل كلام علي بن إبراهيم ناظر إلى هذا، أو البلايا والمصائب فإنها بسبب ذنوبنا التي نستحقها بها، ولا ينافي أيضاً كونها من عند الله إذ أعمالنا أسباب لإنزال الله تعالى إياها، فالفاعل هو الله ونحن الأسباب، ومنا البواعث، ويمكن حمل الآية أيضاً على الطاعات والمعاصي إذ المعاصي صادرة منا بسلب توفيقه تعالى عنا، فيجوز نسبتها إليه تعالى أيضاً مجازاً وإن كنا نحن بقائح أعمالنا باعثين لسلب التوفيق أيضاً، ولعله إنما خص بعض الصور بالذكر لظهور البواقي.

٢٨ - يده: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله القراء، عن محمد بن مسلم، ومحمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما علم رسول الله ﷺ أن جبرئيل عليه السلام من قبل الله عز وجل إلا بالتوفيق^(٤).

(١) سورة النمل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١٥١.

(٤) التوحيد، ص ٢٤٢ باب ٣٥ ح ٢.

٢٩ - يد، القطان، عن السكري، عن الجوهرى، عن ابن عمارة، عن أبيه، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن معنى لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: معناه لا حول لنا عن معصية الله إلا بعون الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بتوفيق الله عز وجل (١).

٣٠ - سنن: محمد بن إسماعيل، عن أبي إسماعيل السراج، عن ابن مسكان، عن ثابت أبي سعيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا ثابت ما لكم وللناس؟ كفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلّاته ما استطاعوا أن يهدوه، ولو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً يريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلّوه، كفوا عن الناس ولا يقل أحدكم: أخي وابن عمي وجاري، فإن الله إذا أراد بعبد خيراً طيب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه، ولا منكراً إلا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره (٢).

سنن: أبي، عن عبد الله بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن ثابت مثله (٣).

٣١ - سنن: عبد الله بن يحيى، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا سليمان إن لك قلباً ومسامح، وإن الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامح قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامح قلبه فلا يصلح أبداً؛ وهو قول الله عز وجل: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٤).

٣٢ - سنن: القاسم بن محمد وفضالة، عن كليب بن معاوية الأسدي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ما أنتم والناس؟ إن الله إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء فإذا هو يَجُولُ لذلك ويطلبه (٥).

٣٣ - سنن: فضالة، عن القاسم بن يزيد عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء فجاء القلب يطلب الحق، ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره (٦).

٣٤ - سنن: أبي، عن فضالة، عن أبي بصير، عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحق، فإذا أصاب الحق قر. ثم ضم أصابعه وقرأ هذه الآية: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (٧).
شي: عن خيثمة مثله (٨).

٣٥ - سنن: حماد بن عيسى، عن ربعي، عن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا

(١) التوحيد، ص ٢٤٢ باب ٣٥ ح ٣. (٢) - (٦) المحاسن، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٧) المحاسن، ص ٢٠٢. والآية من سورة الأنعام: ١٢٥. (٨) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٠٦ ح ٩٤.

تدعوا إلى هذا الأمر فإن الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر^(١).

سنن: يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن جده، عن أبي جعفر عليه السلام مثله^(٢).

٣٦ - سنن: النضر، عن يحيى الحلبي، عن عمران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر^(٣).

سنن: علي بن إسماعيل الميثمي، عن ربعي، عن حذيفة بن منصور عن أبي عبد الله عليه السلام مثله^(٤).

سنن: صفوان، عن العلاء، عن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله^(٥).

٣٧ - سنن: صفوان، عن محمد بن مروان، عن فضيل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ندعو الناس إلى هذا الأمر؟ فقال: لا يا فضيل؛ إن الله إذا أراد بعبد خيراً وكل ملكاً فأخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر طائعاً أو كارهاً^(٦).

٣٨ - سنن: ابن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن معاذ بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني لا أسئلك إلا عما يعنيني، إن لي أولاداً قد أدركوا فأدعوهم إلى شيء من هذا الأمر؟ فقال: لا، إن الإنسان إذا خلق علوياً أو جعفرياً يأخذ الله بناصيته حتى يدخله في هذا الأمر^(٧).

٣٩ - سنن: صفوان، عن حذيفة بن منصور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: إذا أراد الله بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر، قال: وأوماً بيده إلى رأسه^(٨).

٤٠ - سنن: حماد بن عيسى، عن نباة بن محمد البصري قال: أدخلني ميستر بن عبد العزيز على أبي عبد الله عليه السلام وفي البيت نحو من أربعين رجلاً فجعل ميستر يقول: جعلت فداك هذا فلان بن فلان من أهل بيت كذا وكذا حتى انتهى إليّ فقال: إن هذا ليس في أهل بيته أحد يعرف هذا الأمر غيره؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله إذا أراد بعبد خيراً وكل به ملكاً فأخذ بعضده فأدخله في هذا الأمر^(٩).

٤١ - سنن: علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فقال: يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق^(١٠).

بيان: أي يهديه إلى الحق.

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه في الغرر والدرر: فيه وجوه:

أولها: أن يريد بذلك أنه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حق منه ﷻ على الطاعات والمبادرة لها قبل الفوت.

وثانيها : أنه يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تميزه وإن كان حياً ، وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تميزه : إنه بغير قلب ، قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(١).

وثالثها : أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قرب من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وأن الضمائر المكنونة له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢) ونحن نعلم أنه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه ، وإذا كان ﷺ هو أعلم بما في قلوبنا منا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه ، وكل ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول أنه يحول بيننا وبين قلوبنا لأنه معلوم في الشاهد أن كل شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما^(٣) ، والعرب تضع كثيراً لفظة القرب على غير معنى المسافة ، فتقول : فلان أقرب إلى قلبي من فلان.

ورابعها : ما أجاب به بعضهم من أن المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبذله بالخوف الأمن ، ويبدل عدوهم بظنهم أنهم قادرون عليهم الجبن والخور.

ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه قلبه من القبائح بالامر والنهي والوعد والوعيد انتهى^(٤).

أقول : يمكن أن تكون الحيلولة بالهدايات والألطف الخاصة زائداً على الأمر والنهي ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً بالمقربين الذين يملك الله قلوبهم ويستولي عليها بلطفه ويتصرف فيها بأمره فلا يشاؤون شيئاً إلا أن يشاء الله ، ولا يريدون إلا ما أراد الله ، فهو تعالى في كل آن يفيض على أرواحهم ، ويتصرف في أبدانهم ، فهم ينظرون بنور الله ، ويبطشون بقوة الله ، كما قال تعالى فيهم : فبي يسمع وبي يبصر ، وبي ينطق ، وبي يمشي ، وبي يبطش . وقال ﷺ كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه . وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في كتاب المكارم ، وقد مر الكلام في الآية في باب العلم .

٤٢ - شيء : عن ابن أبي يعفور قال : قال أبو عبد الله ﷺ : لبسوا عليهم لبس الله عليهم فإن الله يقول : ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلِيُسُون﴾^(٥).

٤٣ - شيء : عن علي بن عتبة ، عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : اجعلوا

(١) سورة ق ، الآية : ٣٧ . (٢) سورة ق ، الآية : ١٦ .

(٣) في المصدر هنا سقط وفيه : ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف ، وإن كان القرب الذي عناء جلّت عظمته لم يرد به المسافات .

(٤) أمالي المرتضى ، ج ٢ ص ١٦٤ . (٥) تفسير العياشي ، ج ١ ص ٣٨٥ ح ٩ .

أمركم هذا الله ولا تجعلوا للناس، فإنه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله ولا تخصموا الناس بدينكم فإن الخصومة ممرضة للقلب، إن الله قال لنيه: يا محمد إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء، وقال: أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. ذروا الناس فإن الناس أخذوا من الناس وإنكم أخذتم من رسول الله وعلي ولا سواء، إنني سمعت أبي عليه السلام وهو يقول: إن الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره^(١).

٤٤ - شيء: البزنطي، عن الرضا عليه السلام قال: قال الله في قوم نوح: ﴿لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ قال: الأمر إلى الله يهدي ويضل^(٢).

٤٥ - شيء: عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن رسول الله ﷺ كان يدعو أصحابه فمن أراد الله به خيراً سمع وعرف ما يدعو إليه، ومن أراد به شراً طبع على قلبه فلا يسمع ولا يعقل وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

٤٦ - شيء: عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾^(٤) - مشددة منصوبة - تفسيرها: كثرت؛ وقال: لا قرأتها مخففة^(٥).

بيان: قال الفيروزآبادي: أمر كفرح أمراً وأمره، كثر وتم فهو أمر، والأمر اشتد، والرجل كثر ماشيته، وأمره الله وأمره كنصره لغية كثر ماشيته ونسله.

٤٧ - شيء: عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قال: تفسيرها: أمرنا أكابرها^(٦).

٤٨ - تفسير النعماني: بالإسناد الآتي في كتاب القرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الضلالة على وجوه: فمنه محمود، ومنه مذموم، ومنه ما ليس بمحمود ولا مذموم ومنه ضلال النسيان، فأما الضلال المحمود وهو المنسوب إلى الله تعالى كقوله: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَبْغَى﴾ هو ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم، والمذموم هو قوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّمُ السَّامِرِيُّ﴾ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ ومثل ذلك كثير؛ وأما الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله في قصة إبراهيم: ﴿وَأَجْتَبَيْتَنِي وَبَيَّنَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٧) رَبِّ إِنِّي أَضَلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ الآية، والأصنام لا يضلن أحداً على الحقيقة، إنما ضل الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله ﷻ، وأما الضلال الذي هو النسيان فهو قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٤٥ ح ٤٨. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٣ ح ١٦.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٩٤ ح ٧٧. (٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٧ ح ٣٤. (٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٧ ح ٣٥.

إِخْدَانُهُمَا الْآخَرَى ﴿١﴾ وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه، فمنهم ما نسبته إلى نبيه على ظاهر اللفظ كقوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ معناه وجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك؛ وأما الضلال المنسوب إلى الله تعالى الذي هو ضد الهدى والهدى هو البيان، وهو معنى قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه: أولم أبين لهم، مثل قوله سبحانه: ﴿فَهَدَيْنَهُمْ فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ أي بينا لهم، وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ مَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾.

وأما معنى الهدى فقوله ﴿وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ومعنى الهادي المبين لما جاء به المنذر من عند الله، وقد احتج قوم من المنافقين على الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ وذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال طائفة من المنافقين: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ إلى قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى لأنه أقام لهم الإمام الهادي لما جاء به المنذر فخالفوه وصرفوا عنه، بعد أن أقرؤا بفرض طاعته، ولما بين لهم ما يأخذون وما يذرون فخالفوه ضلوا. هذا مع علمهم بما قاله النبي ﷺ، وهو قوله: لا تصلوا علي صلاة مبتورة إذا صليتم علي بل صلوا على أهل بيتي ولا تقطعوهم مني فإن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي. ولما خالفوا الله تعالى ضلوا فأضلوا فحذر الله تعالى الأمة من اتباعهم فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ والسبيل هنا الوصي، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ﴾ الآية فخالفوا ما وصاهم الله تعالى به واتبعوا أهواءهم فحرفوا دين الله جلّت عظمتهم وشرائعهم، وبدلوا فرائضه وأحكامه وجميع ما أمروا به، كما عدلوا عمن أمروا بطاعته، وأخذ عليهم العهد بموالاته، واضطّروهم ذلك إلى استعمال الرأي والقياس فزادهم ذلك حيرة والتباساً. ومنه قوله سبحانه: ﴿وَلْيَقُولِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكِ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾ (١) فكان تركهم اتباع الدليل الذي أقام لهم ضلالة لهم فصار ذلك كأنه منسوب إليه تعالى لما خالفوا أمره في اتباع الإمام، ثم افترقوا واختلفوا، ولعن بعضهم بعضاً واستحل بعضهم دماء بعض، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى توفكون.

٤٩ - نهج: قال عليه السلام - وقد سئل عن معنى قولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله -: إنا لا نملك مع الله شيئاً ولا نملك إلا ما ملكنا، فمتى ملكنا ما هو أملك به منا كلّفنا، ومتى أخذه منا وضع تكليفه عنا (٢).

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ٤٠٤.

٥٠ - كنز الكراجكي: قال: قال الصادق عليه السلام: ما كل من نوى شيئاً قدر عليه ولا كل من قدر على شيء وفق له، ولا كل من وفق لشيء أصاب له، فإذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والإصابة فهناك تمت السعادة^(١).

٨ - باب التمهيد والاستدراج والابتلاء والاختبار

الآيات: آل عمران (٣): ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُرَكَاءَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ ۝﴾ وَلَيُمَهِصَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَمَقَّقَ الْكَافِرِينَ ۝﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَادِرِينَ ۝﴾ ﴿وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَبْتَلِيَنَّ اللَّهُ مَا فِي بُدُونِكُمْ وَلَيُمَهِصَنَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۝﴾ ﴿وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۝﴾ (١٨٦).

المائدة (٥): ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً ۝﴾ (٧١).

الأنعام (٦): ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكَ فِي مَا ءَاتَاكُمْ ۝﴾ (١٦٥).

الأعراف (٧): ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنِنَا وَسَوَّغْنَا لِسِنَّاتِهِمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ وَأَمَّا لَهُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ ۝﴾ (١٧٢).

الأنفال (٨): ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۝﴾ (٢٥) وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۝﴾ (٢٨).

التوبة (٩): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ ﴿وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ۝﴾﴾ (١١).

هود (١١): ﴿لِيَبْلُوكَ أَبْنَاءُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝﴾ (٧).

الكهف (١٨): ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝﴾ (٧).

= أقول: حاصل ذلك أنا لا نملك مع الله شيئاً أبداً فلا شريك معه. وكذا لا نملك من دون الله شيئاً، بل نملك بالله تعالى ما هو أملك به منا. فنحن المالكون بتمليكك لا بذاتنا فإذا لم يملك فلا شيء. ولذا ملك العباد القوة والقدرة على أعمال فهم الذين يفعلون ويعملون تلك الأعمال. تقول في الصلاة: بحول الله وقوته أقوم وأقعد. فالأفاعيل صادرة منا مسندة إلينا ولا إسناد لها إليه تعالى؛ فلا جبر، لأننا نملك القوة والقدرة على الفعل والترك؛ ولا تفويض، لأنه أملك بما ملكتنا، يفرض ما شاء كيف شاء، ولو انقطع فيضه مات فوراً، يمد هؤلاء هؤلاء ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾. [مستدرک السفينة ج ٢ لغة «حوقل»].

طه: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ (٤٠) «وقال تعالى»: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ (٨٥) «إلى قوله»: ﴿يَقْوَمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِمْ﴾ (٩٠) «وقال تعالى»: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيكَ﴾ (١٣١).
 الأنبياء (٢١): ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥) «وقال»: ﴿وَلَوْ أَن أَدْرَى
 لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ﴾ (١١).

الحج (٢٢): ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (٥٣).
 الفرقان (٢٥): ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢٠).
 النمل (٢٧): ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ (٤٧).
 العنكبوت (٢٩): ﴿إِنَّمَا أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) «ولقد
 فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣).
 الأحزاب (٣٣): ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (١١).
 الصافات (٣٧): ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (١٦).
 ص (٣٨): ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٣٤).
 الزمر (٣٩): ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ
 هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩).

المؤمن [غافر] (٤٠): ﴿فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْأَلْبَانِ﴾ (٤).
 الدخان (٤٤): ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ (١٧) «وقال تعالى»: ﴿وَأَنبَتْنَاهُمْ مِنْ
 الْأَبْنَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ (٣٣).

محمد (٤٧): ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنصَرَفَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِبَلَاءٍ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (٤) «وقال تعالى»: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١).
 القمر (٥٤): ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ (٢٧).

المتحنة (٦٠): ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٥).
 الملك (٦٧): ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَتُكْرَهُمُ عَمَلًا﴾ (٣).

القلم (٦٨): ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَهْبَابَ الْهَمْدِ إِذْ أَقْسَمُوا لَصُرْمَتَنَا مُّصْبِحِينَ﴾ (١٧) «وقال تعالى»: ﴿مَنْ قَدَرْنَا مِمَّنْ كَذَبُ هَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٤) «وأَمَّا لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٤٥).
 الجن (٧٢): ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيكَ﴾ (١٧).

المدثر (٧٤): ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٣١).
 الطارق (٨٦): ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) «وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (١٦).
 تفسير: قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يعلمهم
 متميزين بالإيمان، وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما يعلمهم بعده فإنما

يعلم قبل الإظهار أنهم سيتميزون فإذا أظهروه علمهم متميزين، ويكون التغير حاصلاً في المعلوم لا في العالم، كما أن أحدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى أنه سيجيء، فإذا جاء علمه جائياً وعلمه يوماً لا غداً وإذا انقضى فإنما يعلمه أمس لا يوماً ولا غداً، ويكون التغير واقعاً في المعلوم لا في العالم. وقيل: معناه: وليعلم أولياء الله، وإنما أضاف إلى نفسه تفخيماً، وقيل: معناه: وليظهر المعلوم من صبر من يصبر، وجزع من يجزع، وإيمان من يؤمن. وقيل: ليظهر المعلوم من النفاق والإخلاص، ومعناه: ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد، أو يتخذ منكم شهوداً على الناس بما يكون منهم من العصيان؛ وأصل التمهيد التخليص، والمحقق: إفناء الشيء حالاً بعد حال أي ليعتلي الله الذين آمنوا وليخلصهم من الذنوب أو ينحهم من الذنوب بالابتلاء، ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء^(١). وقال: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي ليختبر ما فيها بأعمالكم لأنه قد علمه عيياً فيعلمه شهادة لأن المجازاة إنما تقع على ما يعلمه مشاهدة. وقيل: معناه ليعاملكم معاملة المختبرين ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي ليكشفه ويميزه، أو يخلصه من الوسوس، وقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد في أموالكم بذهابها ونقصانها، وفي أنفسكم أيها المؤمنون بالقتل والمصائب^(٢).

وقال البيضاوي ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال؛ أو المنافقين ﴿أَنْ تَتْرَكُوا﴾ ولم يتبين الخلف منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم، نفي العلم وإرادة نفي المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ﴿وَلِيَجْهَدَنَّ﴾ بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم^(٣).

وقال في قوله تعالى: ﴿يُقْتَنُونَ﴾ أي يتلون بأصناف البليات، أو بالجهد مع رسول الله ﷺ فيعانون ما يظهر عليه من الآيات^(٤).

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي اختبرناك اختباراً؛ وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ أي امتحناهم وشددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل، فالزمنهم عند ذلك النظر ليعلموا أنه ليس بآله، فأضاف الضلال إلى السامري والفتنة إلى نفسه^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنى، وبالضراء والسرء، وبالشدة والرخاء.

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٠٠-٤٠١.

(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٢١.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٧٣.

(٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢١٦.

(٥) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٢.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض فعاده إخوانه فقال كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: بشر، قالوا: ما هذا كلام مثلك! فقال: إِنَّ الله يقول: ﴿وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ فالخير: الصحة والغنى، والشر: المرض والفقر ﴿فِتْنَةً﴾ أي ابتلاءً واختباراً وشدة تعبد^(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّكُمْ﴾ أي ما أذنتكم به اختبار لكم وشدة تكليف ليظهر صنيعكم، وقيل: هذه الدنيا فتنة لكم؛ وقيل: تأخير العذاب محنة واختبار لكم لترجعوا عما أنتم عليه ﴿وَمَتَّعْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي تتمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم^(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي امتحاناً وابتلاءً، وهو افتتان الفقير بالغني، يقول: لو شاء الله لجعلني مثله غنياً، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح^(٣).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي أظن الناس أن يفتنهم بأن يقولوا: إنا مؤمنون فقط، ويقتصر منهم على هذا القدر، ولا يمتحنون بما يتبين به حقيقة إيمانهم؟ هذا لا يكون. وقيل: معنى يفتنون يبتلون في أنفسهم وأموالهم وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام ويكون المعنى: ولا يشدد عليهم التكليف والتعبد ولا يؤمرون ولا ينهون.

وقيل: معناه ولا يصابون بشدائد الدنيا ومصائبها أي أنها لا تندفع بقولهم: آمنا. وقال الحسن: معناه أحسبوا أن يتركوا أن يقولوا: لا إله إلا الله ولا يخبروا أصدقوا أم كذبوا؟ يعني أن مجرد الإقرار لا يكفي. والأولى حمله على الجميع، إذ لا تنافي فإن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع، ويمتحن في النفس والمال، ويمنى بالشدائد والهموم والمكاره، فينبغي أن يوظن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به^(٤).

وقال في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلِّيٍّ﴾ أي إنما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي. أو على خير علمه الله عندي، أو على علم يرضاه عني، فلذلك آتاني ما آتاني من النعم؛ ثم قال: ليس الأمر على ما يقولون، بل هي فتنة أي بليّة واختبار يبتليه الله بها، فيظهر كيف شكره أو صبره في مقابلتها فيجازه بحسبها.

وقيل: معناه: هذه النعمة فتنة، أي عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم، وقيل: معناه: هذه المقالة التي قالوها فتنة لهم لأنهم يعاقبون عليها^(٥).

وقال في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي إلى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة. وقيل: يجوز أن يريد عذاب الآخرة أي نقرّبهم إليه درجة درجة حتى يقعوا فيه.

(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٢١.

(٤) مجمع البيان، ج ٨ ص ٨.

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٨٥.

(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٨٧.

(٥) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٠٦.

وقيل: هو من المدرجة وهي الطريق، ودرج: إذا مشى سريعاً، أي سناخذهم من حيث لا يعلمون أي طريق سلكوا؟ فإن الطريق كلها إليّ ومرجع الجميع إليّ، ولا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني هارب. وقيل: إنه من الدرج، أي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الأرض، يقال طويت فلاناً وطويت أمر فلان: إذا تركته وهجرته. وقيل: معناه: كلما جدّدوا خطيئةً جدّدنا لهم نعمة.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إذا أحدث العبد ذنباً جدّد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج. ولا يصحّ قول من قال: إن معناه يستدرجهم إلى الكفر والضلال، لأن الآية وردت في الكفار وتضمّنت أنه يستدرجهم في المستقبل، فإن السنين تختصّ المستقبل، ولأنه جعل الاستدراج جزاءً على كفرهم وعقوبة فلا بدّ أن يريد معنى آخر غير الكفر.

وقوله: ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ﴾ معناه وأمهلهم ولا أعاجلهم بالعقوبة، فإنهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي عذابي قويّ منيع لا يدفعه دافع، وسمّاه كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون. وقيل: أراد أن جزاء كيدهم متين، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي يحتالون في الإيقاع بك وبمن معك، ويريدون إطفاء نورك ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي أريد أمراً آخر على ضدّ ما يريدون، وأدبر ما ينقض تدابيرهم، فسمّاه كيداً من حيث يخفى عليهم^(١).

١ - شيء: عن الرشاء بإسناده يرسله إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: والله لتمدحن والله لتمدحن، والله لتغربلن حتى لا يبقى منكم إلا الأندر؟ قلت: وما الأندر قال: البيدر، وهو أن يدخل الرجل قبة الطعام يطبخ عليه، ثم يخرجها وقد تأكل بعضه فلا يزال ينقيه، ثم يكنّ عليه [ثم] يخرجها حتى يفعل ذلك ثلاث مرّات حتى يبقى ما لا يضره شيء^(٢).

بيان: قال الفيروزآبادي: الأندر: البيدر، أو كدس القمح.

٢ - شيء: عن زرارة، وحمّان، ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام عن قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوِيهِمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا^(٣).

٣ - كش: خلف بن حمّاد، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن أسباط، عن الحسين بن الحسن قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إني تركت ابن قياما من أعدى خلق الله لك؛ قال: ذلك شرّ له. قلت ما أعجب ما أسمع منك جعلت فداك! قال: أعجب من ذلك إبليس، كان في جوار الله ﷻ في القرب منه فأمره فأبى وتعزّز وكان من الكافرين، فأملى الله له، والله ما عذب الله بشيء أشدّ من الإملاء، والله يا حسين ما عذبهم الله بشيء أشدّ من الإملاء^(٤).

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٠٢.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٢ ح ١٤٦ ولفظة [ثم] من المصدر.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٥ ح ١٣٨. (٤) رجال الكشي، ص ٨٢٨.

٤- يده: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعري، عن محمد بن السندي، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من قبض ولا بسط إلا والله فيه المن أو الابتلاء^(١).

٥- يده: أبي، عن علي بن إبراهيم، عن اليقطيني، عن يونس، عن الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من قبض ولا بسط إلا والله فيه مشية وقضاء وابتلاء^(٢).
سنن: أبي عن يونس مثله. «ج ١ باب ٤٠ ح ٤٠٢».

بيان: لعل القبض والبسط في الأرزاق بالتوسيع والتقتير، وفي النفوس بالسرور والحزن، وفي الأبدان بالصحة والألم، وفي الأعمال بتوفيق الإقبال إليه وعدمه، وفي الأخلاق بالتحلية وعدمها، وفي الدعاء بالإجابة له وعدمها، وفي الأحكام بالرخصة في بعضها والنهي عن بعضها.

٦- يده: أبي، عن سعد، عن البرقي، عن أبيه، عن فضالة، عن الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال له: ليس شيء فيه قبض أو بسط مما أمر الله به أو نهى عنه إلا وفيه من الله ابتلاء وقضاء^(٣).

٧- سنن: ابن فضال، عن عبد الأعلى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس للعبد قبض ولا بسط مما أمر الله به أو نهى الله عنه إلا ومن الله فيه ابتلاء^(٤).

٨- سنن: محمد بن سنان، عن ابن مسكان، وإسحاق بن عمار معاً، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن فيما ناجى الله به موسى عليه السلام أن قال: يارب هذا السامري صنع العجل، الخوار من صنعه! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: إن تلك فتنتي فلا تفصح عنها^(٥).

بيان: أي لا تظهرنها لأحد فإن عقولهم قاصرة عن فهمها.

٩- كاه: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبد الله بن جندب، عن سفيان بن السمط قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله إذا أراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد بعبد شراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها، وهو قول الله عز وجل: ﴿سَتَذَرُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالنعم عند المعاصي^(٦).

١٠- كاه: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن بعض أصحابه قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الاستدراج،

(١) - (٢) التوحيد، ص ٣٥٤ باب ٥٧ ح ١ و ٢. (٣) التوحيد، ص ٣٥٤ باب ٥٧ ح ٣.

(٤) المحاسن، ص ٢٧٩. (٥) المحاسن، ص ٢٨٤.

(٦) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٥٦ باب الاستدراج ح ١.

قال: هو العبد يذنب الذنب فيملي له ويجدد له عنده النعم فيلهيه عن الاستغفار من الذنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم^(١).

١١ - كاه: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان عن سماعة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: هو العبد يذنب الذنب فيجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب^(٢).

١٢ - كاه: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج، وعلي بن رثاب، عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام لما بويج بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها يقول فيها: ألا إن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه ﷺ، والذي بعث بالحق لتبليلاً بلبلة، ولتغريلاً غريلة حتى يعود أسفلكم أعلاك، وأعلاك أسفلكم، وليسبقن سباقون كانوا قسروا، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وسمه، ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم^(٣).

بيان: لتبليلاً أي لتخلطن من تبليت الألسن أي اختلطت، أو من البلبلة وهي الهموم والأحزان ووسوسة الصدر. ولتغريلاً يجوز أن يكون من الغريال الذي يغربل به الدقيق، ويجوز أن يكون من غريلت اللحم أي قطعه فعلى الأول يحتمل معنيين: أحدهما الاختلاط كما أن في غريلة الدقيق يختلط بعضه ببعض؛ والثاني أن يريد بذلك أن يستخلص الصالح منكم من الفاسد ويتميز، كما يمتاز الدقيق عند الغريلة من النخالة.

قوله عليه السلام: حتى يعود أسفلكم أعلاك^(٤) أي يصير عزيزكم ذليلاً وذليلكم عزيزاً أو صالحكم فاجراً وفاجرهم صالحاً، ومؤمنكم كافراً وكافرهم مؤمناً. وفي النهج: لتساطن سوط القدر حتى يعود. وهو أظهر، يقال: ساط القدر: إذا قلب ما فيها من طعام بالمسوط وأداره؛ والمسوط: خشبة يحرك بها ما فيها ليخلط.

قوله عليه السلام: وليسبقن سباقون يعني عليه السلام به قوماً قسروا في أول الأمر في نصرته ثم نصروه في ذلك الوقت، وبالفقرة الثانية قوماً سعوا إلى بيعته وبادروا إلى نصرته في أول الأمر ثم خذلوه ونكثوا بيعته كطلحة والزبير.

قوله عليه السلام: ما كتمت وسمه، وفي بعض النسخ بالشين المعجمة وهو الأظهر، قال الجزري: في حديث علي: والله ما كتمت وشمة، أي كلمة وفي بعض النسخ بالسين المهملة

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٥٦ باب الاستدراج ح ٢-٣.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٥٦ باب الاستدراج ح ٢-٣.

(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢١٨ باب التمهيد والامتحان ح ١.

(٤) نهج البلاغة، ص ٦٩ خطبة رقم ١٦.

فهو بمعنى العلامة أي ما سترت علامة تدلّ على سبيل الحق ولكن عميت عنها، ولا يخفى لطف انضمام الکتّم بالوسمة، إذ الکتّم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة يختضب به.

١٣ - كاه: محمّد بن يحيى، والحسن بن محمّد، عن جعفر بن محمّد، عن القاسم بن إسماعيل الأنباري، عن الحسين بن عليّ، عن أبي المغراء، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب! قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: نفر يسيرا قلت: والله إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير قال لا بدّ للناس من أن يمتحصوا ويميزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلق كثير^(١).

١٤ - كاه: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ﴿الَّذِي أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ثم قال لي: ما الفتنة؟ قلت: جعلت فداك الذي عندنا الفتنة في الدين، فقال: يفتنون كما يفتن الذهب، ثم قال: يخلصون كما يخلص الذهب^(٢).

١٥ - كاه: محمّد بن الحسن وعليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن منصور الصيقل، عن أبيه قال: كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله عليه السلام يسمع كلامنا فقال لنا في أي شيء أنتم؟ هيهات! هيهات! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تغربلوا! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تمتحصوا! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تميزوا! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلّا بعد آياس! لا والله ما يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد^(٣).

١٦ - نهج: أيها الناس إن الله تعالى قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يتليكم، وقد قال جلّ من قائل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَبَشِيرِينَ﴾^(٤).

١٧ - نهج: قال عليه السلام: كم من مستدرج بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء^(٥).

١٨ - وقال عليه السلام: أيها الناس ليركم الله من النعمة وجلين، كما يراكم من النعمة فرقين، إنّه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختياراً فقد ضيّع مأمولاً^(٦).

أقول: سيأتي الآيات والأخبار في الإملاء والامهال والاستدراج في كتات الإيمان والكفر.

(١) - (٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٢١٨ باب التمحيص والامتحان ح ٢ و ٤ و ٦.

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٢٦ خطبة رقم ١٠٢. (٥) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ٢٦٠.

(٦) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ٣٥١ وفيه: اختباراً.

٩ - باب أن المعرفة منه تعالى^(١)

الآيات: لقمان «٣١»: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٢٥».

الزخرف: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ «٩».

الحجرات «٤٩»: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ «١٧».

الليل «٩٢»: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ «١٢».

تفسير: قوله تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: إما لكونهم مجبولين مفطورين على الإذعان بذلك إذا رجعوا إلى أنفسهم ولم يتبعوا أسلافهم، أو الخطاب مع كفار قريش فإنهم كانوا معترفين بأن الخالق هو الله، وليس له شريك في الخلق لكنهم كانوا يجعلون الأصنام شريكاً له في العبادة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي أراكم السبيل إليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، أو وفقكم لقبول ما أتت به الرسل والإذعان بها، أو ألهمكم المعرفة كما هو ظاهر الأخبار.

١ - ب: معاوية بن حكيم، عن البنظطي قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام للناس في المعرفة صنع؟ قال: لا، قلت: لهم عليها ثواب؟ قال: يتطول عليهم بالثواب كما يتطول عليهم بالمعرفة^(٢).

ضاء: عن العالم عليه السلام مثله^(٣).

٢ - ل: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن موسى بن جعفر البغدادي عن أبي عبد الله الإصبهاني، عن درست، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ستة أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة، والجهل، والرضا، والغضب، والنوم، واليقظة^(٤).

سنن: أبي رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام مثله^(٥).

٣ - يده: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن معروف، عن ابن أبي نجران، عن حماد بن

(١) في هذا الباب روايات تدل على أن معرفة الله تعالى من صنع الله تعالى، ليس للعباد فيها صنع ولم يكلفوا بها، ولم يجعل لهم إليها سبيلاً بل فطرهم الله تعالى على معرفته وصبغهم عليها، وعرفهم نفسه القدوس في عالم الذر والميثاق فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فثبت المعرفة في قلوبهم ولذلك أن سئلهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله، وذكر في الكافي باب أنه تعالى لا يعرف إلا به روايات لذلك، وذكر الصدوق في كتابه التوحيد في باب أنه عليه السلام لا يعرف إلا به، عشرة روايات لذلك. [مستدرک السفينة ج ٧ لغة «عرف»].

(٢) الفقه المنسوب للرضا عليه السلام ص ٦٦.

(٣) قرب الإسناد، ص ٣٤٧ ح ١٢٥٦.

(٤) المحاسن، ص ١٠.

(٥) الخصال ص ٣٢٥ باب الستة ح ١٣.

عثمان، عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين فسألته عن المعرفة والجحود أهما مخلوقتان^(١)؟ فكتب عليه السلام: سألت عن المعرفة ما هي فاعلم رحمك الله أن المعرفة من صنع الله تعالى في القلب مخلوقة، والجحود صنع الله في القلب مخلوق وليس للعباد فيهما من صنع ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب، فبشهوتهما الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين، وبشهوتهما الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلالاً وذلك بتوفيق الله لهم، وخذلان من خذله الله، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم. الخبر^(٢).

٤ - سنن: أبي، عن النضر، عن الحلبي، عن أبي المغراء، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: إني لأعلم أن هذا الحب الذي تحبونا ليس بشيء صنعتموه ولكن الله صنعه^(٣).

٥ - سنن: ابن فضال، عن علي بن عقبة، وفضل الأسدي، عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يكلف الله العباد المعرفة ولم يجعل لهم إليها سبيلاً^(٤).

٦ - سنن: الوشاء، عن أبان الأحمر، عن عثمان، عن الفضل أبي العباس بقباقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ هل لهم في ذلك صنع؟ قال: لا^(٥).

٧ - سنن: الوشاء، عن أبان الأحمر، عن الحسن بن زياد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان هل للعباد فيه صنع، قال: لا ولا كرامة، بل هو من الله وفضله^(٦).

٨ - سنن: محمد بن خالد، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن أيوب بن الحر، عن الحسن بن زياد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ هل للعباد بما حُبب صنع؟ قال: لا ولا كرامة^(٧).

٩ - سنن: أبي خدّاش المهدّي، عن الهيثم بن حفص، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ليس على الناس أن يعلموا حتى يكون الله هو المعلم لهم، فإذا أعلمهم فعليهم أن يعلموا^(٨).

١٠ - سنن: عدّة عن عباس بن عامر، عن مثنى الحنّاط، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله خلق خلقه فخلق قوماً أحبنا لو أن أحدهم خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه وإن رغب أنفه، وخلق خلقاً لبغضنا لا يحبوننا أبداً^(٩).

١١ - ما: الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم عن

(١) الصواب: مخلوقتان كما في المصدر. (٢) التوحيد، ص ٢٢٦ باب ٣٠ ح ٧.

(٣) - (٤) - (٩) المحاسن، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٣) المحاسن، ص ١٤٩.

الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: التوحيد^(١).

١٢ - سنن: أبي، عن صفوان قال: قلت لعبد صالح: هل في الناس استطاعة يتعاطون بها المعرفة؟ قال: لا إنّما هو تطوّل من الله. قلت: أفلهم على المعرفة ثواب إذا كان ليس فيهم ما يتعاطونه بمنزلة الركوع والسجود الذي أمروا به ففعلوه؟ قال لا إنّما هو تطوّل من الله عليهم وتطوّل بالثواب^(٢).

١٣ - سنن: أبي، عن فضالة، عن جميل بن درّاج، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: كان ذلك معاناة الله فأنساهاهم المعاينة وأثبت الإقرار في صدورهم، ولولا ذلك ما عرف أحد خالقه ولا رازقه، وهو قول الله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٣).

بيان: المعاينة مجاز عن المواجهة بالخطاب أي خلق الكلام قبالة وجههم فنسوا تلك الحالة، وثبتت المعرفة في قلوبهم. ثم اعلم أنّ أخبار هذا الباب وكثيراً من أخبار الأبواب السابقة تدلّ على أنّ معرفة الله تعالى بل معرفة الرسول والأئمة عليهم السلام وسائر العقائد الدينية موهبة وليست بكسبية، ويمكن حملها على كمال معرفته؛ أو المراد أنّه تعالى احتجّ عليهم بما أعطاهم من العقول ولا يقدر أحد من الخلق حتّى الرسل على هداية أحد وتعريفه؛ أو المراد أنّ المفيض للمعارف هو الربّ تعالى، وإنّما أمر العباد بالسعي في أن يستعدّوا لذلك بالفكر والنظر كما يشير إليه خبر عبد الرحيم؛ أو يقال: هي مختصة بمعرفة غير ما يتوقّف عليه العلم بصدق الرسل فإنّ ما سوى ذلك إنّما نعرفه بما عرفنا الله على لسان أنبيائه وحججه عليهم السلام؛ أو يقال: المراد بها معرفة الأحكام الفرعية لعدم استقلال العقل فيها؛ أو المعنى أنّها إنّما تحصل بتوقيفه تعالى للاكتساب، هذا ما يمكن أن يقال في تأويلها مع بعد أكثرها. والظاهر منها أنّ العباد إنّما يكلفون بالانقياد للحق وترك الاستكبار عن قبوله، فأما المعارف فإنّها بأسرها ممّا يلقيه الله تعالى في قلوب عباده بعد اختيارهم للحق، ثمّ يكمل ذلك يوماً فيوماً بقدر أعمالهم وطاعاتهم حتّى يوصلهم إلى درجة اليقين، وحسبك في ذلك ما وصل إليك من سيرة النبيّين وأئمة الدين في تكميل أممهم وأصحابهم، فإنّهم لم يحيلوهم على الاكتساب والنظر وتتبع كتب الفلاسفة والاعتباس من علوم الزنادقة، بل إنّما دعوهم أولاً إلى الإذعان بالتوحيد وسائر العقائد، ثمّ دعوهم إلى تكميل النفس بالطاعات والرياضات حتّى فازوا بأعلى درجات السعادات.

١٠ - باب الطينة والميثاق

الآيات: الأعراف (٧): ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٦٠ مجلس ٣٥ ح ١٣٦٦. (٢) - (٣) المحاسن، ص ٢٨١.

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾

الأحزاب (٣٣): ﴿وَلِذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَتَسْتَكَلَّ الْصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ (١).

١ - سنن: أبي، عن صالح بن سهل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك من أي شيء خلق الله طينة المؤمن؟ قال من طينة الأنبياء فلن ينحس أبداً (٢).

٢ - سنن: بهذا الإسناد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المؤمنون من طينة الأنبياء؟ قال: نعم (٣).

٣ - ماء: المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمد بن خالد، عن فضالة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنا وشيعتنا خلقنا من طينة من عليين وخلق عدونا من طينة خبال من حمأ مسنون (٤).

بيان: قال الجزري فيه: من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة جاء تفسيره في الحديث أن الخبال: عصارة أهل النار، والخبال في الأصل: الفساد.

وقال الفيروزآبادي: الخبال كسحاب: النقصان، والهلاك، والعناء، والكل، والعيال والسقم القاتل، وصديد أهل النار. وقال: الحمأ محرّكة: الطين الأسود الممتن. وقال: المسنون: الممتن.

٤ - ماء: شيخ الطائفة، عن أبي منصور السكري عن جده علي بن عمر، عن إسحاق بن مروان القطان، عن أبيه، عن عبيد بن مهران العطار، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيهما، عن جدهما قالا: قال رسول الله ﷺ: إن في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله ﷻ منها وخلق منها شيعة، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منا ولا من شيعة، وهي الميثاق الذي أخذ الله ﷻ عليه ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام. قال عبيد: فذكرت لمحمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام هذا الحديث فقال: صدقك يحيى بن

(١) من العوالم التي نطقت بها القرآن والروايات المتواترة عالم الدر والميثاق. فمن الآيات في ذلك قوله تعالى في الأعراف: ﴿وَلِذَٰلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الآية، أخرج الله ذرية آدم من صلب آدم وصيغة الجمع في قوله: ﴿ظُهُورِهِمْ﴾ باعتبار كون بعضهم في ظهر بعض فاخرج من جميع الظهور ما كان فيه، وبالجمله كل الأخلاف في ظهور الأسلاف إلى يوم القيامة أخرج الله من ظهر آدم بني آدم إلى يوم القيامة من ظهور الأسلاف من يأتون من الأخلاف، فمن في قوله: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بيانية أو نشوية لكون الأكثر في الظهور. [مستدرک السفينة ج ١٠ لغة وثق].

(٢) (٤) أمالي الطوسي، ص ١٤٩ ح ٢٤٤.

(٣) - (٢) المحاسن، ص ١٣٣.

عبد الله؛ هكذا أخبرني أبي، عن جدي، عن النبي ﷺ (١).

٥ - ع: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى؛ وحدثنا أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية وبالنبوة لكل نبي كان أول من أخذ عليهم الميثاق بالنبوة نبوة محمد بن عبد الله ﷺ، ثم قال الله جل جلاله لآدم عليه السلام: انظر ماذا ترى؟ قال: فنظر آدم إلى ذريته وهم ذر قد ملؤوا السماء فقال آدم: يا رب ما أكثر ذريتي! ولأمر ما خلقتهم؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ فقال الله عز وجل ليعبدوني (٢) ولا يشركون بي شيئاً، ويؤمنون برسلي ويتبعونهم، قال آدم عليه السلام: فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض، وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور؟ قال الله عز وجل: وكذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم؛ قال آدم عليه السلام: يا رب فتأذن لي في الكلام فأتكلم؟ قال الله جل جلاله: تكلم فإن روحك من روحي وطيعتك من خلاف كينونتي. قال آدم: يا رب لو كنت خلقتهم على مثال واحد، وقدر واحد، وطبيعة واحدة، وجبلة واحدة، وألوان واحدة، وأعمار واحدة، وأرزاق سواء لم ينج بعضهم على بعض، ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء، فقال الله جل جلاله: يا آدم بروحي نطق، وبضعف طبعك تكلفت ما لا علم لك به وأنا الله الخلاق العليم، بعلمي خالفت بين خلقهم، وبمشيتي أمضي فيهم أمري وإلى تديري وتقديري هم صائرون، لا تبديل لخليقي وإنما خلقت الجن والإنس ليعبدوني، وخلقت الجنة لمن عبدني وأطاعني منهم واتبع رسلي ولا أبالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي، وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم، وإنما خلقتك وخلقتهم لأبلوهم وأبلوهم أيتكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم، وكذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك أردت في تقديري وتديري، وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم، وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم؛ فجعلت منهم السعيد والشقي، والبصير والأعمى، والقصير والطويل، والجميل والذميم، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والمطيع والعاصي، والصحيح والسقيم، ومن به الزمانة ومن لا عاهة به؛ فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه ويصبر على بلائه فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هدته، فلذلك خلقتهم

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٠٨ مجلس ١١ ح ٦٢٠.

(٢) الصواب: يعبدوني، كما في المصدر.

لأبلوهم في السراء والضراء وفيما عافيتهم وفيما ابتليتهم وفيما أعطيتهم وفيما أمنعهم وأنا الله الملك القادر، ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبرت، وإلي أن أغير عن ذلك ما شئت إلى ما شئت فأقدم من ذلك ما أخرت وأؤخر من ذلك ما قدمت، وأنا الله الفعال لما أريد، لا أسأل عما أفعل، وأنا أسأل خلقي عما هم فاعلون^(١).

مختص: هشام بن سالم مثله^(٢).

بيان: قوله تعالى: من روعي أي من الروح الذي اصطفيه وانتجبه، أي من عالم المجردات أو من عالم القدس، وطبيعتك من عالم الخلق والجسمانيات، أو مما هو معدن الشهوات والجهالات فبطبيعتك وبشريتك سألت ما سألت. والذميم: المذموم، وفي بعض النسخ بالبدال المهملة، يقال: رجل ذميم أي قصير قبيح.

٦ - ع: أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن أحمد السيارى، عن محمد بن عبد الله بن مهران الكوفي، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي إسحاق الليثي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: يا بن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني؟ قال: اللهم لا، قلت: فيلوط؟ قال: اللهم لا، قلت: فيسرق؟ قال: لا، قلت: فيشرب الخمر؟ قال: لا؛ قلت: فيأتي بكبائر من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش؟ قال: لا؛ قلت: فيذنب ذنباً؟ قال: نعم وهو مؤمن مذبذب مسلم؛ قلت: ما معنى مسلم؟ قال: المسلم بالذنب لا يلزمه ولا يصير عليه، قال فقلت: سبحان الله ما أعجب هذا! لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي بكبيرة من الكبائر ولا فاحشة؟ فقال: لا عجب من أمر الله، إن الله عز وجل يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون؛ فممّ عجبت يا إبراهيم؟ سل ولا تستكف ولا تستحسر فإن هذا العلم لا يتعلمه مستكبر ولا مستحسر؛ قلت: يا بن رسول الله إنني أجد من شيعتكم من يشرب، ويقطع الطريق، ويحيف^(٣) السبيل، ويزني ويلوط، ويأكل الربا، ويرتكب الفواحش، ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة، ويقطع الرحم. ويأتي الكبائر، فكيف هذا؟ ولم ذاك؟ فقال: يا إبراهيم هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟ قلت: نعم يا بن رسول الله أخرى أعظم من ذلك؛ فقال: وما هو يا أبا إسحاق قال: فقلت: يا بن رسول الله وأجد من أعدائكم ومناصبيكم من يكثر من الصلاة ومن الصيام، ويخرج الزكاة، ويتابع بين الحج والعمرة، ويحضر على الجهاد، ويأثر على البر وعلى صلة الأرحام، ويقضي حقوق إخوانه، ويواسيهم من ماله، ويتجنب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش، فممّ ذاك؟ ولم ذاك؟ فسرّه لي يا بن رسول الله وبرهنه وبينه فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي!

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢١ باب ٩ ح ٤. (٢) الاختصاص، ص ٣٣٢.

(٣) الصواب: يخيف، كما في المصدر.

قال: فتبسم ﷺ ثم قال: يا إبراهيم خذ إليك بياناً شافياً فيما سألت، وعلماً مكنوناً من خزائن علم الله وسره، أخبرني يا إبراهيم كيف تجد اعتقادهما؟ قلت: يا بن رسول الله أجد محبتكم وشيعتكم على ما هم فيه مما وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ممّا بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة أن يزول عن ولايتكم ومحبتكم إلى موالاة غيركم وإلى محبتهم ما زال، ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيكم، ولو قتل فيكم ما ارتدع ولا رجع عن محبتكم وولايتكم؛ وأرى الناصب على ما هو عليه ممّا وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة أن يزول عن محبة الطواغيت وموالاتهم إلى موالاةكم ما فعل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم، ولو قتل فيهم ما ارتدع ولا رجع، وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً اشماز من ذلك وتغير لونه، ورثي كراهية ذلك في وجهه، بغضاً لكم ومحبة لهم.

قال: فتبسم الباقر ﷺ ثم قال: يا إبراهيم ههنا هلكت العاملة الناصبة، تصلى ناراً حامية، تسقى من عين آنية، ومن أجل ذلك قال ﷺ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْكَ فَنُشُورًا﴾^(١) ويحك يا إبراهيم أتدري ما السبب والقصة في ذلك؟ وما الذي قد خفي على الناس منه؟ قلت: يا بن رسول الله فينه لي واشرحه وبرهنه.

قال: يا إبراهيم إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء ومن زعم أن الله ﷻ خلق الأشياء من شيء فقد كفر لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليته وهويته كان ذلك أزلياً؛ بل خلق الله ﷻ الأشياء كلها لا من شيء، فكان ممّا خلق الله ﷻ أرضاً طيبة، ثم فجر منها ماءً عذباً زلالاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبّقها وعمّها، ثم نضب ذلك الماء عنها، وأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمة ﷺ، ثم أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعة، ولو ترك طينتكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طيتنا لكتتم ونحن شيئاً واحداً.

قلت: يا بن رسول الله فما فعل بطيتنا؟ قال: أخبرك يا إبراهيم خلق الله ﷻ بعد ذلك أرضاً سبخة خبيثة منتنة، ثم فجر منها ماءً أجاجاً، آسناً، مالحاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت ولم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبّقها وعمّها، ثم نضب ذلك الماء عنها، ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمتهم، ثم مزجه بثفل طينتكم، ولو ترك طيتهم على حاله^(٢) ولم يمزج بطيتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّوا ولا أدّوا أمانة ولا أشبهوكم في الصور، وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوّه مثل صورته.

قلت: يا بن رسول الله فما صنع بالطيتين؟ قال: مزج بينهما بالماء الأوّل والماء الثاني،

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٢) الصواب: على حالها، كما في المصدر.

ثم عركها عرك الأديم، ثم أخذ من ذلك قبضة فقال: هذه إلى الجنة ولا أبالي وأخذ قبضة أخرى وقال: هذه إلى النار ولا أبالي؛ ثم خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطيبته على سنخ الكافر وطيبته، ووقع من سنخ الكافر وطيبته على سنخ المؤمن وطيبته، فما رأيت من شيعة من زنا، أو لواط، أو ترك صلاة، أو صيام، أو حج، أو جهاد، أو خيانة، أو كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه لأن من سنخ الناصب وعنصره وطيبته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر؛ وما رأيت من الناصب ومواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وأبواب البر فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه لأن من سنخ المؤمن وعنصره وطيبته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم، فإذا عرضت هذه الأعمال كلها على الله ﷻ قال: أنا عدل لا أجور، ومنصف لا أظلم، وحكم لا أحيف ولا أميل ولا أشطط، ألحقوا الأعمال السيئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطيبته، وألحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطيبته ردوها كلها إلى أصلها، فإني أنا الله لا إله إلا أنا، عالم السر وأخفى وأنا المطلع على قلوب عبادي، لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلا ما عرفته منه قبل أن أخلقه.

ثم قال الباقر عليه السلام: يا إبراهيم اقرأ هذه الآية، قلت: يا بن رسول الله آية آية؟ قال: قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا تُظْلِمُونَ﴾^(١) هو في الظاهر ما تفهمونه، وهو والله في الباطن هذا بعينه، يا إبراهيم إن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومحكماً ومتشابهاً، وناسخاً ومنسوخاً.

ثم قال: أخبرني يا إبراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان، أهو بائن من القرص؟ قلت: في حال طلوعه بائن؛ قال: أليس إذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود إليه؟ قلت: نعم، قال: كذلك يعود كل شيء إلى سنخه وجوهره وأصله، فإذا كان يوم القيامة نزع الله ﷻ سنخ الناصب وطيبته مع أثقاله وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلها بالناصب، وينزع سنخ المؤمن وطيبته مع حسناته وأبواب برّه واجتهاده من الناصب فيلحقها كلها بالمؤمن. أفترى ههنا ظلماً وعدواناً؟ قلت: لا يا بن رسول الله؛ قال: هذا والله القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل البين، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، هذا - يا إبراهيم - الحق من ربك فلا تكن من الممترين هذا من حكم الملكوت.

قلت: يا بن رسول الله وما حكم الملكوت؟ قال: حكم الله وحكم أنبيائه، وقصة الخضر وموسى عليه السلام حين استصحبه فقال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٢) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِط بِهِ خَبْرًا^(٣).

افهم يا إبراهيم واعقل، أنكر موسى على الخضر واستفزع أفعاله حتى قال له الخضر يا

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٩.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٦٧-٦٨.

موسى ما فعلته عن أمري، إنما فعلته عن أمر الله ﷻ، من هذا - ويحك يا إبراهيم - قرآن يتلى، وأخبار تؤثر عن الله ﷻ، من ردّ منها حرفاً فقد كفر وأشرك وردّ على الله ﷻ. قال الليثي: فكأنني لم أعقل الآيات - وأنا أقرؤها أربعين سنة - إلا ذلك اليوم، فقلت: يا بن رسول الله ما أعجب هذا! تؤخذ حسنات أعدائكم فتردّ على شيعتكم، وتؤخذ سيئات محبيكم فتردّ على مبغضيك؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو، فالحق الحبة، وبارئ النسمة، وفاطر الأرض والسماء، ما أخبرتك إلا بالحق، وما أتيك إلا بالصدق، وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد، وإنّ ما أخبرتك لموجود في القرآن كله.

قلت: هذا بعينه يوجد في القرآن؟ قال: نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن، أتحبّ أن أقرأ ذلك عليك؟ قلت: بلى يا بن رسول الله؛ فقال: قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ الآية (١).

أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يا بن رسول الله قال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (٢) أتحبّ أن أزيدك؟ قلت: بلى يا بن رسول الله، قال: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣) يبدّل الله سيئات شيعتنا حسنات، ويبدّل الله حسنات أعدائنا سيئات؛ وجلال الله ووجه الله إنّ هذا لمن عدله وإنصافه لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه وهو السميع العليم.

ألم أبين لك أمر المزاج والطينتين من القرآن؟ قلت: بلى يا بن رسول الله؛ قال: اقرأ يا إبراهيم: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَرَهُ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمُ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني من الأرض الطيبة والأرض المنتنة ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٤) يقول: لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأنّ الله ﷻ أعلم بمن اتقى منكم، فإنّ ذلك من قبل اللّم وهو المزاج.

أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يا بن رسول الله؛ قال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٥) يعني أئمة الجور دون أئمة الحق ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ خذها إليك يا أبا إسحاق، فوالله إنّ لمن غرر أحاديثنا وباطن سرائرنا ومكنون خزائنا وانصرف ولا تطلع على سرّنا أحداً إلا مؤمناً مستبصراً فإنّك إن أذعت سرّنا بليت في نفسك ومالك وأهلك وولدك (٦).

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٢-١٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٩-٣٠.

(٤) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٥) سورة النحل، الآية: ٢٥.

(٦) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٣٢ باب ٣٨٥ باب النوادر ح ٨١.

بيان: قال الفيروزآبادي: أثر على الأمر كفرح: عزم؛ وله: تفرق. وقال: الأسن من الماء: الآجن وقال: عركه: ذلك وحكّه.

ولعل المراد بالأديم هنا الطعام المأدوم (ثم) في قوله: «ثم أخذ» للترتيب الذكري ولتفصيل ما أجمل سابقاً.

ثم اعلم أنّ هذا الخبر وأمثاله ممّا يصعب على القلوب فهمه وعلى العقول إدراكه ويمكن أن يكون كناية عمّا علم الله تعالى وقدره من اختلاط المؤمن والكافر في الدنيا واستيلاء أئمة الجور وأتباعهم على أئمة الحق وأتباعهم، وعلم أنّ المؤمنين إنّما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم، وعدم تولّي أئمة الحق بسياستهم فيعذرهم بذلك ويعفو عنهم، ويعذب أئمة الجور وأتباعهم بتسبّيهم لجرائم من خالطهم مع ما يستحقّون من جرائم أنفسهم، والله يعلم وحججه عليه السلام.

٧ - فس: عليّ بن الحسين، عن البرقي، عن محمّد بن عليّ، عن عليّ بن أسباط، عن عليّ بن معمر، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى﴾ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذرّ الأول فأقامهم صفوفاً قدّامه بعث الله محمداً عليه السلام فأمن به قوم، وأنكره قوم، فقال الله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى﴾ يعني به محمداً عليه السلام حيث دعاهم إلى الله تعالى في الذرّ الأول^(١).

٨ - فس: عليّ بن الحسين، عن البرقي، عن ابن محبوب، عن الحسين بن نعيم الصخاف قال: سألت الصادق عليه السلام عن قوله: ﴿فِيكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ فقال: عرّف الله تعالى إيمانهم بولايتنا، وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذرّ في صلب آدم عليه السلام^(٢).

ير: أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب مثله^(٣).

٩ - فس: أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿وَالْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان على الطريقة يعني على الولاية في الأصل عند الأظلة حين أخذ الله ميثاق بني آدم ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذَقًا﴾ يعني لكننا وضعنا أظلتهم في الماء الفرات العذب^(٤).

بيان: قوله عليه السلام: يعني من جرى أي لما كانت لفظة ﴿لَوْ﴾ دالة على عدم تحقق الاستقامة فالمراد بهم من جرى فيهم شرك الشيطان من المنكرين للولاية، وحاصل الخبر أنّ

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٧.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥٤.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٨١.

(٤) بصائر الدرجات، ص ٩١ ح ٢ باب ١٢ ح ٢.

المراد بالآية أنهم لو كانوا أقروا في عالم الظلال والأرواح بالولاية لجعلنا أرواحهم في أجساد مخلوقة من الماء العذب. فمنشأ اختلاف الطينة هو التكليف الأول في عالم الأرواح عند الميثاق.

١٠ - **فَس: أَبِي**، عن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عَلَيَيْنِ، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مِمَّا خَلَقْنَا مِنْهُ وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْنَا وَأَنْهَا خَلَقَتْ ^(١) مِمَّا خَلَقْنَا مِنْهُ؛ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ: **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْفُوعٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ (٢١)** ^(٢).

١١ - **ع: ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ**، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن أبيه، عن أبي نهشل عن محمد ابن إسماعيل، عن أبيه، عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إِنَّ اللَّهَ تعالى خَلَقَنَا الْخَبِيرَ ^(٣).

سَن: أَبِي، عن أبي نهشل، عن محمد بن إسماعيل، عن أبي حمزة مثله ^(٤).

بيان: قد اختلف في تفسير عليّين ف قيل: هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة. وقيل: السماء السابعة. وقيل: سدرة المنتهى. وقيل: الجنة. وقيل: لوح من زبرجد أخضر، معلق تحت العرش، أعمالهم مكتوبة فيه. وقال الفراء: أي في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له. والمراد أن كتابة أعمالهم أو ما يكتب من أعمالهم في عليّين أي في دفتر أعمالهم أو المراد أن دفتر أعمالهم في تلك الأمكنة الشريفة، وعلى الأخير فيه حذف مضاف أي وما أدراك ما كتاب عليّين؛ والظاهر أن مفاد الخبر أن دفتر أعمالهم موضوع في مكان أخذت منه طينتهم، ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب الروح لأنه محل للعلوم ترسم فيها.

١٢ - **فَس: أَبِي**، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ مِنَ الرُّسُلِ إِلَى (بلى) رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ جَبْرَائِيلُ: - لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ - تَقَدَّمَ يَا مُحَمَّدٌ فَقَدْ وَطِئَتْ مَوْطِئاً لَمْ يَطَّاهُ مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. وَلَوْلَا أَنَّ رُوحَهُ وَنَفْسَهُ كَانَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ لَمَّا قَدَّرَ أَنْ يَبْلُغَهُ، فَكَانَ مِنَ اللَّهِ تعالى كَمَا قَالَ اللَّهُ: **هَقَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** أي بل أدنى فلما خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام: كَانَ الْمِيثَاقُ مَاخُذاً عَلَيْهِمُ اللَّهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ، وَلِرَسُولِهِ بِالنَّبُوءَةِ، وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ بِالْإِمَامَةِ، فَقَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّكُمْ، وَعَلِيٌّ إِمَامُكُمْ، وَالْأَئِمَّةُ الْهَادُونَ أَئِمَّتُكُمْ؟ فَقَالُوا: بلى،

(١) في المصدر: لأنها خلقت، وهو الصواب. (٢) المحاسن، ج ١ ص ١٣٢ ح ٥.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠٥.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤١ باب ٩٦ ح ١٢.

فقال الله: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(١) أي لثلاثا تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فأول ما أخذ الله ﷺ الميثاق على الأنبياء بالربوبية، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ﴾ فذكر جملة الأنبياء، ثم أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: ﴿وَمِنْكَ﴾ يا محمد، فقدم رسول الله ﷺ لأنه أفضلهم، ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله ﷺ أفضلهم، ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله على الأنبياء له بالإيمان به، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ صُكَّتٍ وَإِجْمَاعٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني رسول الله ﷺ: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني أمير المؤمنين ﷺ تخبروا أممكم بخبره وخبر وليه من الأئمة^(٢).

١٣ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله ﷺ وعن أبي بصير، عن أبي جعفر ﷺ في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قال: ما بعث الله نبياً من آدم فلهلم جراً إلا ويرجع إلى الدنيا فيقاتل وينصر رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين، ثم أخذ أيضاً ميثاق الأنبياء على رسول الله ﷺ فقال: قل يا محمد: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

١٤ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ قلت: معاينة كان هذا؟ قال: نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: ﴿فَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(٤).

١٥ - أقول: روى الشيخ أحمد بن فهد في المذهب وغيره بإسنادهم عن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال لي: يا معلّى يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله ميثاق العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وأن يدينوا برسله وحججه وأوليائه ﷺ. الخبر.

١٦ - فس: أبي، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن ثابت الحدّاد عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين ﷺ في خبر طويل: قال الله تبارك وتعالى للملائكة: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾^(٥) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ^(٦) قال: وكان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤٨.

(٣) - (٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٢٨-٢٩.

منه عليهم، قال: فاغترف ربنا تبارك وتعالى غرفة يمينه من الماء العذب الفرات - وكلتا يديه يمين - فصلصلها في كفه فجمدت فقال لها: منك أخلق النبيين والمرسلين، وعبادي الصالحين، والأئمة المهتدين، والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم الدين ولا أبالي، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون. ثم اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج فصلصلها في كفه فجمدت ثم قال لها: منك أخلق الجبارين، والفراعنة، والعتاة، وإخوان الشياطين، والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم ولا أبالي، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون. قال: وشرط في ذلك البدء فيهم، ولم يشترط في أصحاب اليمين البدء، ثم خلط المائتين جميعاً في كفه فصلصلهما ثم كفأهما قدام عرشه وهما سلاله من طين. الخبر^(١).

شيء: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام مثله^(٢).

ع: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر مثله^(٣).

بيان: قال الجزريّ فيه: كلتا يديه يمين أي يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما، لأنّ الشمال ينقص عن اليمين، وإطلاق هذه الأسماء إنّما هو على سبيل المجاز والاستعارة، والله منزّه من التشبيه والتجسيم انتهى.

أقول: لما كانت اليد كناية عن القدرة فيحتمل أن يكون المراد باليمين القدرة على الرحمة والنعمة والفضل، وبالشمال القدرة على العذاب والقهر والابتلاء، فالمعنى: أنّ عذابه وقهره وإمراضه وإماتته وسائر المصائب والعقوبات لطف ورحمة لاشتمالها على الحكم الخفية والمصالح العامة، وبه يمكن أن يفسر ما ورد في الدعاء: والخير في يديك. والصلصال: الطين الحرّ خلط بالرمل، فصار يتصلصل إذا جفت. وسلالة الشيء: ما انسل منه واستخرج بجذب ونزع.

١٧- ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن فضال، عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى خلق ماءً عذباً فخلق منه أهل طاعته، وجعل ماءً مرّاً فخلق منه أهل معصيته، ثم أمرهما فاختلطا، فلو لا ذلك ما ولد المؤمن إلا مؤمناً، ولا الكافر إلا كافراً^(٤).

١٨- ع: ابن الوليد، عن الصفار، عن الحسن بن فضال، عن ابن أبي الخطاب، عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله بن الجارود، عمّن ذكره، عن عليّ بن الحسين عليه السلام

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥١.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦٠ ح ٧ من سورة الحجر.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٦ باب ٩٦ ح ١.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٣ باب ٧٧ ح ١.

قال: إنَّ الله ﷻ خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة، وخلق أبدانهم من دون ذلك، وخلق الكافرين من طينة سجّيل قلوبهم وأبدانهم، فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة، ويصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحنُّ إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنُّ إلى ما خلقوا منه^(١).

١٩ - ع: أحمد بن هارون، عن محمد الحميري، عن أبيه، عن ابن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن أبي نعيم الهذلي، عن رجل، عن علي بن الحسين ﷺ مثله. وفيه: وخلق أبدان المؤمنين وخلق الكفار. وسجّين مكان سجّيل^(٢).

يرو: ابن معروف، عن حماد، عن ربعي، عنه ﷺ مثله.

سنن: أبي، عن حماد إلى قوله: وخلق أبدانهم من دون ذلك.

بيان: سجّين: موضع فيه كتاب الفجار ودواوينهم، قال أبو عبيد: هو فقيل من السجّن كالفسق من الفسق، وقيل: هو الأرض السابعة أو أسفل منها، أو جبّ في جهنّم. والسجّيل كسكّيت: حجارة من مدر، معرب (سكّ كل) والسجّين أظهر.

٢٠ - ع: ماجيلويه، عن محمد العطار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عمرو بن عثمان، عن العبقري، عن عمر بن ثابت، عن أبيه، عن حبة العرنّي، عن عليّ ﷺ قال: إنَّ الله ﷻ خلق آدم ﷺ من أديم الأرض، فمنه السباخ ومنه الملح ومنه الطيب؛ فكَذلك في ذرّة الصالح والطالح^(٣).

٢١ - ع: ابن المتوكل، عن محمد العطار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن شريح، عن أبي عبد الله ﷺ قال: إنَّ الله ﷻ أجرى ماءً فقال له: كن عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وإنَّ الله ﷻ أجرى ماءً فقال له: كن بحراً مالحاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثمَّ خلطهما جميعاً فمن ثمَّ يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، ولو لم يخلطهما لم يخرج من هذا إلا مثله، ولا من هذا إلا مثله^(٤).

٢٢ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن فضال، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله ﷺ - في حديث طويل - يقول في آخره: مهما رأيت من نزع أصحابك وخرقهم فهو ممّا أصابهم من لطح أصحاب الشمال، وما رأيت من حسن شيم من خالفهم ووقارهم فهو من لطح أصحاب اليمين^(٥).

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٣ باب ٧٧ ح ٢.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١١٦ باب ٩٦ ح ١٣.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٤ باب ٧٧ ح ٣ وفيه: في ذرّته... وهو الصواب.

(٤) - (٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٤ باب ٧٧ ح ٤ و٥.

٢٣ - ع: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن أبي الخطاب عن محمد بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن أول ما خلق الله ﷻ، قال: إن أول ما خلق الله ﷻ ما خلق منه كل شيء، قلت: جعلت فداك وما هو؟ قال: الماء، قال: إن الله تبارك وتعالى خلق الماء بحرین: أحدهما عذب والآخر ملح فلما خلقهما نظر إلى العذب فقال: يا بحر فقال: لبيك وسعديك، قال: فيك برکتی ورحمتی، ومنك أخلق أهل طاعتي وجنتي. ثم نظر إلى الآخر فقال: يا بحر فلم يجب فأعاد عليه ثلاث مرات يا بحر فلم يجب! فقال: عليك لعنتي، ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكته ناري، ثم أمرهما أن يمتزجا فامتزجا، قال: فمن ثم يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن^(١).

٢٤ - ع: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن البنزطي، عن أبان بن عثمان، وأبي الربيع يرفعانه قال: إن الله ﷻ خلق ماء فجعله عذبا فجعل منه أهل طاعته، وخلق ماء أمراً فجعل منه أهل معصيته، ثم أمرهما فاختلفا ولولا ذلك ما ولد المؤمن إلا مؤمناً، ولا الكافر إلا كافراً^(٢).

٢٥ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن جعفر بن بشير، عن ابن أبي العلاء، عن حبيب قال: حدثني الثقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلة^(٣) قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف^(٤).

٢٦ - ع: بهذا الإسناد عن حبيب، عن رواء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما تقول في الأرواح إنها جنود مجتدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟ قال: فقلت: إنا نقول ذلك، قال: فإنه كذلك، إن الله ﷻ أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلة قبل الميلاد، وهو قوله ﷻ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية، قال: فمن أقر له يومئذ جاءت ألفته ههنا ومن أنكره يومئذ جاء خلافه ههنا^(٥).

بيان: جاءت ألفته أي ألفته مع أئمتته ومعرفته لهم، أو ألفة المؤمنين بعضهم ببعض من جهة اتفاقهم في المذهب؛ ويحتمل أن يكون التعارف معرفة الشيعة لأئمتهم، والاتلاف ألفة المؤمنين بعضهم ببعض لموافقتهم في المذهب.

٢٧ - ع: أبي، عن سعد، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة عن أبي

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٤ باب ٧٧ ح ٦ - ٧.

(٣) وقد كتب جمع من الرواة كتاب الأظلة كما في رجال النجاشي، منهم: عبد الرحمن بن كثير الهاشمي، وعلي بن أبي صالح محمد الحنط الكوفي، ومحمد بن سنان، ومنهم: علي بن حماد الأزدي، ومنهم: أحمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله الأشعري القمي الثقة الجليل. [مستدرک السفينة ج ٧ لغة «ظلل»].

(٤) - (٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٦ باب ٧٩ ح ١ و ٢.

عبد الله ﷺ قال: كنّا عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا: فيه حدة، فقال: من علامة المؤمن أن تكون فيه حدة، قال: فقلنا له: إنّ عامة أصحابنا فيهم حدة؛ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين - وأنتم هم - أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج فالحدة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال - وهم مخالفوهم - أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثمّ لهم سمت ولهم وقار^(١).

٢٨ - ما: الغضائري، عن عليّ بن محمّد العلوي، عن عبد الله بن محمّد، عن الحسين، عن أبي عبد الله بن أسباط، عن أحمد بن محمّد بن زياد العطار، عن محمّد بن مروان الغزال، عن عبيد بن يحيى، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، عن جدّه الحسن بن عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله ﷻ منها، وخلق شيعتنا منها، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا، وهي الميثاق الذي أخذ الله ﷻ على ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، قال عبيد: فذكرت لمحمّد بن الحسين هذا الحديث فقال: صدقك يحيى بن عبد الله، هكذا أخبرني أبي، عن جدي، عن أبيه، عن النبي ﷺ. قال عبيد: قلت: أشتبه أن تفسره لنا إن كان عندك تفسير قال: نعم أخبرني أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إنّ لله ملكاً رأسه تحت العرش، وقدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى، بين عينيه راحة أحدكم، فإذا أراد الله ﷻ أن يخلق خلقاً على ولاية عليّ ابن أبي طالب ﷺ أمر ذلك الملك فأخذ من تلك الطينة فرمى بها في النطفة حتّى تصير إلى الرحم منها يخلق وهي الميثاق^(٢).

٢٩ - ع: أبي، عن محمّد العطار، عن جعفر بن محمّد بن مالك، قال: حدّثنا أحمد ابن مدين من ولد مالك بن الحارث الأشتر، عن محمّد بن عمار، عن أبيه، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله ومعي رجل من أصحابنا فقلت له: جعلت فداك يا بن رسول الله إنّي لأغتم وأحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً؛ فقال أبو عبد الله ﷺ: إنّ ذلك الحزن والفرح يصل إليكم منّا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم، لأنّا وإياكم من نور الله ﷻ، فجعلنا وطنيتنا وطينتكم واحدة، ولو تركت طينتكم كما أخذت لكنّا وأنتم سواء، ولكن مزجت طينتكم بطينة أعدائكم، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً، قال: قلت: جعلت فداك فتعود طينتنا ونورنا كما بدا؟ فقال إي والله يا عبد الله أخبرني عن هذا الشعاع الزاجر من القرص إذا طلع، أهو متصل به أو بائن منه؟ فقلت له: جعلت فداك بل هو بائن منه، فقال: أفليس إذا غابت الشمس وسقط القرص عاد إليه فاتصل به كما بدا منه؟ فقلت له:

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٧ باب ٨٠ ح ١.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٦٥٦ مجلس ٣٤ ح ١٣٥٦.

نعم، فقال: كذلك والله شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنكم لملحقون بنا يوم القيامة، وإنا لنشفع فنشفع ووالله إنكم لتشفعون فتشفعون، وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله، وجنة عن يمينه، فيدخل أحباءه الجنة، وأعداءه النار^(١).

٣٠ - ع: الدقاق، عن محمد الأسدي، عن محمد بن إسماعيل رفعه إلى محمد بن سنان، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع من نور رسخ ذلك النور في طينة من أعلا عليين، وخلق قلوب شيعتنا مما خلق منه أبداننا، وخلق أبدانهم من طينة دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا منه، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُ الْقُرْآنُ ﴿٢١﴾﴾ وإن الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجين، وخلق أبدانهم من طينة من دون ذلك وخلق قلوب شيعتهم مما خلق منه أبدانهم فقلوبهم تهوي إليهم، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَلِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾^(٢).

٣١ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن أبي يحيى الواسطي رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تعالى خلقنا من عليين، وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من عليين، وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك كانت القرابة بيننا وبينهم، ومن ثم تحن قلوبهم إلينا^(٣).

٣٢ - ع: أبي، عن سعد، عن محمد بن عيسى، عن الحسن بن فضال، عن ابن بكير عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ قال: ثبتت المعرفة ونسوا الوقت وسيدكرونها يوماً، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه^(٤).

شيء عن زرارة مثله^(٥).

٣٣ - ع: ابن المتوكل، عن الحميري، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير، عن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثم قال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام أجمعين فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون. ثم قال لبني آدم:

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١١٦ باب ٨٤ ح ٢.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤١ باب ٩٦ ح ١٤.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٢ باب ٩٦ ح ١٥.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٣ باب ٩٧ ح ١ و ٢. (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٣ ح ١٢.

أَقْرُوا اللَّهَ بِالرَّبُوبِيَّةِ، وَلِهَؤُلَاءِ النَّفَرِ بِالطَّاعَةِ وَالْوَلَايَةِ فَقَالُوا: نَعَمْ رَبَّنَا أَقْرَرْنَا، فَقَالَ اللَّهُ جَلُّ جَلَالِهِ لِلْمَلَائِكَةِ: اشْهَدُوا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: شَهِدْنَا عَلَى أَنْ لَا يَقُولُوا غَدًا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ؛ يَا دَاوُدَ الْأَنْبِيَاءَ مُؤَكَّدَةً عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ^(١).

بيان: قوله ﷺ: هم المسؤولون أي يجب على الناس أن يسألوهم عن أمور دينهم أو فيه حذف وإيصال، أي يسأل الناس يوم القيامة عن حجتهم وولائيتهم.

٣٤ - ع: أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن ابن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة جميعاً عن أبي جعفر ﷺ قال: إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ الْخَلْقَ فَخَلَقَ مِنْ أَحَبِّ مِمَّا أَحَبَّ، وَكَانَ مَا أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ، وَخَلَقَ مِنْ أَبْغَضِ مِمَّا أَبْغَضَ وَكَانَ مَا أَبْغَضَ أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ طِينَةِ النَّارِ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ فِي الظَّلَالِ؛ فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ الظَّلَالُ؟ فَقَالَ: أَلَمْ تَرِ إِلَى ظِلِّكَ فِي الشَّمْسِ شَيْءٍ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ؟ ثُمَّ بَعَثَ مِنْهُمْ النَّبِيِّينَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾^(٢) ثُمَّ دَعَوْهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِالنَّبِيِّينَ فَأَنْكَرَ بَعْضُ وَأَقْرَأَ بَعْضُ، ثُمَّ دَعَوْهُمْ إِلَى وَلَايَتِنَا فَأَقْرَأَ بِهَا وَاللَّهُ مِنْ أَحَبِّ، وَأَنْكَرَهَا مِنْ أَبْغَضَ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾^(٣) ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﷺ كَانَ التَّكْذِيبُ ثُمَّ^(٤).

يرو: محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر؛ وعن عقبة عن أبي جعفر ﷺ مثله^(٥).
شيء: عن عبد الله الجعفي مثله^(٦).

توضيح: قوله ﷺ: فِي الظَّلَالِ أَيَّ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهِ لِلتَّجَرُّدِ أَيْضاً تَقْرِيباً إِلَى الْأَفْهَامِ، أَوْ عَالَمِ الْمَثَالِ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ قَبْلَ الْإِنْتِقَالِ إِلَى الْأَبْدَانِ.

قوله ﷺ: وَهُوَ قَوْلُهُ أَيَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ الْفُطْرِيَّةِ إِنَّمَا حَصَلَ مِنْ أَخْذِ تِلْكَ الْمِيثَاقِ.

٣٥ - ع: ابن الوليد، عن الصفار، عن اليقطيني، عن زياد القندي، عن عبد الله بن سنان قال: بَيْنَا نَحْنُ فِي الطَّوَافِ إِذْ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ آلِ عِمْرٍ فَأَخَذَ بِيَدِهِ رَجُلٌ فَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ فَانْتَهَرَهُ وَأَغْلَظَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ: بَطْلَ حَجَّكَ إِنَّ الَّذِي تَسْتَلِمُهُ حَجَرٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ فَقُلْتُ لِأَبِي

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٣ باب ٩٧ ح ١ و ٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٧. (٣) سورة يونس، الآية: ٧٤.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٤ باب ٩٧ ح ٣.

(٥) بصائر الدرجات، ص ٩١ ج ٢ باب ١٢ ح ١.

(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٥ ح ٣٧ من سورة يونس.

عبد الله ﷺ: جعلت فداك أما سمعت قول العمري لهذا الذي استلم الحجر فأصابه ما أصابه؟ فقال: وما الذي قال؟ قلت له: قال: يا عبد الله بطل حجك إنما هو حجر لا يضر ولا ينفع! فقال أبو عبد الله ﷺ: كذب، ثم كذب ثم كذب إن للحجر لساناً ذلقاً يوم القيامة، يشهد لمن وافاه بالموافاة، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق السماوات والأرض خلق بحرين: بحرأ عذباً، وبحراً أجاجاً، فخلق تربة آدم من البحر العذب، وشن عليها من البحر الأجاج، ثم جبل آدم فعرك عرك الأديم فتركه ما شاء الله فلما أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبحاً فقبض قبضة من كتفه الأيمن فخرجوا كالذر فقال: هؤلاء إلى الجنة؛ وقبض قبضة من كتفه الأيسر وقال: هؤلاء إلى النار؛ فأنطق الله ﷻ أصحاب اليمين وأصحاب اليسار، فقال أهل اليسار: يا رب لم خلقت لنا النار ولم تبين لنا ولم تبعث إلينا رسولاً؟ فقال الله ﷻ لهم: ذلك لعلمي بما أنتم صائرون إليه، وإني سأبتليكم، فأمر الله ﷻ النار فأسعرت، ثم قال لهم: تقحموا جميعاً في النار فإني أجعلها عليكم برداً وسلاماً، فقالوا: يا رب إنما سألناك لأي شيء جعلتها لنا هرباً منها، ولو أمرت أصحاب اليمين ما دخلوا؛ فأمر الله ﷻ النار فأسعرت ثم قال لأصحاب اليمين: تقحموا جميعاً في النار، فتقحموا جميعاً فكانت عليهم برداً وسلاماً فقال لهم: ألسن بربكم؟ قال أصحاب اليمين: بلى طوعاً، وقال أصحاب الشمال بلى كرهاً؛ فأخذ منهم جميعاً ميثاقهم، وأشهدهم على أنفسهم؛ قال: وكان الحجر في الجنة فأخرجه الله ﷻ فالتقم الميثاق من الخلق كلهم، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَمُونَ﴾ (١) فلما أسكن الله ﷻ آدم الجنة وعصى أهبط الله ﷻ الحجر وجعله في ركن بيته وأهبط آدم ﷺ على الصفا فمكث ما شاء الله، ثم رآه في البيت فعرفه وعرف ميثاقه وذكره فجاء إليه مسرعاً فأكب عليه وبكى عليه أربعين صباحاً تائباً من خطيئته، ونادماً على نقضه ميثاقه؛ قال: فمن أجل ذلك أمرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر: أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة (٢).

٣٦ - ع: ابن المتوكل، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن أبيه، عن عبد الله بن محمد الهمداني، عن إسحاق القمي قال: دخلت على أبي جعفر الباقر ﷺ فقلت له: جعلت فداك أخبرني عن المؤمن يزني؟ قال: لا، قلت: فيلوط؟ قال: لا، قلت: فيشرب المسكر؟ قال: لا، قلت: فيذنب، قال: نعم؛ قلت: جعلت فداك لا يزني ولا يلوط ولا يرتكب السيئات، فأَي شيء ذنبه؟

فقال: يا إسحاق قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ (٣)

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٣٠ باب ١٦١ ح ٦.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.

وقد يلمّ المؤمن بالشيء الذي ليس فيه مراد. قلت: جعلت فداك أخبرني عن الناصب لكم يظهر بشيء أبداً؟ قال: لا. قلت: جعلت فداك فقد أرى المؤمن الموحد الذي يقول بقولي ويدين الله بولايتكم وليس بيني وبينه خلاف يشرب المسكر، ويزني، ويلوط، وآتية في حاجة واحدة فأصيبه معبس الوجه، كامح اللّون، ثقيلاً في حاجتي، بطيئاً فيها؛ وقد أرى الناصب المخالف لما أنا عليه ويعرفني بذلك فآتية في حاجة فأصيبه طلق الوجه، حسن البشر، متسرّعاً في حاجتي، فرحاً بها، يحبّ قضاءها، كثير الصلاة، كثير الصوم، كثير الصدقة، يؤدّي الزكاة، ويستودع فيؤدّي الأمانة!.

قال: يا إسحاق ليس تدرون من أين أتيتم؟ قلت: لا والله، جعلت فداك إلا أن تخبرني، فقال: يا إسحاق إنّ الله ﷻ لما كان متفرّداً بالوحدانية ابتداء الأشياء لا من شيء، فأجرى الماء العذب على أرض طيبة طاهرة سبعة أيام مع لياليها، ثمّ نضب الماء عنها فقبض قبضة من صفاوة ذلك الطين، وهي طينتنا أهل البيت، ثمّ قبض قبضة من أسفل ذلك الطينة^(١)، وهي طينة شيعتنا، ثمّ اصطفانا لنفسه، فلو أنّ طينة شيعتنا تركت كما تركت طينتنا لما زنى أحد منهم، ولا سرق، ولا لاط، ولا شرب المسكر، ولا اكتسب شيئاً ممّا ذكرت، ولكنّ الله ﷻ أجرى الماء المالح على أرض ملعونة سبعة أيام ولياليها، ثمّ نضب الماء عنها؛ ثمّ قبض قبضة، وهي طينة ملعونة من حمأ مسنون، وهي طينة خبال، وهي طينة أعدائنا، فلو أنّ الله ﷻ ترك طينتهم كما أخذها لم تروهم في خلق آدميين، ولم يقرّوا بالشهادتين، ولم يصوموا، ولم يصلّوا، ولم يزكّوا، ولم يحجّوا البيت، ولم تروا أحداً منهم بحسن خلق، ولكنّ الله تبارك وتعالى جمع الطينتين طينتكم وطينتهم فخلطهما وعركهما عرك الأديم، ومزجهما بالمائتين فما رأيت من أخيك من شرّ لفظ أو زناً، أو شيء ممّا ذكرت من شرب مسكر أو غيره، فليس من جوهريته ولا من إيمانه، إنّما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت؛ وما رأيت من الناصب من حسن وجه وحسن خلق، أو صوم، أو صلاة أو حجّ بيت، أو صدقة، أو معروف فليس من جوهريته، إنّما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان اكتسبها وهو اكتساب مسحة الإيمان.

قلت: جعلت فداك فإذا كان يوم القيامة فمه؟ قال لي: يا إسحاق أجمع الله الخير والشرّ في موضع واحد؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله ﷻ مسحة الإيمان منهم فردّها إلى شيعتنا، ونزع مسحة الناصب بجميع ما اكتسبوا من السيئات فردّها على أعدائنا، وعاد كلّ شيء إلى عنصره الأول الذي منه ابتداء؛ أما رأيت الشمس إذا هي بدت ألا ترى لها شعاعاً زاجراً متصلاً بها أو بائناً منها؟ قلت: جعلت فداك الشمس إذا هي غربت بدا إليها الشعاع كما بدا منها، ولو كان بائناً منها لما بدا إليها.

(١) في المصدر: ذلك الطين.

قال: نعم يا إسحاق كل شيء يعود إلى جوهره الذي منه بدأ، قلت: جعلت فداك تؤخذ حسناتهم فترة إلينا؟ وتؤخذ سيئاتنا فترة إليهم؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو؛ قلت: جعلت فداك أجدها في كتاب الله ﷻ؟ قال: نعم يا إسحاق؛ قلت: في أي مكان؟ قال لي: يا إسحاق أما تتلو هذه الآية؟ ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١) فلم يبدل الله سيئاتهم حسنات إلا لكم والله يبدل لكم^(٢).

إيضاح: قال الجزري في حديث الإفك: وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله أي قاربت. وقيل: اللّم مقاربة المعصية من غير إيقاع فعل. وقيل: هو من اللّم: صغار الذنوب. قوله: يظهر بشيء على البناء للمفعول من أظهره بمعنى أعانه، أي هل يعان بشيء من الخير؟ ولعله كان (يظفر) أو (يطهر) بالطاء المهملة. وقوله ﷺ: أتيتم، أي هلكتم، وفي بعض النسخ «أوتيتم» أي أتاكم الذنب. قوله ﷺ: شعاعاً زاجراً أي شديداً يزجر البصر عن النظر. قوله: بدا إليها لعله ضمن معنى الانتهاء.

٣٧ - يروى عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن علي بن سعيد، عن إبراهيم بن إسحاق، عن الحسين بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن جده ﷺ قال: قال علي بن الحسين ﷺ: إن الله بعث جبرئيل إلى الجنة فأتاه بطينة من طينها، وبعث ملك الموت إلى الأرض فجاءه بطينة من طينها؛ فجمع الطينتين ثم قسمها نصفين، فجعلنا من خير القسمين، وجعل شيعتنا من طينتنا، فما كان من شيعتنا مما يرغب بهم عنه من الأعمال القبيحة فذاك مما خالطهم من الطينة الخبيثة ومصيرها إلى الجنة، وما كان في عدونا من برّ وصلاة وصوم ومن الأعمال الحسنة فذاك لما خالطهم من طينتنا الطيبة ومصيرهم إلى النار^(٣).

٣٨ - يروى عبد الله بن محمد، عن إبراهيم بن محمد، عن مسعود بن يوسف بن كليب، عن الحسن بن حماد، عن فضيل بن الزبير، عن أبي جعفر ﷺ قال: يا فضيل أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إنا أهل بيت خلقنا من عليين، وخلق قلوبنا من الذي خلقنا منه، وخلق شيعتنا من أسفل من ذلك، وخلق قلوب شيعتنا منه؛ وإن عدونا خلقوا من سجين، وخلق قلوبهم من الذي خلقوا منه، وخلق شيعتهم من أسفل من ذلك، وخلق قلوب شيعتهم من الذي خلقوا منه، فهل يستطيع أحد من أهل عليين أن يكون من أهل سجين؟ وهل يستطيع أهل سجين أن يكونوا من أهل عليين^(٤) ١٢.

٣٩ - يروى عنه، عن محمد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن علي بن الحسين ﷺ أنه قال: أخذ الله ميثاق شيعتنا معنا على

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠. (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٠٢ باب ٢٤٠ ح ١.

(٣) بصائر الدرجات، ج ١ باب ٩ ح ١٠. (٤) بصائر الدرجات، ج ١ باب ٩ ح ١٦.

ولا يتنا لا يزيدون ولا ينقصون إنّ الله خلقنا من طينة عليّين وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك وخلق عدونا من طينة سجّين، وخلق أولياءهم من طينة أسفل من ذلك^(١).

٤٠ - يروى أحمد بن محمد، عمّن رواه، عن أحمد بن عمرو الجبليّ، عن إبراهيم بن عمران، عن محمد بن سوقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلقنا من طينة عليّين، وخلق قلوبنا من طينة فوق عليّين، وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك، وخلق قلوبهم من طينة عليّين، فصارت قلوبهم تحنّ إلينا لأنّها منّا، وخلق عدونا من طينة سجّين، وخلق قلوبهم من طينة أسفل من سجّين، وإنّ الله رادّ كلّ طينة إلى معدنها فرادهم إلى عليّين، ورادهم إلى سجّين^(٢).

٤١ - يروى أحمد بن محمد، عن الحسن بن موسى، عن عليّ بن حسان، عن عبد الرحمن ابن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ إلى آخر الآية، قال: أخرج الله من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فعرفهم نفسه، ولولا ذلك لن يعرف أحد ربه ثمّ قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى، وإنّ هذا محمد رسول الله، وعليّ أمير المؤمنين خليفتي وأميني^(٣).

٤٢ - يروى بعض أصحابنا، عن محمد بن الحسين، عن عليّ بن أسباط، عن عليّ بن معمر، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ قال: يعني به محمداً عليه السلام حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذرّ الأوّل^(٤).

٤٣ - سنن: ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن بكير قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالإقرار له بالربوبية، ولمحمد بالنبوة، وعرض على محمد عليه السلام أمته في الظلّ وهم أظلة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرضهم عليه، وعرفهم رسول الله عليه السلام وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن نعرفهم في لحن القول^(٥).

ورواه عثمان بن عيسى، عن أبي الجراح، عن أبي الحسن عليه السلام وزاد فيه: وكلّ قلب يحنّ إلى بدنه^(٦).

شيء عن بكير مثله^(٧).

٤٤ - سنن: أبي، عن القاسم بن محمد، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي

(١) بصائر الدرجات، ج ١ ص ٣٦ باب ٩ ح ١٧.

(٢) بصائر الدرجات، ج ١ ص ٤١ باب ١١ ح ١٨.

(٣) بصائر الدرجات، ج ١ ص ٨٣ باب ٧ ح ٦. (٤) بصائر الدرجات، ج ١ ص ٩٤ باب ١٤ ح ٦.

(٥) - (٦) المحاسن، ص ١٣٥. (٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٤ ح ٧٤.

جعفر عليه السلام قال: لا تخاصموا الناس فإن الناس لو استطاعوا أن يحبونا لأحبونا، إن الله أخذ ميثاق النفس فلا يزيد فيهم أحد أبداً، ولا ينقص منهم أحد أبداً^(١).

٤٥ - سنن: محمد بن علي، عن إسماعيل بن يسار، عن عثمان بن يوسف، عن عبد الله بن كيسان قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أنا مولاك عبد الله بن كيسان فقال: أما النسب فأعرفه، وأما أنت فلست أعرفك؛ قال: قلت: ولدت بالجبل، ونشأت بأرض فارس وأنا أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأرى الرجل حسن السميت، وحسن الخلق والأمانة، ثم أفتشه فأفتشه عن عداوتكم. وأخالط الرجل وأرى فيه سوء الخلق، وقلة أمانة وزعارة ثم أفتشه فأفتشه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ فقال: أما علمت يا بن كيسان أن الله تبارك وتعالى أخذ طينة من الجنة، وطينة من النار فخلطهما جميعاً، ثم نزع هذه من هذه فما رأيت من أولئك من الأمانة وحسن السميت وحسن الخلق فمما مستهم من طينة الجنة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه، وما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة فمما مستهم من طينة النار، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه^(٢).

بيان: قوله عليه السلام: فلست أعرفك أي بالتشيع، والزعارة بالتشديد وقد يخفف شراسة الخلق.

٤٦ - سنن: أبي، عن عبد الله بن القاسم، عن حماد بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أرى الرجل من أصحابنا ممن يقول بقولنا خبيث اللسان، خبيث الخلطة، قليل الوفاء بالميعاد، فيغتمني غمّاً شديداً! وأرى الرجل من المخالفين علينا حسن السميت، حسن الهدى، وفتياً بالميعاد، فأغتم غمّاً! فقال: أوتدري لم ذاك؟ قلت: لا، قال: إن الله خلق^(٣) الطيبتين فعركهما - وقال بيده هكذا راحتيه جميعاً واحدة على الأخرى - ثم فلقهما فقال: هذه إلى الجنة، وهذه إلى النار ولا أبالي، فالذي رأيت من خبيث اللسان والبذاء وسوء الخلطة وقلة الوفاء بالميعاد من الرجل الذي هو من أصحابكم، يقول بقولكم فيما التطخ بهذه من الطينة الخبيثة وهو عائد إلى طينته؛ والذي رأيت من حسن الهدى وحسن السميت وحسن الخلطة والوفاء بالميعاد من الرجال من المخالفين فيما التطخ به من الطينة. فقلت: فرجت عني فرج الله عنك^(٤).

٤٧ - سنن: يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن جده، عن رجل من أصحابه يقال له: عمران أنه خرج في عمرة زمن الحجاج فقلت له: هل لقيت أبا جعفر عليه السلام قال: نعم، قلت: فما قال لك؟ قال: قال لي: يا عمران ما خبر الناس؟ فقلت: تركت الحجاج يشتم أباك على المنبر - أعني علي بن أبي طالب صلوات الله عليه - فقال: أعداء الله يبدون

(١) المحاسن، ص ١٣٦. وفيه: ميثاق الناس.

(٢) المحاسن، ص ١٣٦.

(٣) المحاسن، ص ١٣٥-١٣٨.

(٤) في المصدر: خلط.

سبنا! أما إنهم لو استطاعوا أن يكونوا من شيعتنا لكانوا، ولكنهم لا يستطيعون؛ إن الله أخذ ميثاقنا وميثاق شيعتنا ونحن وهم أظلة، فلو جهد الناس أن يزيدوا فيه رجلاً أو ينقصوا منه رجلاً ما قدروا على ذلك^(١).

بيان: يدهون بالباء أي يأتون به بديهة وفجأة بلا روية، وفي بعض النسخ بالنون، يقال: ندهت الإبل أي سقتها مجتمعة، والندهة بالضم والفتح: الكثرة من المال.

٤٨ - سنن: علي بن الحكم، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف اثنان. فقال: إن الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي. وقال: كن ماءً ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم امرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً والكافر مؤمناً، ثم أخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا هم في الذر يدبّون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب النار: إلى النار ولا أبالي، ثم أمر ناراً فأسعرت فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها، فهابوها وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها، فدخلوها: فقال كوني براً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً؛ فقال أصحاب الشمال: يا رب أقلنا، فقال: قد أقلتكم فادخلوها، فذهبوا فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء^(٢).

بيان: قوله عليه السلام: لما اختلف اثنان أي في مسألة القضاء والقدر، أو لما تنازع اثنان في أمر الدين.

٤٩ - سنن: عبد الله بن محمد النهيك، عن حسان، عن أبيه، عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: كان في بدء خلق الله أن خلق أرضاً وطينةً وفجر منها ماءها، وأجرى ذلك الماء على الأرض سبعة أيام ولياليها، ثم نضب الماء عنها، ثم أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة الأئمة، ثم أخذ قبضة أخرى من أسفل تلك الطينة وهي طينة ذرية الأئمة وشيعتهم، فلو تركت طينتكم كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن شيئاً واحداً، قلت: فما صنع بطينتنا؟ قال: إن الله عز وجل خلق أرضاً سبخة، ثم أجرى عليها ماءً أجاجاً، أجراها سبعة أيام ولياليها، ثم نضب عنها الماء، ثم أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة أئمة الكفر فلو تركت طينة عدونا كما أخذها لم يشهدوا الشهادتين: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولم يكونوا يحجّون البيت، ولا يعتمرون، ولا يؤتون الزكاة، ولا يصدقون، ولا يعملون شيئاً من أعمال البر. ثم قال: أخذ الله طينة شيعتنا وطينة عدونا فخلطهما وعركهما عرك الأديم، ثم مزجهما بالماء، ثم جذب هذه من هذه، وقال: هذه في الجنة ولا أبالي،

(١) المحاسن، ص ١٣٥-١٣٨.

(٢) المحاسن، ص ٢٨٢-٢٨٣.

وهذه في النار ولا أبالي، فما رأيت في المؤمن من زعارة وسوء الخلق واكتساب سيئات فمن تلك السبغة التي مازجته من الناصب، وما رأيت من حسن خلق الناصب وطلاقة وجهه وحسن بشره وصومه وصلاته فمن تلك السبغة التي أصابته من المؤمن^(١).

٥٠ - نهج: من كلام له روى اليمامي، عن أحمد بن قتيبة، عن عبد الله بن يزيد، عن مالك بن دحية قال: كنا عند أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس: إنما فرق بينهم مبادي طينتهم، وذلك أنهم كانوا فلقه من سبخ أرض وعذبها، وحزن تربة وسهلها، فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون، فتأم الرواء ناقص العقل، وماد القامة قصير الهمة، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السبر، ومعروف الضريبة منكر الجلية، وتائه القلب متفرق اللب، وطليق اللسان حديد الجنان^(٢).

بيان: قوله عليه السلام: إنما فرق بينهم قال ابن ميثم: أي تقاربهم في الصور والأخلاق تابع لتقارب طينتهم وتقارب مباديه وهي السهل والحزن، والسبخ والعذب؛ وتفاوتهم فيها لتفاوت طينتهم ومباديه المذكورة. وقال أهل التأويل: الإضافة بمعنى اللام أي المبادي لطينتهم، كناية عن الأجزاء العنصرية التي هي مبادي المركبات ذوات الأمزجة، والسبخ كناية عن الحار اليابس، والعذب عن الحار الرطب، والسهل عن البارد الرطب والحزن عن البارد اليابس. والفلق: القطعة والشق من الشيء، والرواء: المنظر الحسن، وقريب القعر أي قصير. بعيد السبر أي داهية يبعد اختبار باطنه يقال: سبرت الرجل أسبره أي اختبرت باطنه وغوره. والضريبة الخلق والطبيعة. والجلية: ما يجلبه الإنسان ويتكلفه أي خلقه حسن يتكلف فعل القبيح، وحمله ابن ميثم على العكس، وقال: متفرق اللب أي يتبع كل ناعق. ثم قال: الخمسة الأول ظاهرهم مخالف لباطنهم، والأخيرتان ليستا على تلك الوتيرة، ذكرتا لتتميم الأقسام.

٥١ - شيء: عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرايت حين أخذ الله الميثاق على الذر في صلب آدم فعرضهم على نفسه كانت معاينة منهم له؟ قال: نعم يا زرارة وهم ذر بين يديه، وأخذ عليهم بذلك الميثاق بالربوبية له، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ثم كفل لهم بالأرزاق، وأنسأهم رؤيته، وأثبت في قلوبهم معرفته، فلا بدّ من أن يخرج الله إلى الدنيا كل من أخذ عليه الميثاق، فمن جحد ما أخذ عليه الميثاق لمحمد صلى الله عليه وآله لم ينفعه إقراره لربه بالميثاق، ومن لم يجحد ميثاق محمد نفعه الميثاق لربه^(٣).

٥٢ - شيء: عن عمار بن أبي الأحوص، عن أبي عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى خلق في مبتدأ الخلق بحرين: أحدهما عذب فرات، والآخر ملع أجاج، ثم خلق تربة آدم من

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٧٨ خطبة رقم ٢٣١.

(١) المحاسن، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٤ ح ٧٥.

البحر العذب الفرات ثم أجراه على البحر الأجاج فجعله حمأ مسنوناً وهو خلق آدم، ثم قبض قبضة من كتف آدم الأيمن فذراها في صلب آدم، فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، ثم قبض قبضة من كتف آدم الأيسر فذراها في صلب آدم، فقال: هؤلاء في النار ولا أبالي ولا أسأل عما أفعل، ولي في هؤلاء البدء بعد، وفي هؤلاء وهؤلاء سيبتلون؛ قال أبو عبد الله عليه السلام: فاحتج يومئذ أصحاب الشمال وهم ذر على خالقهم فقالوا: يا ربنا بم أوجبت لنا النار - وأنت الحكم العدل - من قبل أن تحتج علينا، وتبلونا بالرسل، وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا؟ فقال الله تبارك وتعالى: فأنا أخبركم بالحجة عليكم الآن في الطاعة والمعصية، والإعذار بعد الإخبار. قال أبو عبد الله عليه السلام: فأوحى الله إلى مالك خازن النار: أن مر النار تشهق، ثم تخرج عنقاً منها فخرجت لهم، ثم قال الله لهم: ادخلوها طائعين، فقالوا: لا ندخلها طائعين! ثم قال: ادخلوها طائعين، أو لأعذبنكم بها كارهين، قالوا: إنا هربنا إليك منها، وحاججناك فيها حيث أوجبتها علينا، وصيرتنا من أصحاب الشمال، فكيف ندخلها طائعين؟ ولكن أبدأ أصحاب اليمين في دخولها، كي تكون قد عدلت فينا وفيهم؛ قال أبو عبد الله عليه السلام: فأمر أصحاب اليمين وهم ذر بين يديه فقال: ادخلوا هذه النار طائعين قال: فطفقوا يتبادرون في دخولها فولجوا فيها جميعاً فصيرها الله عليهم برداً وسلاماً، ثم أخرجهم منها. ثم إن الله تبارك وتعالى نادى في أصحاب اليمين وأصحاب الشمال: ألسن بربكم؟ فقال أصحاب اليمين: بلى يا ربنا نحن بربتك وخلقك مقرين طائعين، وقال أصحاب الشمال: بلى يا ربنا نحن بربتك وخلقك كارهين! وذلك قول الله: ﴿وَلَهُمْ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ^(١) قال: توحيدهم لله ^(٢).

٥٣ - شيء؛ عن عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابه، عنه قال: إن الله قال لماء: كن عذاباً فراتاً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي؛ وقال لماء: كن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، فأجرى المائين على الطين، ثم قبض قبضة بهذه - وهي يمين - فخلقهم خلقاً كالذر، ثم أشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم وعليكم طاعتي؟ قالوا: بلى، فقال للنار: كوني ناراً، فإذا نار تأجج، وقال لهم قعوا فيها، فمنهم من أسرع، ومنه من أبطأ في السعي، ومنهم من لم يرم مجلسه، فلما وجدوا حرها رجعوا فلم يدخلها منهم أحد، ثم قبض قبضة بهذه فخلقهم خلقاً مثل الذر، مثل أولئك، ثم أشهدهم على أنفسهم مثل ما أشهد الآخرين، ثم قال لهم: قعوا في هذه النار، فمنهم من أبطأ، ومنهم من أسرع، ومنهم من مرّ بطرف العين، فوقعوا فيها كلهم، فقال: اخرجوا منها سالمين، فخرجوا لم يصبهم شيء؛ وقال الآخرون: يا ربنا أقلنا نفعل كما فعلوا، قال: قد أقلتكم، فمنهم من أسرع في السعي، ومنهم من أبطأ، ومنهم من لم يرم مجلسه، مثل ما صنعوا في المرة الأولى؛ فذلك قوله:

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠٥ ح ٧٨.

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١).

بيان: يقال: رام يريم: إذا برح وزال من مكانه، وأكثر ما يستعمل في النفي.

٥٤ - شيء: خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، إنهم ملعونون في الأصل^(٢).

٥٥ - شيء: عن زرارة وحمزان ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَنَقَلْنَا آفَئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَ لَهُمْ﴾ إلى آخر الآية: أما قوله: ﴿كَفَّارًا يُؤْمِنُونَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإنه حين أخذ عليهم الميثاق^(٣).

٥٦ - شيء: عن رفاعه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: نعم أخذ الله الحجة على جميع خلقه يوم الميثاق هكذا - وقبض يده^(٤).

٥٧ - شيء: عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذر؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه - يعني في الميثاق^(٥).

بيان: أي تعلقت الأرواح بتلك الذر وجعل فيهم العقل وآلة السمع وآلة النطق حتى فهموا الخطاب وأجابوا وهم ذر.

٥٨ - شيء: عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ إلى ﴿قَالُوا بَلَى﴾ قال: كان محمد عليه وآله السلام أول من قال: بلى؛ قلت: كانت رؤية معاينة؟ قال: ثبتت المعرفة في قلوبهم وأنسوا ذلك الميثاق وسيدكرونه بعد، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من يرزقه^(٦).

٥٩ - شيء: عن زرارة أن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فقال - وأبوه يسمع - : حدثني أبي أن الله تعالى قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم، فصب عليها الماء العذب الفرات، فتركها أربعين صباحاً، ثم صب عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها تبارك وتعالى فعرکها عركاً شديداً، ثم هكذا - حكى بسط كفيه - فخرجوا كالذر من يمينه وشماله فأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار، فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها^(٧).

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٩ ح ١٩.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٠ ح ١٠٣.

(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٢ ح ١٠٨.

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٨٨ ح ١٨.

(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٠٣ ح ٨٠.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٠ ح ١٠٤.

(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٣ ح ١٠٩.

بيان: قوله عليه السلام: من يمينه وشماله أي من يمين الملك المأمور بهذا الأمر وشماله، أو من يمين العرش وشماله، أو استعار اليمين للجهة التي فيها اليمن والبركة وكذا الشمال بعكس ذلك.

٦٠ - شيء: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾**: قلت: قالوا بالستهم؟ قال: نعم وقالوا بقلوبهم؛ فقلت: وأي شيء كانوا يومئذ؟ قال: صنع منهم ما اكتفى به ^(١).

٦١ - شيء: عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾** إلى **﴿أَنفُسَهُمْ﴾** قال: أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذر، فعرفهم نفسه، وأراهم نفسه، ولولا ذلك ما عرف أحد ربه، وذلك قوله: **﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾** ^(٢).

٦٢ - شيء: عن الأصمغ بن نباتة، عن علي عليه السلام قال: أتاه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك وتعالى هل كلم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال علي: قد كلم الله جميع خلقه برهم وفاجرهم وردوا عليه الجواب. فنقل ذلك على ابن الكواء ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أوما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبية: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾**؟ فقد أسمعتكم ^(٣) كلامه، وردوا عليه الجواب كما تسمع في قول الله - يا ابن الكواء - **﴿قَالُوا بَلَى﴾** فقال لهم: إني أنا الله لا إله إلا أنا، وأنا الرحمن، فأقروا له بالطاعة والربوبية، وميز الرسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم، فأقروا بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ^(٤).

٦٣ - قال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن الذرّ وحيث أشهدهم على أنفسهم ألسنت برربكم؟ قالوا: بلى، وأسرّ بعضهم خلاف ما أظهر، قلت: كيف علموا القول حيث قيل لهم: ألسنت برربكم؟ قال: إن الله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه ^(٥).

٦٤ - شيء: عن زرارة وحمزان، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالوا: إن الله خلق الخلق وهي أظلة، فأرسل رسوله محمداً عليه السلام فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه، ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن به في الأظلة وجحدته من جحد به يومئذ، فقال: ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ^(٦).

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٣ ح ١١٠-١١١.

(٣) الصواب: أسمعتهم، كما في المصدر.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٤ ح ١١٦ و ١١٧.

(٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٤ ح ٣٥.

٦٥ - شيء؛ عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ إلى ﴿يَا كَذَّبُوا بِمَا مِنْ قَبْلُ﴾ قال: بعث الله الرسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرجال، وأرحام النساء، فمن صدق حيثنذ صدق بعد ذلك، ومن كذب حيثنذ كذب بعد ذلك ^(١).

٦٦ - شيء؛ عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظلل من الملائكة على آدم وهو بوادٍ يقال له: الروحاء وهو وادٍ بين الطائف ومكة، قال: فمسح على ظهر آدم ثم صرخ بذريته وهم ذر، قال: فخرجوا كما يخرج النحل من كورها. فاجتمعوا على شفير الوادي فقال الله لآدم: انظر ماذا ترى فقال آدم: أرى ذراً كثيراً على شفير الوادي، فقال الله: يا آدم هؤلاء ذريتك، أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبية، ولمحمد بالنبوة، كما أخذه عليهم في السماء؛ قال آدم: يا رب وكيف وسعتهم ظهري؟ قال الله: يا آدم بلطف صنيعي ونافذ قدرتي؛ قال آدم: يا رب فما تريد منهم في الميثاق؟ قال الله: أن لا يشركوا بي شيئاً، قال آدم: فمن أطاعك منهم يا رب فما جزاؤه؟ قال: أسكنه جنتي؛ قال آدم: فمن عصاك فما جزاؤه؟ قال: أسكنه ناري، قال آدم: يا رب لقد عدلت فيهم، وليعصيتك أكثرهم إن لم تعصمهم ^(٢).

بيان: هبط إلى الأرض أي هبط ونزل أمره ووحيه مع طوائف كثيرة من الملائكة شبههم بالظلل في وفورهم وكثرتهم وتراكمهم، والظلل جمع الظلة وهي ما أظلك من سحب ونحوه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْفُجَارِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ ^(٣) والمسح: كناية عن شمول اللطف والرحمة.

٦٧ - كشف؛ من كتاب دلائل الحميري، عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي محمد عليه السلام فسأله محمد بن صالح الأرمني عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ قال أبو محمد عليه السلام ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ولا من رازقه؛ قال أبو هاشم: فجعلت أتعجب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه وجزيل ما حمّله، فأقبل أبو محمد عليّ فقال: الأمر أعجب ممّا عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم! ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله، ومن أنكرهم أنكر الله؟ فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدق وبمعرفتهم موقن ^(٤).

بيان: اعلم أن أخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار ^(٥)، ومعضلات الآثار، ولأصحابنا رضي الله عنهم فيها مسالك.

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣٤ ح ٣٦. (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٠. (٤) كشف الغمة، ج ٣ ص ٢١٥.

(٥) نقل العلامة المجلسي قدس سره في هذا الباب سبعة وستين خبراً، والروايات المربوطة بعالم الدر والميثاق كثيرة متواترة فوق حد التواتر لا ينكرها إلا جاهل، والروايات الواردة في بيان عالم الدر =

منها ما ذهب إليه الأخباريون، وهو أنا نؤمن بها مجملًا، ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها، وعن أنها من أي جهة صدرت، ونردّ علمه إلى الأئمة عليهم السلام.

ومنها أنها محمولة على التقيّة لموافقتها لروايات العامة ولما ذهبت إليه الأشاعرة وهم جلّهم، ولمخالفتها ظاهراً لما مرّ من أخبار الاختيار والاستطاعة.

ومنها أنها كناية عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون، فإنّه تعالى لما خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنّه خلقهم من طينات مختلفة، ومنها أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابليّاتهم، وهذا أمر يتّين لا يمكن إنكاره، فإنّه لا شبهة في أنّ النبي صلى الله عليه وآله وأبا جهل ليسا في درجة واحدة من الاستعداد والقابليّة، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف فإنّ الله تعالى كلّف النبي صلى الله عليه وآله حسب ما أعطاه من الاستعداد لتحصيل الكمالات، وكلّف أبا جهل حسب ما أعطاه من ذلك ولم يكلفه ما ليس في وسعه، ولم يجبره على شيء من الشرّ والفساد.

ومنها أنّه لما كلّف الله تعالى الأرواح أولاً في الذرّ وأخذ ميثاقهم فاختراروا الخير والشرّ باختيارهم في ذلك الوقت، وتفرّع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دلّ عليه بعض الأخبار السابقة فلا فساد في ذلك.

ولا يخفى ما فيه وفي كثير من الوجوه السابقة، وترك الخوض في أمثال تلك المسائل الغامضة التي تعجز عقولنا عن الإحاطة بكنهها أولى، لا سيّما في تلك المسألة التي نهى أثمتنا عن الخوض فيها، ولنذكر بعض ما ذكره في ذلك علماؤنا رضوان الله عليهم ومخالفيهم.

فمنها ما ذكره الشيخ المفيد قدس الله روحه في جواب المسائل السروية حيث سئل: ما

والميثاق من طريق العامة في كتاب التاج، كتاب التفسير في سورة الأعراف في ذيل الآية؛ وكتاب الغدير ج ٦ ص ١٠٣؛ ومناقب ابن المغازلي ص ٢٧١؛ واحقاق الحق ج ٣ ص ٣٠٧. قال المصنّف (يعني القاضي نور الله في احقاقه ج ٣ ص ٣٠٧) الثالثة والثلاثون قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ الآية. روى الجمهور قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو يعلم الناس متى سمي عليّ أمير المؤمنين ما أنكروا فضله. سمي أمير المؤمنين عليه السلام وآدم بين الروح والجسد، قال عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالت الملائكة: بلى، فقال الله تعالى: أنا ربكم ومحمّد نبيكم وعليّ أميركم؛ انتهى. قال العلامة المرعشي دام ظلّه في ذيله: روى الحديث بعض أعلام القوم ونحن نشير إلى بعض: منهم صاحب الفردوس في الباب الرابع عشر (على ما في اللوامع ج ٩ ص ٢٧٢ ط الهند) أنّ حذيفة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لو علم الناس وساقه مثله إلى قوله والجسد. وعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله متى وجبت؟ قال: قبل أن يخلق الله آدم ونفخ الروح فيه؛ الخ. وفيه ج ٤ ص ٢٧٥ و٢٧٦ ذكر أربع روايات بهذا المفاد وفي ثلاثة منها بعد قوله تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قال تعالى: أنا ربكم الأعلى ومحمّد نبيكم وعليّ وليكم وأميركم. [مستدرک السفينة ج ١٠ لغة وثق].

قوله - أدام الله تأييده - في معنى الأخبار المروية عن الأئمة الهادية عليهم السلام في الأشباح وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام، وإخراج الذرية من صلبه على صور الذر، ومعنى قول رسول الله ﷺ : الأرواح جنود مجتدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟.

الجواب : - وبالله التوفيق - أن الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها، وتتباين معانيها، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنفوا فيها كتباً لغوا فيها، وهزئوا فيما أثبتوه منه في معانيها، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحق وتخروصوا الباطل بإضافتها إليهم، من جملتها كتاب سَمَوَه كتاب (الأشباح والأظلة) نسبوه في تأليفه إلى محمد ابن سنان، ولسنا نعلم صحة ما ذكروه في هذا الباب عنه وإن كان صحيحاً فإن ابن سنان قد طعن عليه وهو متهم بالغلو، فإن صدقوا في إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لضال عن الحق، وإن كذبوا فقد تحمّلوا أوزار ذلك، والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقات بأن آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه أنها أشباح رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة صلوات الله عليهم؛ وأعلمه أنه لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماءاً ولا أرضاً. والوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك إجلالاً لهم، ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة، ولا أرواحاً ناطقة لكنها كانت على مثل صورهم في البشرية، يدل على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة، والنور الذي جعله عليهم يدل على نور الدين بهم وضياء الحق بحججهم؛ وقد روي أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله ﷻ وناجاه بقبول توبته سأل به بحقهم عليه ومحلهم عنده فأجابته، وهذا غير منكر في العقول، ولا مضاد للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون الثقات المأمونون، وسلم لروايته طائفة الحق، ولا طريق إلى إنكاره، والله ولي التوفيق.

فصل : ومثل ما بشر الله به آدم عليه السلام من تأهيله نبيه ﷺ لما أهله له، وتأهيل أمير المؤمنين والحسين عليهم السلام لما أهله لهم، وفرض عليه تعظيمهم وإجلالهم كما بشر به في الكتب الأولى من بعثه لنبينا ﷺ فقال في محكم كتابه : ﴿الَّذِينَ الْأَيْمَنَ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ بَرَأَ إِلَهُكَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ^(١) وقوله تعالى مخبراً عن

المسيح ﷺ : ﴿وَبَشِّرِ رَسُولِي بِأَنِّي بَعْدِي آتَمُّ أَحَدٌ﴾ (١) وقوله سبحانه : ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْنَّبِيِّينَ لَمَّا أَسْبَحْتُمْ مِنْ صُكَّتٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (٢) يعني رسول الله ﷺ ، فحصلت البشائر به من الأنبياء وأممهم قبل إخراجهم إلى العالم بالوجود، وإنما أراد جلّ اسمه بذلك إجلاله وإعظامه، وأن يأخذ العهد له على الأنبياء والأمم كلها، فلذلك أظهر لآدم ﷺ صورة شخصه، وأشخاص أهل بيته ﷺ ، وأثبت أسماءهم له ليخبره بعاقبتهم، ويبين له عن محلهم عنده ومنزلتهم لديه، ولم يكونوا في تلك الحال أحياء ناطقين، ولا أرواحاً مكلفين، وإنما كانت أشباحهم دالة عليهم حسب ما ذكرناه.

فصل : وقد بشر الله ﷻ بالنبي والأئمة ﷺ في الكتب الأولى، فقال في بعض كتبه التي أنزلها على أنبيائه ﷺ ، وأهل الكتب يقرؤونه، واليهود يعرفونه : إنه ناجى إبراهيم الخليل ﷺ في مناجاته : إني قد عظمتك وباركت عليك وعلى إسماعيل ، وجعلت منه اثني عشر عظيماً ، وكثرتهم جداً جداً ، وجعلت منهم شعباً عظيماً لأمة عظيمة ؛ وأشباه ذلك كثير في كتب الله تعالى الأولى.

فصل : فأما الحديث في إخراج الذرية من صلب آدم ﷺ على صورة الذر فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه ؛ والصحيح أنه أخرج الذرية من ظهره كالذر فملا بهم الأفق ، وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة ، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ، وعلى بعضهم نوراً وظلمة ؛ فلما رآهم آدم ﷺ عجب من كثرتهم وما عليهم من النور والظلمة ، فقال : يا رب ما هؤلاء ؟ قال الله ﷻ له : هؤلاء ذريتك - يريد تعريفه كثرتهم ، وامتلاء الآفاق بهم ، وأن نسله يكون في الكثرة كالذر الذي رآه ليعرفه قدرته ، ويبشره بإفضال نسله وكثرتهم - فقال ﷻ : يا رب ما لي أرى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه ؟ وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ؟ وعلى بعضهم ظلمة ونوراً ؟ فقال تبارك وتعالى : أما الذين عليهم النور منهم بلا ظلمة فهم أصفائي من ولدك الذي يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري فأولئك سكان الجنة ، وأما الذين عليهم ظلمة ولا يشوبها نور فهم الكفار من ولدك الذين يعصوني ولا يطيعوني ، فأما الذين عليهم نور وظلمة فأولئك الذين يطيعوني من ولدك ويعصوني فيخلطون أعمالهم السيئة بأعمال حسنة ، فهؤلاء أمرهم إلي ، إن شئت عذبتهم فبعدلي وإن شئت عفوت عنهم فبفضلي ، فأنبأه الله تعالى بما يكون من ولده ، وشبههم بالذر الذي أخرجهم من ظهره ، وجعله علامة على كثرة ولده . ويحتمل أن يكون ما أخرجهم من ظهره وجعل أجسام ذريته دون أرواحهم ، وإنما فعل الله تعالى ذلك ليدل آدم ﷺ على العاقبة منه ، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعته ، وأعلمه بالكائن قبل كونه ، وليزداد آدم ﷺ يقيناً بربه ، ويدعوه

(١) سورة الصف، الآية : ٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٨.

ذلك إلى التوفر على طاعته، والتمسك بأوامره، والاجتناب لزواجه. فأما الأخبار التي جاءت بأن ذرية آدم ﷺ استنطقوا في الذر فنطقوا فأخذ عليهم العهد فأقروا فهي من أخبار التناسخية، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحق بالباطل، والمعتمد من إخراج الذرية ما ذكرناه دون ما عدها مما استمر القول به على الأدلة العقلية والحجج السمعية، وإنما هو تخطيط لا يثبت به أثر على ما وصفناه.

فصل : فإن تعلق متعلق بقوله تبارك اسمه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فظن ظاهر هذا القول تحقق ما رواه أهل التناسخ والحشوية والعامّة في إنطاق الذرية وخطابهم وأنهم كانوا أحياءاً ناطقين. فالجواب عنه أن لهذه الآية من المجاز في اللغة كظواهرها مما هو مجاز واستعارة والمعنى فيها أن الله تبارك وتعالى أخذ من كل مكلف يخرج من ظهر آدم وظهور ذريته العهد عليه بربوبيته، من حيث أكمل عقله، ودله بآثار الصنعة على حدثه، وأن له محدثاً أحدثه لا يشبهه يستحق العبادة منه بنعمه عليه، فذلك هو أخذ العهد منهم، وآثار الصنعة فيهم، والاشهاد لهم على أنفسهم بأن الله تعالى ربهم، وقوله تعالى : ﴿قَالُوا بَلَى﴾ يريد به أنهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم، ودلائل حدثهم اللازمة لهم، وحجة العقل عليهم في إثبات صانعهم، فكأنه سبحانه لما ألزمهم الحجة بعقولهم على حدثهم ووجود محدثهم قال لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ؟ فلما لم يقدروا على الامتناع من لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كقائلين : ﴿بَلَى شَهِدْنَا﴾ وقوله تعالى : ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٧) أو نقولوا إنما أشركنا آبائنا من قبل وكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٨) ألا ترى أنه احتج عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة أن يتأولوا في إنكاره ولا يستطيعون، وقد قال سبحانه : ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ (١) ولم يرد أن المذكور يسجد كسجود البشر في الصلاة، وإنما أراد به غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع لله وهو معبر عنه بالساجد، قال الشاعر :

بجمع تظل البلق في حجراته ترى الأكم فيها سجداً للحوافر

يريد أن الحوافر تذل الأكم بوطنها عليها.

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٢) وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام؛ ولا السماء قالت قولاً مسموعاً، وإنما أراد أنه عمد إلى السماء فخلقها ولم يتعذر عليه صنعها، فكأنه لما خلقها قال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، فلما تعلقت بقدرته كانتا كالقائل : أتينَا طائعين وكمثل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ

(١) سورة الحج، الآية : ١٨.

(٢) سورة فصلت، الآية : ١١.

نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ^(١) والله تعالى يجلّ عن خطاب النار وهي ممّا لا يعقل ولا يتكلّم، وإنّما الخبر عن سعتها وأنّها لا تضيق بمن يحلّها من المعاقبين، وذلك كلّه على مذهب أهل اللّغة وعاداتهم في المجاز، ألا ترى إلى قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة وأسبلنا كالدرّ ما لم يشقّب
والعينان لم تقولا قولاً مسموعاً، ولكنّه أراد منهما البكاء، فكانت كما أراد من غير تعذّر عليه. ومثله قول عترة:

فازور من وقع القنا بلبانه وشكى إليّ بعبرة وتحمّم
والفرس لا يشتكي قولاً، لكنّه ظهر منه علامة الخوف والجزع، فسّمى ذلك قولاً. ومنه قول الآخر: وشكى إليّ جملي طول السرى.

والجمل لا يتكلّم، لكنّه لما ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبّر عن هذه العلامة بالشكوى التي تكون كالنطق والكلام، ومنه قولهم أيضاً:

امتلاً الحوض وقال قطني حسبك منّي قد ملأت بطني
والحوض لم يقل قطني، لكنّه لما امتلأ بالماء عبّر عنه بأنّه قال: حسبني، ولذلك أمثال كثيرة في منشور كلام العرب ومنظومه، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية والله تعالى نسأل التوفيق.

فصل: فأما الخبر أنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بالفي عام فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامة كما روته الخاصّة، وليس هو مع ذلك ممّا يقطع على الله بصحته، وإنّما نقله رواه لحسن الظنّ به، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أنّ الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واختراع الأجساد واختراع لها الأرواح فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم كما قدّمناه، وليس بخلق لذواتها كما وصفناه، والخلق لها بالإحداث والاختراع بعد خلق الأجسام، والصور التي تدبّرها الأرواح، ولولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها، ولا تحتاج إلى آلات يعتملها، ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، وهذا محال لا خفاء بفساده.

وأما الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فالمعنى فيه أنّ الأرواح التي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس وتتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتّفاق الرأي والهوى ائتلف، وما تناكر منها بمباينة في الرأي والهوى اختلف، وهذا موجود حسّاً ومشاهد، وليس المراد بذلك أنّ ما تعارف منها في الذرّ ائتلف - كما يذهب إليه الحشويّة - كما بيّناه من أنّه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا

العالم، ولو ذكر بكل شيء ما ذكر ذلك، فوضح بما ذكرناه أن المراد بالخبر ما شرحناه، والله الموفق للصواب انتهى.

أقول: طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأة على الله وعلى أئمة الدين، ولو تأملت فيما يدعوههم إلى ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أن بأمثالها لا يمكن الاجترار على طرح خبر واحد، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها، وسيأتي الأخبار الدالة على تقدم خلق الأرواح على الأجساد في كتاب السماء والعالم، وستكلم عليها.

ومنها: ما ذكره السيد المرتضى رحمته الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية حيث قال: وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية: أن الله سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته - وهم في خلق الذر - فقرّرهم بمعرفته، وأشهدهم على أنفسهم، وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل: «من آدم» وقال: «من ﴿ظُهُورِهِمْ﴾» ولم يقل: «من ظهوره»^(١) وقال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾» ولم يقل: ﴿ذُرِّيَّتِي﴾» ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلاثا يقولوا يوم القيامة أنهم كانوا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنهم نشؤوا على دينهم وستتهم، وهذا يقتضي أن الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه، وأنها إنما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية بني آدم، فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم؛ فأما شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام وخطبت وقرّرت من أن تكون كاملة العقول، مستوفية بشروط التكلف، أو لا تكون كذلك، فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرّروا به واستشهدوا عليه، لأن العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وإن بعد العهد وطال الزمان، ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر أحواله. وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير لأنه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم؛ لأن سائر ما عدّناه ممّا ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب، وليس لهم أن يقولوا: إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرنا، وذلك أننا إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادّعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقل، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه، على أن تجويز النسيان عليهم

(١) ولم يقل من ظهره [النمازي].

ينقض الغرض في الآية، وذلك أن الله تعالى أخبر بأنه إنما قرّره وأشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك، وسقوط الحجة عنهم فيه، فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجة عنهم وزواله.

وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم، وصار ذلك عبثاً قبيحاً يتعالى الله عنه.

فإن قيل: قد أبطلتم تأويل مخالفكم فما تأويلها الصحيح عندكم؟

قلنا: في الآية وجهان: أحدهما أن يكون تعالى إنما عني بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلغهم وأكمل عقولهم وقرّره على السن رسله ﷺ بمعرفته وما يجب من طاعته، فأقرّوا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به، لئلا يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم، وإنما أتني من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع إلا على من لم يكن كاملاً عاقلاً، وليس الأمر كما ظن لأننا نسمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم، وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون، وقد قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾^(١) ولفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملاً عاقلاً، فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم.

الجواب الثاني: أنه تعالى لما خلقهم ورتّبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده الله تعالى، وتعذّر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالة بمنزلة المقرّ المعترف، وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢) وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب. ولا مثله قوله تعالى: ﴿شَهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم، وإنما ذلك لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به. ومثل هذا قولهم: جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة بإحسانك.

وما روي عن بعض الحكماء من قوله: سل الأرض من شق أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك جواراً أجابتك اعتباراً. وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر، يغني عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها^(٣).

ومنها: ما ذكره الرازي في تفسير تلك الآية حيث قال: في تفسير تلك الآية قولان مشهوران:

(١) سورة غافر، الآية: ٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٣) أمالي المرتضى، ج ١ ص ٢٠-٢٤.

الأول: وهو مذهب المفسرين وأهل الأثر ما روى مسلم بن يسار الجهني أن عمر سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال: إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله فقيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل النار.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته إلى يوم القيامة.

وقال مقاتل: إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر تتحرك، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر؛ فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة؛ ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء. وقال تعالى فيمن نقض العهد الأول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِن عَهْدٍ﴾ وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، والكلبي.

وأما المعتزلة فقد أطبقوا على أنه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه واحتجوا على فساد هذا القول بوجوه:

الأول: أنه قال: ﴿هُنَّ بَنَاتُ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ فقلوه: ﴿هُنَّ ظُهُورُهُمْ﴾ بدل من قوله: ﴿هُنَّ بَنَاتُ آدَمَ﴾ فلم يذكر الله أنه أخذ من ظهر آدم شيئاً.

الثاني: أنه لو كان كذلك لما قال: ﴿هُنَّ ظُهُورُهُمْ﴾ ولا ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ بل قال: من ظهره وذريته.

الثالث: أنه تعالى حكى عن أولئك الذرية أنهم قالوا: إنما أشرك آبائنا من قبل وهذا الكلام لا يليق بأولاد آدم لأنه عليه السلام ما كان مشركاً.

الرابع: أن أخذ الميثاق لا يمكن إلا من العاقل، فلو أخذ الله الميثاق من أولئك لكانوا عقلاء، ولو كانوا عقلاء وأعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لوجب أن يتذكروا في هذا الوقت أنهم أعطوا الميثاق قبل دخولهم في هذا العالم لأن الإنسان إذا وقعت له واقعة عظيمة مهيبة فإنه لا يجوز مع كونه عاقلاً أن ينساها نسياناً كلياً لا يتذكر منها شيئاً لا بالقليل ولا بالكثير، وبهذا الدليل يبطل القول بالتناسخ، فإننا نقول: لو كانت أرواحنا قد حصلت قبل هذه

الأجساد في أجساد أخرى لوجب أن نتذكر الآن أننا كنا قبل هذا الجسد في أجساد أخرى، وحيث لم نتذكر ذلك كان القول بالتناسخ باطلاً فإذا كان اعتقادنا في إبطال التناسخ ليس إلا على هذا الدليل، وهذا الدليل بعينه قائم في هذه المسألة ووجب القول بمقتضاه.

الخامس: أن جميع الخلق الذين خلقهم الله من أولاد آدم عليه السلام عدد عظيم وكثرة كثيرة فالمجموع الحاصل من تلك الذرات تبلغ مبلغاً في الحجمية والمقدار وصلب آدم عليه السلام على صغره يبعد أن يتسع لهذا المجموع.

السادس: أن البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم، إذ لو لم يكن كذلك لم يبعد في كل ذرة من ذرات الهباء أن تكون عاقلاً فاهماً مصنفاً للتصانيف الكثيرة في العلوم الدقيقة، وفتح هذا الباب يقضي إلى التزام الجهالات، وإذا ثبت أن البنية شرط لحصول الحياة فكل واحد من تلك الذرات لا يمكن أن يكون فاهماً عاقلاً إلا إذا حصلت له قدرة من البنية والجنّة، وإذا كان كذلك فمجموع تلك الأشخاص الذين خرجوا إلى الوجود من أول تخليق آدم إلى آخر فناء الدنيا لا تحويهم عرصة الدنيا، فكيف يمكن أن يقال: إنهم بأسرهم حصلوا دفعة واحدة في صلب آدم عليه السلام ؟

السابع: قالوا: هذا الميثاق إما أن يكون قد أخذه الله منهم في ذلك الوقت ليصير حجة عليهم في ذلك الوقت، أو ليصير حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا، والأول باطل لانعقاد الإجماع على أن بسبب ذلك القدر من الميثاق لا يصيرون مستحقين للشواب والعقاب، والمدح والذم، ولا يجوز أن يكون المطلوب منه أن يصير ذلك حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا لأنهم لما لم يذكروا ذلك الميثاق في الدنيا فكيف يصير حجة عليهم في التمسك بالإيمان ؟

الثامن: قال الكعبي: إن حال أولئك الذرية لا يكون أعلى في الفهم والعلم من حال الأطفال، فلما لم يمكن توجيه التكليف على الطفل فكيف يمكن توجيهه على أولئك الذرية ؟

وأجاب الزجاج عنه وقال: لما لم يبعد أن يؤتي الله النمل العقل كما قال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ﴾^(١) وأن يعطي الجبل الفهم حتى يسبح كما قال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾^(٢) وكما أعطى الله العقل للبعير حتى سجد للرسول ﷺ، وللنخلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت فكذا ههنا.

التاسع: أن أولئك الذرية في ذلك الوقت إما أن يكونوا كاملي العقول والقدر أو ما كانوا كذلك فإن كان الأول كانوا مكلفين لا محالة، وإنما يبقون مكلفين إذا عرفوا الله بالاستدلال، ولو كانوا كذلك لما امتازت أحوالهم في ذلك الوقت عن أحوالهم في هذه الحياة الدنيا، فلو

(١) سورة النمل، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

افتقر التكليف في الدنيا إلى سبق ذلك الميثاق لافتقر التكليف في وقت ذلك الميثاق إلى سبق ميثاق آخر، ولزم التسلسل وهو محال.

وأما الثاني وهو أن يقال: إنهم في وقت ذلك الميثاق ما كانوا كاملي العقول ولا كاملي القدر، فحيثئذ يمتنع توجيه الخطاب والتكليف عليهم.

العاشرة: قوله تعالى: ﴿فَنَنْظُرُ الْإِنْسَانَ مِمَّ خُلِقَ ۚ﴾ (٥) ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (٦) ﴿وَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ الذَّرَّاتُ عَقْلًا فَأَهْمَيْنَ كَامِلِينَ لَكَانُوا مَوْجُودِينَ قَبْلَ هَذَا الْمَاءِ الدَّافِقِ، وَلَا مَعْنَى لِلْإِنْسَانِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْءُ، فحيثئذ لا يكون الإنسان مخلوقاً من الماء الدافق، وذلك رد لنص القرآن.

فإن قالوا: لم لا يجوز أن يقال: إنه تعالى خلقه كامل العقل والفهم والقدرة عند الميثاق، ثم أزال عقله وفهمه وقدرته، ثم إنه خلقه مرة أخرى في رحم الأم، وأخرجه إلى هذه الحياة؟

قلنا: هذا باطل، لأنه لو كان الأمر كذلك لما كان خلقه من النطفة خلقاً على سبيل الابتداء، بل كان يجب أن يكون خلقاً على سبيل الإعادة، وأجمع المسلمون على أن خلقه من النطفة هو المخلوق المبتدأ، فدل هذا على أن ما ذكرتموه باطل.

الحادي عشر: هي أن تلك الذرات إما أن يقال: إنه عين هؤلاء الناس أو غيرهم، والقول الثاني باطل بالإجماع، وفي القول الأول فنقول: إما أن يقال: إنهم بقوا فهماء، عقلاء، قادرين حال ما كانوا نطفة وعلقة ومضغة، أو ما بقوا كذلك، والأول باطل ببديهة العقل. والثاني يقتضي أن يقال: الإنسان حصل له الحياة أربع مرات؛ أولها وقت الميثاق، وثانيها في الدنيا، وثالثها في القبر، ورابعها في القيامة، وأنه حصل له الموت ثلاث مرات: موت بعد الحياة الحاصلة في الميثاق الأول، وموت في الدنيا، وموت في القبر، وهذا العدد مخالف للعدد المذكور في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (١).

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ فلو كان القول بهذا الذر صحيحاً لكان ذلك الذر هو الإنسان، لأنه هو المكلف المخاطب، المثاب المعاقب، وذلك باطل لأن الذر غير مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة، ونص الكتاب دليل على أن الإنسان مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة، وهو قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ وقوله: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ ۚ﴾ (١٧) ﴿مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقْتُهُ ۖ﴾ (١٨) ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقْتُهُ فَقَدَرْتُهُ ۖ﴾ (١٩) (٢) فهذه جملة الوجوه المذكورة في بيان أن هذا القول ضعيف.

والقول الثاني في تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات أنه أخرج الذر وهم الأولاد من أصلاب آبائهم، وذلك لإخراج أنهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات، وجعلها علقة، ثم مضغة، ثم جعلهم بشراً سوياً، وخلقاً كاملاً، ثم

أشهدهم على أنفسهم بما رغب فيهم من دلائل وحدانيته، وعجائب خلقه وغرائب صنعه،
فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا: بلى وإن لم يكن هناك قول باللسان [و] لذلك نظائر:

منها قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وقول العرب: قال الجدار للوتد: لم تشقني؟ قال: سل من يدقني، فإن الذي ورائي ما
خلاني ورأيي. وقال الشاعر:

امتلاً الحوض وقال قطني

فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة في الكلام فوجب حمل الكلام عليه، فهذا هو
الكلام في تقرير هذين القولين، وهذا القول الثاني لا طعن فيه البتة، وبتقدير أن يصح هذا القول
لم يكن ذلك منافياً لصحة القول الأول، إنما الكلام في أن القول الأول هل يصح أم لا؟.

فإن قال قائل: فما المختار عندكم فيه؟ قلنا: ههنا مقامان: أحدهما أنه هل يصح القول
بأخذ الميثاق عن الذرة؟ والثاني أن بتقدير أن يصح القول به فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ
هذه الآية؟.

أما المقام الأول فالمنكرون له قد تمسكوا بالدلائل العقلية التي ذكرناها وقررناها.

ويمكن الجواب عن كل واحد منها بوجه مقنع.

أما الوجه الأول من الوجوه العقلية المذكورة وهو أنه لو صح القول بأخذ هذا الميثاق
لوجب أن نتذكره الآن.

قلنا: خالق العلم بحصول الأحوال الماضية هو الله تعالى لأن هذه العلوم عقلية ضرورية،
والعلوم الضرورية خالقها هو الله تعالى، وإذا كان كذلك صح منه تعالى أن يخلقها.

فإن قالوا: فإذا جوزتم هذا فجوزوا أن يقال: إن قبل هذا البدن كنا في أبدان أخرى على
سبيل التناسخ، وإن كنا لا نتذكر الآن أحوال تلك الأبدان.

قلنا: الفرق بين الأمرين ظاهر، وذلك لأننا إذا كنا في أبدان أخرى وبقينا فيها سنين
ودهوراً امتنع في مجرى العادة نسيانها أما أخذ هذا الميثاق إنما حصل في أسرع زمان وأقل
وقت فلم يبعد حصول النسيان، والفرق الظاهر حاكم بصحة هذا الفرق لأن الإنسان إذا بقي
على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أن ينساها، أما إذا مارس العمل الواحد لحظة واحدة
فقد ينساها فظهر الفرق^(١).

(١) أقول: ولا يلزم التناسخ لو قلنا إن هذه الأبدان عين الأبدان الذرية التي جعل الله الأرواح فيها وأخذ
منهم الميثاق والأبدان الذرية هي المنقولة من الأصلاب إلى الأرحام محفوظة إلى أن يشاء الله إخراجها
إلى الدنيا. [مستدرك السفينة ج ١٠ لغة «وثق»].

وأما الوجه الثاني وهو أن يقال: مجموع تلك الذرات يمتنع حصولها بأسرها في ظهر آدم ﷺ! قلنا: عندنا البنية ليست شرطاً لحصول الحياة والجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزأ قابل للحياة والعقل، فإذا جعلنا كل واحد من تلك الذرات جوهرًا فرداً فلم قلتم: إن ظهر آدم لا يتسع لمجموعها؛ إلا أن هذا الجواب لا يتم إلا إذا قلنا: الإنسان جوهر فرد وجزء لا يتجزأ في البدن على ما هو مذهب بعض القدماء، وأما إذا قلنا: الإنسان هو النفس الناطقة وأنه جوهر غير متحيز ولا حال في متحيز فالسؤال زائل.

وأما الوجه الثالث وهو قوله: فائدة أخذ الميثاق هي أن تكون حجة في ذلك الوقت، أو في الحياة الدنيا، فجوابنا أن نقول: يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، وأيضاً ليس أن من المعتزلة إذا أرادوا تصحيح القول بوزن الأعمال وإنطاق الجوارح قالوا: لا يبعد أن يكون لبعض المكلفين في إسماع هذه الأشياء لطف فكذا ههنا لا يبعد أن يكون لبعض الملائكة من تميز السعداء من الأشقياء في وقت أخذ الميثاق لطف. وقيل أيضاً: إن الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيامة؛ وبقيّة الوجوه ضعيفة والكلام عليها سهل هين.

وأما المقام الثاني وهو أن بتقدير أن يصح القول بأخذ الميثاق من الذر فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية فنقول: الوجوه الثلاثة المذكورة أولاً دافعة لذلك، لأن قوله: ﴿وَأَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فقد بينّا أن المراد منه: وإذا أخذ ربك من ظهور بني آدم؛ وأيضاً لو كانت هذه الذرية مأخوذة من ظهر آدم لقال: من ظهره ذريته ولم يقل: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أجاب الناصرون لذلك القول بأنه صحت الرواية عن رسول الله ﷺ أنه فسر هذه الآية بهذا الوجه، والطعن في تفسير رسول الله ﷺ غير ممكن، فنقول: ظاهر الآية يدل على أنه تعالى أخرج ذراً من ظهور بني آدم فيحتمل ذلك على أنه تعالى يعلم أن الشخص الفلاني يتولد منه فلان، ومن ذلك الفلان فلان آخر، فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض، وأما أنه تعالى يخرج كل تلك الذرية من صلب آدم فليس في لفظ الآية ما يدل على ثبوته، وليس في الآية أيضاً ما يدل على بطلانه، إلا أن الخبر قد دلّ عليه فثبت إخراج الذرية من ظهور بني آدم في القرآن، وثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر، وعلى هذا التقدير فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة، فوجب المصير إليهما معاً صوناً للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان، فهذا منتهى الكلام في تقرير هذا المقام انتهى^(١).

ولنكتف بنقل ما نقلناه من غير تعرض لجرح وتعديل، فإن من له بصيرة نافذة إذا أحاط بما نقلنا من الأخبار وكلام من تكلم في ذلك يتضح له طريق الوصول إلى ما هو الحق في ذلك

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٥ ص ٣٩٧-٤٠٢.

بفضله تعالى^(١). ثم اعلم أنه سيأتي بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب علة استلام الحجر من كتاب الحج، وباب خلق الأئمة وباب أخذ ميثاقهم ﷺ من كتاب الإمامة وأبواب أحوال آدم عليه السلام من كتاب النبوة.

١١ - باب من لا ينجبون من الناس، ومحاسن الخلقة وعيوبها

اللتين تؤثران في الخلق

١- ل: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن أبيه، عن سعيد بن جناح يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ستة لا ينجبون: السندي، والزنجي، والتركي، والكردي، والخوزي، ونبك الري^(٢).

بيان: الخوزي: أهل خوزستان. والنبك: المكان المرتفع ويحتمل أن يكون إضافته إلى الري بيانية؛ وفي بعض النسخ بتقديم الباء على النون وهو بالضم أصل الشيء وخالصة.

٢- ل: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن سهل، عن منصور، عن نصر الكوسج، عن مطرف مولى معن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يدخل حلاوة الإيمان قلب سندي، ولا زنجي، ولا خوزي، ولا كردي، ولا بربري، ولا نبك الري، ولا من حملته أمه من الزنا^(٣).

٣- ع: أبي، عن محمد العطار، عن الحسين بن زريق، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا هشام النبط ليس من العرب ولا من العجم، فلا تتخذ منهم ولياً ولا نصيراً. فإن لهم

(١) ونزیدک علی ما تقدّم أنّه یقال: إنّ الآيتين واضحة الدلالة في ذلك، مضافاً إلى تفسير العترة الطاهرة، خليفتي رسول الله ﷺ في الأمة المتمسك منهم بهما لن يضلّ أبداً. فالثابت منهما أنه تعالى أعطاهم العقل والقدرة والاختيار فعرفهم نفسه واشهدهم على أنفسهم وقال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» فثبت المعرفة في قلوبهم وانسأهم الموقف والمشاهدة، فالمنسي المشاهدة والموقف والثابت المعرفة وبها تتم الحجّة وفي الدنيا هم غفلوا عنها واشتغلوا بالدنيا، فأرسل تعالى أنبياءه لرفع الغفلة والتذكّر إلى المعرفة الثابتة في قلوبهم، ولذلك «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ... وَلَيَقُولُنَّ اللَّهُ... فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا يَجْعَلُهُمْ إِلَى الْآبِرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾» ولذلك القرآن ذكر وتذكّر وذكرى للبشر، والرسول إنما هو مذكّر وبذلك تمت الحجّة وعظمت النعمة وبصرف النسيان لا يصحّ الإنكار كما أنا في عالم الرؤيا ننسى الدنيا وما ومن فيها أفصح الإنكار؟ وكذلك نحن في الدنيا غافلون وناسون، جاء الأنبياء لرفع الغفلة والنسيان وليس لنا قياس الخلق كلّهم بأنفسنا فنقول: لا يذكرها أحد ولا يقدر عليه أحد، مع أنه قال تعالى: «وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الّذِي وَافَقْتُمْ بِهِ»، «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ» أيكلّف الله خلقه بما لا يقدرون؟ وقال أمير المؤمنين عليه السلام: فواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكرونها منسي نعمته؛ الخ. [مستدرک السفينة ج ١٠ لغة «وثق»].

(٢) الخصال، ص ٣٢٨ باب الستة ح ٢١. (٣) الخصال، ص ٣٥٢ باب السبعة ح ٣٢.

أصولاً تدعو إلى غير الوفاء^(١).

٤ - ل: ابن إدريس، عن أبيه، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عليّ الهمداني رفعه إلى داود بن فرقد، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لا ينجبون: أعور يمين، وأزرق كالقصر، ومولد السند^(٢).

٥ - ل: أبي، عن سعد، عن البرقي، عن عدة من أصحابنا، عن ابن أسباط، عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما ابتلى الله به شيعتنا فلن يبتليهم بأربع: أن يكونوا لغير رشدة، أو أن يسألوا بأكفهم، أو يؤتوا في أدبارهم، أو أن يكون فيهم أزرق أخضر^(٣).

٦ - ل: أبي، وابن الوليد، عن محمد العطار، وأحمد بن إدريس، عن الأشعريّ بإسناده رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: خمسة خلقوا ناريتين: الطويل الذاهب، والقصير القمي، والأزرق بخضرة، والزائد، والناقص^(٤).

بيان: قمأ كجمع وكرم: ذل وصغر، فهو قميء ذكره الفيروزآبادي.

٧ - ل: أبي، وابن الوليد، عن أحمد بن إدريس، ومحمد العطار، عن الأشعريّ، عن محمد بن الحسين بإسناده يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا سكير، ولا عاق، ولا شديد السواد، ولا ديوث، ولا قلاع وهو الشرطي، ولا زنوق وهو الخنثى، ولا خيوف وهو النباش، ولا عشار، ولا قاطع رحم، ولا قدري.

قال الصدوق رضي الله عنه: يعني شديد السواد الذي لا يبيض شيء من شعر رأسه ولا من شعر لحيته مع كبر السن، ويسمى الغريب^(٥).

٨ - ل: القطان، وعليّ بن أحمد بن موسى، عن ابن زكريّا القطان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبي معاوية الضرير، عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال ابن حبيب: وحدثني عبد الله بن محمد بن ناطويه، عن عليّ بن عبد المؤمن الزعفراني، عن مسلم بن خالد الزنجي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليه السلام؛ قال ابن حبيب: وحدثني الحسن بن سنان، عن أبيه، عن محمد بن خالد البرقي، عن مسلم بن خالد، عن جعفر بن محمد قالوا كلهم: ثلاثة عشر صنفاً - وقال تميم: ستة عشر صنفاً - من أمة جذي ﷺ لا يحبونا ولا يحبونا إلى الناس، ويبغضونا ولا يتولّونا، ويخذلونا ويخذلون الناس عنا، فهم أعداؤنا حقاً، لهم نار جهنم، ولهم عذاب الحريق. قال: قلت بينهم لي يا أبا عبد الله وقاك الله شرهم، قال: الزائد في خلقه، فلا ترى أحداً من الناس في خلقه زيادة إلا وجدته لنا مناصباً

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٨٨ باب ٣٦٨ ح ١. (٢) الخصال، ص ١١٠ باب الثلاثة ج ٨٠.

(٣) الخصال، ص ٢٢٤ باب الأربعة ح ٥٦. (٤) الخصال، ص ٢٨٦ باب الخمسة ح ٤١.

(٥) الخصال، ص ٤٣٦ باب العشرة ح ٢٣.

ولم تجده لنا موالياً؛ والناقص الخلق من الرجال، فلا ترى الله ﷻ خلقاً ناقص الخلقة إلا وجدت في قلبه علينا غلاً؛ والأعور باليمين للولادة، فلا ترى الله خلقاً ولد أعور اليمين إلا كان لنا محارباً ولأعدائنا مسالماً؛ والغريب من الرجال فلا ترى الله ﷻ خلقاً غريباً - وهو الذي قد طال عمره فلم يبيض شعره وترى لحيته مثل حنك الغراب - إلا كان علينا مؤلّباً ولأعدائنا مكاثراً؛ والحلكوك من الرجال، فلا ترى منهم أحداً إلا كان لنا شتاً ولأعدائنا مذاحاً؛ والأقرع من الرجال فلا ترى رجلاً به قرع إلا وجدته همّازاً، لَمَازاً، مشاءً بالنميمة علينا؛ والمفصص بالخضرة من الرجال فلا ترى منهم أحداً - وهم كثيرون - إلا وجدته يلقانا بوجه ويستدبرنا بآخر، يتغني لنا الغوائل؛ والمنبوذ من الرجال، فلا تلقى منهم أحداً إلا وجدته لنا عدوّاً، مضلاً، مبيناً؛ والأبرص من الرجال فلا تلقى منهم أحداً إلا وجدته يرصد لنا المراصد ويقعد لنا ولشيعتنا مقعداً ليضلنا بزعمه عن سواء السبيل؛ والمجدوم، وهم حصب جهنم هم لها واردون؛ والمنكوح فلا ترى منهم أحداً إلا وجدته يتغنى بهجائنا ويؤلب علينا؛ وأهل مدينة تدعى (سجستان) هم لنا أهل عداوة ونصب وهم شر الخلق والخلقة، عليهم من العذاب ما على فرعون وهامان وقارون؛ وأهل مدينة تدعى (الري) هم أعداء الله، وأعداء رسوله، وأعداء أهل بيته، يرون حرب أهل بيت رسول الله ﷺ جهاداً، ومالهم مغنماً، ولهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والآخرة ولهم عذاب مقيم؛ وأهل مدينة تدعى (الموصل) وهم شر من على وجه الأرض؛ وأهل مدينة تسمى (الزوراء) تبني في آخر الزمان، يستشفون بدمائنا ويتقربون بيفضنا، يوالون في عداوتنا، ويرون حربنا فرضاً، وقتالنا حتماً. يا بني فاحذر هؤلاء ثم احذرهم، فإنه لا يخلو اثنان منهم بواحد من أهلك إلا همّوا بقتله. واللفظ لتمييم من أول الحديث إلى آخره^(١).

بيان: قوله ﷺ: مؤلّباً أي يجمع الناس علينا بالعداوة والظلم. والحلكوك بالضم والفتح: الشديد السواد. والمفصص بالخضرة: هو الذي يكون عينه أزرق كالفض، كما مر في الخبر، والفض أيضاً حدة العين، وفي بعض النسخ بالضادين المعجمتين وهو تصحيف. والمنبوذ: ولد الزنا. والزوراء بغداد. ثم اعلم أنه لا يبعد أن يكون بعض البلاد كالري يكون هذا لبيان حالهم في تلك الأزمان لا إلى يوم القيامة، ولعله سقط واحد من الستة عشر من النسخ أو من الرواة.

٩ - ن: بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه ﷺ، عن أمير المؤمنين ﷺ قال: لا تجد في أربعين أصلع رجل سوء، ولا تجد في [أربعين] كوسجاً رجلاً صالحاً، وأصلع سوء أحب إلي من كوسج صالح^(٢).

(١) الخصال، ص ٥٠٦ باب الستة عشر ح ٤.

(٢) عيون اخبار الرضا ﷺ ج ٢ ص ٤٩ باب ٣١ ح ١٦٦.

صح: عنه عليه السلام مثله^(١).

بيان الصلح: انحسار شعر مقدم الرأس.

١٠ - ع: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن عليّ الريان، عن الحسين ابن محمد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عبد الرحمن بن حماد، عن ذريح المحاربي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله يسأل الله عما سوى الفريضة؟ قال: لا، قال: فوالذي بعثك بالحق لا تقرب إلى الله بشيء سواها! قال: ولم؟ قال: لأن الله قبح خلقي! قال: فأمسك النبي ﷺ ونزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد ربك يقرئك السلام، ويقول: أقرئ عبدي فلاناً السلام، وقل له: أما ترضى أن أبعثك غداً في الآمنين؟ فقال: يا رسول الله وقد ذكرني الله عنده؟ قال: نعم، قال: فوالذي بعثك بالحق لا بقي شيء يتقرب به إلى الله إلا تقربت به^(٢).

١١ - ع: أبي، عن سعد، عن البرقي، عن محمد بن يحيى، عن حماد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك نرى الخصي من أصحابنا عفيفاً له عبادة، ولا نكاد نراه إلا فظاً غليظاً سفيه الغضب! فقال: إنما ذلك لأنه لا يزني^(٣).

بيان: يحتمل أن يكون قوله عليه السلام: إنما ذلك علّة لعفته، أو المعنى أن غلظته وفخره وعجبه بترك الزنا؛ ويحتمل أن يكون المراد عدم قدرته على الجماع مطلقاً فإن به تندفع المواد الفاسدة وبه يستقيم الطبع والخلق^(٤).

١٢ - ع: بهذا الإسناد عن البرقي رفع الحديث إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن الخصي، فقال: لم تسئل عمن لم يلد مؤمناً ولا يلد مؤمناً^(٥).

١٣ - هـ: محمد بن عليّ بن حشيش، عن محمد بن أحمد بن عبد الوهاب، عن محمد بن محمد بن يحيى، عن الحسن بن عليّ، عن اللؤلؤي، عن شعبة، عن توبة العنبري، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بالوجوه الملاح والحدق السود فإن الله يستحي أن يعذب الوجه المليح بالنار^(٦).

١٤ - ث: أبو، عن عليّ، عن أبيه، عن محمد بن عمرو، عن موسى بن إبراهيم، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سمعته يقول: ما حسن الله خلق عبد ولا خلقه إلا استحي أن يطعم لحمه يوم القيامة النار^(٧).

١٥ - ين: بعض أصحابنا، عن حنان بن سدير، عن محمد بن طلحة، عن زرارة، عن أبي

(٢) علل الشرائع، ج ٢ باب ٢٢٢ ح ٩.

(١) صحيفة الإمام الرضا ص ١٠٣ ح ٢٠١.

(٣) (٥) علل الشرائع، ج ٢ باب ٣٨٥ ح ٦٦-٦٨.

(٦) أمالي الطوسي، ص ٣١٢ مجلس ١١ ح ٦٣٦. (٧) ثواب الاعمال، ص ٢١٦.

جعفر عليه السلام قال : قال : أيما عبد كان له صورة حسنة مع موضع لا يشينه ثم تواضع لله كان من خالصة الله ؛ قال : قلت : ما موضع لا يشينه ؟ قال : لا يكون ضرب فيه سفاح ^(١) .

بيان : يمكن توجيه تلك الأخبار على قانون أهل العدل بأن الله تعالى خلق من علم أنهم يكونون شراراً باختيارهم بهذه الصفات ، وجعلهم من أهل تلك البلاد من غير أن يكون لتلك الأحوال مدخل في أعمالهم ؛ أو المراد أنهم في درجة ناقصة من الكمال ، غير قابلين لمعالي الفضائل والكمالات ، من غير أن يكونوا مجبورين على القبائح والسيئات .

١٢ - باب علة عذاب الاستئصال،

وحال ولد الزنا، وعلة اختلاف أحوال الخلق

الآيات، الأنفال (٨) : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٥) .

جمعسق [الشورى] (٤٢) : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يُشَاءُ إِنَّهُمْ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧) .

الزخرف (٤٣) : ﴿أَمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٢٧) وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٢٩﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥) .

تفسيره : قال الطبرسي رحمته الله في الآية الأولى : حذرهم الله من هذه الفتنة ، وأمرهم أن يتقوها ، وكأنه قال : اتقوا فتنة لا تقربوها فتصيبكم ، فإن قوله : ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ نهي مسوق على الأمر ، ولفظ النهي واقع على الفتنة ، وهو في المعنى للمأمورين بالاتقاء ، كقوله : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ واختلف في معنى الفتنة ههنا فقليل : هي العذاب ، أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعتمهم الله بالعذاب ، والخطاب لأصحاب النبي عليه السلام خاصة ، وقيل : هي البلية التي يظهر باطن أمر الإنسان فيها .

عن الحسن قال : نزلت في عليّ وعمار وطلحة والزبير ، قال : وقد قال الزبير : لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى أصابتنا خاصة . وقيل : نزلت في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقتلوا .

عن السدي : وقيل : هي الضلالة وافتراق الكلمة ، ومخالفة بعضهم بعضاً . وقيل : هي

(١) كتاب الزهد، ص ١٣٨ باب ١١ ح ١٨ .

الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل أحد. ثم اختلف في إصابة هذه الفتنة على قولين: أحدهما أنها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم، أما الظالمون فمعذبون، وأما المؤمنون فممتحنون ممتحسون. عن ابن عباس: وروي أنه سئل عنها فقال: أبهموا ما أبهم الله.

والثاني أنها تخص الظالم، لأن الغرض منع الناس عن الظلم، وتقديره: واتقوا عذاباً يصيب الظلمة خاصة، وتقوية قراءة من قرأ «التصيين» باللام. وقيل: إن «لا» في قوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ زائدة، ويجوز أن يقال: إن الألف في «لا» لإشباع الفتحة^(١).

وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تألف ونظام ينتظم بذلك نظام العالم، لا لكمال في الموسع، ولا لنقص في المقتر ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ولولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه^(٢).

١- ع: ن: الهمداني، عن علي، عن أبيه، عن الهروي، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: لأي علة أغرق الله ﷺ الدنيا كلها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال وفيهم من لا ذنب له؟ فقال عليه السلام: ما كان فيهم الأطفال، لأن الله ﷻ أعقم أصلاب قوم نوح عليه السلام وأرحام نسايتهم أربعين عاماً، فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله ﷻ ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأما الباقون من قوم نوح عليه السلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبي الله نوح عليه السلام، وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهد وأتاه^(٣).

٢- ع: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرايت نوحاً عليه السلام حين دعا على قومه فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَبَابًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا ﴿٢٧﴾؟ قال عليه السلام: علم أنه لا ينجب من بينهم أحد. قال: قلت: وكيف علم ذلك؟ قال: أوحى الله إليه ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء^(٤).

٣- ع: طاهر بن محمد بن يونس، عن محمد بن عثمان الهروي، عن الحسن بن مهاجر، عن هشام بن خالد، عن الحسن بن يحيى، عن صدقة بن عبد الله، عن هشام، عن أنس، عن النبي ﷺ عن جبرئيل عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: من أهان لي ولياً فقد بارزني

(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٠٥.

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٥٢.

(٤) سورة نوح، الآيتان: ٢٦ و ٢٧.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٣ باب ٢٣ ح ١.

(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٥ باب ٢٧ ح ١.

بالمحاربة، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد منه؛ وما يتقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه؛ ولا يزال عبدي يتنهل إليّ حتى أحبه، ومن أحبته كنت له سمعاً وبصراً ويداً وموثلاً، إن دعاني أجبته، وإن سألتني أعطيته؛ وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالغنّى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالسقم، ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك؛ إنّي أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم فإنّي عليم خبير^(١).

بيان: قال الشيخ البهائي قدس الله روحه: ما تضمنه هذا الحديث من نسبة التردد إليه سبحانه يحتاج إلى التأويل وفيه وجوه: الأول أن في الكلام إضمماراً، والتقدير: لو جاز عليّ التردد ما ترددت في شيء كترددي في وفاة المؤمن.

الثاني: أنه لما جرت العادة بأن يتردد الشخص في مساءة من يحترمه ويوقره كالصديق الوفي والخلّ الصفي، وأن لا يتردد في مساءة من ليس له عنده قدر ولا حرمة كالعدو والحيّة والعقرب، بل إذا خطر بالبال مساءته أوقعها من غير تردد ولا تأمل صَحَّ أن يعبر بالتردد والتأمل في مساءة الشخص من توقيره واحترامه، وبعدمهما عن إذلاله واحتقاره، فقوله سبحانه: «ما ترددت» المراد به - والله أعلم - ليس لشيء من مخلوقاتي عندي قدر وحرمة كقدر عبدي المؤمن وحرمة فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية.

الثالث: أنه قد ورد في الحديث من طرق الخاصة والعامة أن الله سبحانه يظهر للعبد المؤمن عند الاحتضار من اللطف والكرامة والبشارة بالجنة ما يزيل عنه كراهة الموت، ويوجب رغبته في الانتقال إلى دار القرار، فيقلّ تأذيه به، ويصير راضياً بنزوله، راغباً في حصوله فأشبهت هذه المعاملة من يريد أن يؤلم حبيبهِ المأ يتعقبه نفع عظيم فهو يتردد في أنه كيف يوصل ذلك الألم إليه على وجه يقلّ تأذيه فلا يزال يظهر له ما يرغبه فيما يتعقبه من اللذة الجسيمة والراحة العظيمة إلى أن يتلقاه بالقبول، ويعذه من الغنائم المؤذية إلى إدراك المأمول. انتهى.

أقول: قد أثبتنا الأخبار الدالة على علل اختلاف الخلق في باب الطينة والميثاق.

٤ - ع: أحمد بن محمد، عن أبيه، عن محمد بن أحمد، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن عليّ الكوفي، عن محمد بن الفضيل، عن سعد بن عمر الجلاب قال: قال لي أبو

عبد الله ﷺ : إِنَّ اللَّهَ بَرَّحَكَ خَلَقَ الْجَنَّةَ طَاهِرَةً مَطْهُرَةً فَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ طَابَتْ وَلادته .
وقال أبو عبد الله ﷺ : طوبى لمن كانت أمه عفيفة^(١) .

٥ - ع : بهذا الإسناد، عن محمد بن أحمد، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه رفع الحديث إلى الصادق ﷺ قال : يقول ولد الزنا : يا رب ما ذنبي ؟ فما كان لي في أمري صنع ! قال : فيناديه مناد فيقول : أنت شرُّ الثلاثة أذنب والداك فتبت عليهما وأنت رجس، ولن يدخل الجنة إلا طاهر^(٢) .

٦ - ثو : ابن البرقي، عن أبيه، عن جده أحمد، عن أبيه، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر ﷺ يقول : لا خير في ولد الزنا ولا في بشره ولا في شعره ولا في لحمه ولا في دمه ولا في شيء منه ؛ يعني ولد الزنا^(٣) .
سنن : أبي، عن ابن فضال مثله .

٧ - ثو : ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن الوشاء، عن أحمد بن عائد، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله ﷺ قال : لو كان أحد من ولد الزنا نجاً نجاً سائح بني إسرائيل ؛ فليل له : وما سائح بني إسرائيل ؟ قال : كان عابداً ؛ فليل له : إن ولد الزنا لا يطيب أبداً ولا يقبل الله منه عملاً ؛ قال : فخرج يسبح بين الجبال ويقول ما ذنبي^(٤) ؟ .
سنن : في رواية أبي خديجة مثله^(٥) .

٨ - ص : الصدوق، عن جعفر بن محمد بن شاذان، عن أبيه، عن الفضل، عن محمد بن زياد، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال عزير : يا رب إني نظرت في جميع أمورك وأحكامها فعرفت عدلك بعقلي، وبقي باب لم أعرفه : إنك تسخط على أهل البلية فتعمهم بعذابك وفيهم الأطفال ! فأمره الله تعالى أن يخرج إلى البرية وكان الحرّ شديداً، فرأى شجرة فاستظل بها ونام، فجاءت نملة فقرصته فذلك الأرض برجله فقتل من النمل كثيراً، فعرف أنه مثل ضرب، فليل له : يا عزير إن القوم إذا استحقوا عذابي قدّرت نزولهم عند انقضاء آجال الأطفال فماتوا أولئك بأجالهم وهلك هؤلاء بعذابي^(٦) .

بيان : القرص : أخذك لحم إنسان بإصبعك حتى تؤلمه، ولسع البراغيث، والقبض والقطع ؛ كذا ذكره الفيروزآبادي .

أقول : لعلة تعالى إنما أراه قصة النمل لبيان أن الحكمة قد تقتضي تعميم البلية والانتقام لرعاية المصالح العامة، وحاصل الجواب أن الله تعالى كما أنه يميت الأطفال متفرقاً إما

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٨٦ باب ٣٦٣ ح ١ و ٢ .

(٣) - (٤) ثواب الأعمال، ص ٣١١ . (٥) المحاسن، ص ١٠٨ .

(٦) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٤٠ باب ١٦ ح ٢٨١ .

لمصلحتهم أو لمصلحة آبائهم أو لمصلحة النظام الكلّي كذلك قد يقدر موتهم جميعاً في وقت واحد لبعض تلك المصالح، وليس ذلك على جهة الغضب عليهم، بل هي رحمة لهم لعلمه تعالى بأنهم يصيرون بعد بلوغهم كفاراً، أو يعرضهم في الآخرة ويميتهم لردع سائر الخلق عن الاجترار على مساخط الله، أو غير ذلك... مع أنه ليس يجب على الله تعالى إبقاء الخلق أبداً، فكل مصلحة تقتضي موتهم في كبرهم يمكن جريانها في موتهم عند صغرهم والله تعالى يعلم.

٩ - سنن: الحجاج، عن حماد بن عثمان، عن معمر بن يحيى، عن أبي خالد الكابلي، أنه سمع علي بن الحسين عليه السلام يقول: لا يدخل الجنة إلا من خلص من آدم^(١).

١٠ - سنن: القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن ضريس الوابشي، عن سدير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من طهرت ولادته دخل الجنة^(٢).

١١ - سنن: القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله الجنة طاهرة مطهرة لا يدخلها إلا من طابت ولادته^(٣).

١٢ - سنن: أبي، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن أيوب بن حرّ، عن أبي بكر قال: كنا عنده ومعنا عبد الله بن عجلان، فقال عبد الله بن عجلان: معنا رجل يعرف ما نعرف ويقال: إنه ولد زناء، فقال: ما تقول؟ فقلت: إن ذلك ليقال له؛ فقال: إن كان ذلك بني له بيت في النار من صدر، يرّد عنه وهج جهنّم ويؤتى برزقه^(٤).

بيان: من صدر أي يبنى له ذلك في صدر جهنّم وأعلاه، والظاهر أنه مصحف (صبر) بالتحريك وهو الجمد.

١٣ - سنن: أبي، عن حمزة بن عبد الله، عن هاشم أبي سعيد الأنصاري، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن نوحاً حمل في السفينة الكلب والخنزير، ولم يحمل فيها ولد الزنا، وإن الناصب شرّ من ولد الزنا^(٥).

١٤ - كاه: الحسين بن محمد، عن المعلّى، عن الوشاء، عن أبان، عن ابن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن ولد الزنا يستعمل، إن عمل خيراً جزى به، وإن عمل شراً جزى به^(٦).

بيان: هذا الخبر موافق لما هو المشهور بين الإماميّة من أن ولد الزنا كسائر الناس مكلف بأصول الدين وفروعه، يجري عليه أحكام المسلمين مع إظهار الإسلام، ويثاب على

(٢) - (٣) المحاسن، ص ١٣٩.

(٥) المحاسن، ص ١٧٥.

(٦) روضة الكافي، الموجود مع الاصول طبعة الأعلمي، ص ٧٨٤ ح ٣٢٢.

(١) المحاسن، ص ١٣٩.

(٤) المحاسن، ص ١٤٩.

الطاعات ويعاقب على المعاصي. ونسب إلى الصدوق والسيد المرتضى وابن إدريس رحمهم الله القول بكفره وإن لم يظهره، وهذا مخالف لأصول أهل العدل إذ لم يفعل باختياره ما يستحق به العقاب فيكون عذابه جوراً وظلماً، والله ليس بظلام للعبيد، فأما الأخبار الواردة في ذلك فمنهم من حملها على أنه يفعل باختياره ما يكفر بسببه، فلذا حكم عليه بالكفر وأنه لا يدخل الجنة، وأما ظاهراً فلا يحكم بكفره إلا بعد ظهور ذلك منه.

أقول: يمكن الجمع بين الأخبار على وجه آخر يوافق قانون العدل بأن يقال: لا يدخل ولد الزنا الجنة، لكن لا يعاقب في النار إلا بعد أن يظهر منه ما يستحقه، ومع فعل الطاعة وعدم ارتكاب ما يحبطه يثاب في النار على ذلك، ولا يلزم على الله أن يثيب الخلق في الجنة، ويدل عليه خبر عبد الله بن عجلان، ولا ينافيه خبر ابن أبي يعفور إذ ليس فيه تصريح بأن جزاءه يكون في الجنة وأما العمومات الدالة على أن من يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله الله الجنة يمكن أن تكون مخصصة بتلك الأخبار، وبالجمله فهذه المسألة مما قد تحير فيه العقول، وارتاب به الفحول، والكفت عن الخوض فيها أسلم، ولا نرى فيها شيئاً أحسن من أن يقال: الله أعلم.

١٣ - باب الأطفال ومن لم يتم عليهم الحجة في الدنيا

الآيات: الطور «٥٢»: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ «٢١».

تفسير: قال الطبرسي رحمه الله يعني بالذرية أولادهم الصغار والكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم، والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء، فالولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده والمعنى: أنا نلحق الأولاد بالآباء في الجنة والدرجة من أجل الآباء لتقر عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة كما كانت تقر بهم في الدنيا، عن ابن عباس والضحاك وابن زيد، وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنهم البالغون ألحقوا بدرجة آبائهم وإن قصرت أعمالهم، تكرمه لأبائهم، وإذا قيل: كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقوه؟ فالجواب أنهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة. وروى زاذان عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، ثم قرأ هذه الآية.

وروي عن الصادق عليه السلام قال: أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرياتهم^(١).

١ - فس: قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فإنه حدثني أبي، عن سليمان الديلمي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تربيتهم فاطمة عليها السلام، وقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: يهدون إلى آبائهم يوم القيامة.

وقال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿وَمَا أَلْنَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي ما نقصناهم^(١).

٢ - ل: أبي، عن محمد العطار، عن الأشعري، عن علي بن إسماعيل، عن حماد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة احتج الله ببراهمة على خمسة: على الطفل، والذي مات بين النبيين، والذي أدرك النبي وهو لا يعقل، والأبلة والمجنون الذي لا يعقل، والأصم والأبكم؛ فكل واحد منهم يحتج على الله ببراهمة؛ قال فيبعث الله إليهم رسولا فيؤجج لهم نارا فيقول لهم: ربكم يأمركم أن تشبوا فيها، فمن وثب فيها كانت عليه بردا وسلاما، ومن عصى سيق إلى النار.

قال الصدوق رضي الله عنه: إن قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك ويقولون: إنه لا يجوز أن يكون في دار الجزاء تكليف، ودار الجزاء للمؤمنين إنما هي الجنة، ودار الجزاء للكافرين إنما هي النار، وإنما يكون هذا التكليف من الله ببراهمة في غير الجنة والنار فلا يكون كلفهم في دار الجزاء ثم يصيرهم إلى الدار التي يستحقونها بطاعتهم أو معصيتهم، فلا وجه لإنكار ذلك، ولا قوة إلا بالله^(٢).

٣ - مع: أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: هل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأطفال؟ فقال: قد سئل فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. ثم قال: يا زرارة هل تدري ما قوله: الله أعلم بما كانوا عاملين؟ قلت: لا، قال: الله ببراهمة فيهم المشية؛ إنه إذا كان يوم القيامة أتى بالأطفال، والشيخ الكبير الذي قد أدرك السن ولم يعقل من الكبر والخرف، والذي مات في الفترة بين النبيين، والمجنون، والأبلة الذي لا يعقل فكل واحد يحتج على الله ببراهمة، فيبعث الله تعالى إليهم ملكاً من الملائكة ويؤجج نارا فيقول: إن ربكم يأمركم أن تشبوا فيها، فمن وثب فيها كانت عليه بردا وسلاما، ومن عصاه سيق إلى النار^(٣).

كاه: علي، عن أبيه، عن حماد مثله. ج ٣ ص ١٢٦ باب ١٦٥ ح ١.

٤ - غط: ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن زرارة، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: حقيق على الله أن يدخل الضلال الجنة، فقال زرارة: كيف ذلك جعلت فداك؟ قال: يموت الناطق ولا ينطق الصامت فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنة^(٤).

٥ - كنزه: قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾^(٥) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: الولدان أولاد أهل الدنيا، لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها، ولا سيئات فيعاقبون عليها فأنزلوا هذه المنزلة^(٦).

(٢) الخصال، ص ٢٨٣ باب الخمسة ح ٣١.

(٤) الغيبة للطوسي، ص ٤٦٠.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٤٢ ح ١ و ٢.

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٠٩.

(٣) معاني الأخبار، ص ٤٠٧.

(٥) سورة الإنسان، الآية: ١٩.

٦ - وعن النبي ﷺ أنه سئل عن أطفال المشركين، فقال: خدّم أهل الجنة على صورة الولدان خلّفوا لخدمة أهل الجنة^(١).

٧ - يده: الحسين بن يحيى بن ضريس، عن أبيه، عن محمد بن عمارة السكري، عن إبراهيم بن عاصم، عن عبد الله بن هارون الكرخي، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد، عن أبيه يزيد بن سلام، عن أبيه سلام بن عبيد الله، عن أخيه عبد الله بن سلام مولى رسول الله ﷺ أنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني أيّ عذاب الله ﷻ خلقاً بلا حجة؟ قال: معاذ الله! قلت: فأولاد المشركين في الجنة أم في النار؟ فقال: الله تبارك وتعالى أولى بهم إنّه إذا كان يوم القيامة - وساق الحديث إلى أن قال - : فيأمر الله ﷻ ناراً يقال له: الفلق، أشدّ شيء في نار جهنّم عذاباً، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والأغلال، فيأمرها الله ﷻ أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة، فتنفخ فمن شدّة نفختها تنقطع السماء، وتنطمس النجوم، وتجمد البحار، وتزول الجبال، وتظلم الأبصار، وتضع الحوامل حملها، وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة؛ فيأمر الله تعالى أطفال المشركين أن يلقوا أنفسهم في تلك النار؛ فمن سبق له في علم الله ﷻ أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام، ومن سبق له في علم الله تعالى أن يكون شقيّاً امتنع فلم يلق نفسه في النار فيأمر الله تعالى النار فتلتقطه لتركه أمر الله وامتناعه من الدخول فيها فيكون تبعاً لآبائه في جهنّم^(٢).

٨ - كاه: العدة، عن سهل، عن غير واحد رفعه أنّه سئل عن الأطفال فقال: إذا كان يوم القيامة جمعهم الله وأجّع ناراً وأمرهم أن يطرحوا أنفسهم فيها، فمن كان في علم الله ﷻ أنّه سعيد رمى نفسه فيها وكانت عليه برداً وسلاماً، ومن كان في علمه أنّه شقيّ امتنع فيأمر الله تعالى بهم إلى النار، فيقولون: يا ربنا تأمر بنا إلى النار ولم يجر علينا القلم؟ فيقول الجبار: قد أمرتكم مشافهة فلم تطيعوني فكيف لو أرسلت رسلي بالغيب إليكم^(٣)؟

٩ - وفي حديث آخر أمّا أطفال المؤمنين فإنّهم يلحقون بآبائهم، وأولاد المشركين يلحقون بآبائهم وهو قول الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ دُرِّيَّتُهُمْ﴾^(٤).

١٠ - كاه: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الولدان، فقال: سئل رسول الله ﷺ عن الولدان والأطفال فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين^(٥).

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٧٤٢ ح ١ و ٢. (٢) التوحيد، ص ٣٩٠ باب ٦١ ح ١.

(٣) - (٤) فروع الكافي، ج ٣ ص ١٢٧ باب ١٦٥ ح ٢.

(٥) فروع الكافي، ج ٣ ص ١٢٧ باب ١٦٥ ح ٣.

١١ - كآء عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في الأطفال الذين ماتوا قبل أن يبلغوا؟ فقال: سئل عنهم رسول الله ﷺ فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم أقبل عليّ فقال: يا زرارة هل تدري ما عني بذلك رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا، فقال: إنما عني: كفوا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئاً وردوا علمهم إلى الله ^(١).

١٢ - كآء العدة، عن سهل، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: فقال: قصرت الأبناء عن عمل الآباء فألحقوا الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم ^(٢).

١٣ - يه: عن أبي بكر الحضرمي، عنه عليه السلام مثله.

١٤ - كآء عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عمن مات في الفترة وعمن لم يدرك الحنث والمعتوه فقال: يحتجّ الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبي قال: ها أنتم قد أمرتكم فعصيتُموني ^(٣).

١٥ - كآء بهذا الإسناد قال: ثلاثة يحتجّ عليهم: الأبكم، والطفل، ومن مات في الفترة، فيرفع لهم ناراً فيقال لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبي قال تبارك وتعالى: هذا قد أمرتكم فعصيتُموني ^(٤).

١٦ - نوادر الراوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزوجوا الحسناء الجميلة العاقرة فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، أو ما علمت أنّ الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لأبائهم، يحضنهم إبراهيم، وتربيتهم سارة عليها السلام في جبل من مسك وعنبر وزعفران ^(٥)؟

١٧ - يه: في الصحيح روى أبو زكريّا، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا مات طفل من أطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض: ألا إنّ فلان بن فلان قد مات، فإن كان مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه، وإلا دفع إلى فاطمة عليها السلام تغذوه حتى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته فتدفعه إليه ^(٦).

١٨ - يه: في الصحيح عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رثاب، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى يدفع إلى إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذوانهم

(١) - (٤) فروع الكافي، ج ٣ ص ١٢٧ باب ١٦٥ ح ٤-٧.

(٥) نوادر الراوندي، ص ١١٥ ح ١١٥.

(٦) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ باب ٣ حال من يموت من اطفال المؤمنين ح ٤٧٣١ وح ٤٧٣٢.

بشجرة في الجنة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصر من الدرّ، فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وأطبوا وأهدوا إلى آبائهم، فهم ملوك في الجنة مع آبائهم، وهو قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١).

بيان: يمكن الجمع بين الخبرين بأن بعضهم تربيته فاطمة عليها السلام، وبعضهم إبراهيم وسارة عليهما السلام على اختلاف مراتب آبائهم، أو تدفعه فاطمة عليها السلام إليهما.

١٩ - وروى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المختصر نقلاً من كتاب المعراج للشيخ الصالح أبي محمد الحسن بإسناده عن الصدوق، عن أبيه، عن محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الكوفي، عن محمد بن عبد الله بن مهران، عن صالح بن عقبة، عن يزيد بن عبد الملك، عن الباقر عليه السلام قال: لما صعد رسول الله ﷺ إلى السماء وانتهى إلى السماء السابعة ولقي الأنبياء عليهم السلام قال: أين أبي إبراهيم عليه السلام؟ قالوا له: هو مع أطفال شيعة عليّ؛ فدخل الجنة فإذا هو تحت شجرة لها ضروع كضروع البقر، فإذا انفلت الضرع من فم الصبيّ قام إبراهيم فردّ عليه؛ قال: فسلم عليه فسأله عن عليّ عليه السلام فقال: خلفته في أمّتي، قال: نعم الخليفة خلفت، أما إن الله فرض على الملائكة طاعته، وهؤلاء أطفال شيعة، سألت الله أن يجعلني القائم عليهم ففعل، وإن الصبي ليجرّ الجرعة فيجد طعم ثمار الجنة وأنهارها في تلك الجرعة.

٢٠ - يه: في الصحيح سأل جميل بن درّاج أبا عبد الله عليه السلام عن أطفال الأنبياء، فقال: ليسوا كأطفال الناس؛ وسأله عن إبراهيم بن رسول الله ﷺ: لو بقي كان صديقاً نبيّاً؟ قال: لو بقي كان على منهاج أبيه ﷺ.^(٢)

بيان: أي كان مؤمناً موثقاً تابعاً لأبيه لا نبيّاً.

٢١ - يه: روى وهب بن وهب، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: أولاد المشركين مع آبائهم في النار، وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنة^(٣).

٢٢ - يه: في الصحيح روى جعفر بن بشير، عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أولاد المشركين يموتون قبل أن يبلغوا الحنث؛ قال: كفّار، والله أعلم بما كانوا عاملين، يدخلون مداخل آبائهم. وقال عليه السلام: يؤجج لهم ناراً فيقال لهم: ادخلوها، فإن دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً، وإن أبوا قال لهم الله ﷻ هوذا أنا قد أمرتكم فعصيتُموني؛ فيأمر الله ﷻ بهم إلى النار^(٤).

بيان: قال الصدوق رحمته الله - بعد إيراد تلك الأخبار - : هذه الأخبار متفقة وليست بمختلفة، وأطفال المشركين والكفار مع آبائهم في النار لا تصيبهم من حرّها لتكون الحجة

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ باب حال من يموت من أطفال المؤمنين ح ٤٧٣١ وح ٤٧٣٢.

(٢) - (٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ح ٤٧٣٥ و ٤٧٣٩.

أوكد عليهم متى أمروا يوم القيامة بدخول نار تؤجج لهم مع ضمان السلامة متى لم يثقوا به ولم يصدقوا وعده في شيء قد شاهدوا مثله^(١).

أقول: جمع الصدوق بينهما بحمل ما دلّ على إطلاق دخولهم النار على نار البرزخ، وقال: لا يصيبهم حرّها حينئذ، ورأى أن فائدة ذلك توكيد الحجّة عليهم في التكليف بدخول نار تؤجج لهم في القيامة. ويمكن أن يقال: لعلّ الله تعالى يعلم أن كلّ أولاد الكفار الذين يموتون قبل الحلم لا يدخلون النار يوم القيامة بعد التكليف، فلذا قال: الله أعلم بما كانوا عاملين أي في القيامة بعد التكليف، ولذا جعلهم من أولادهم، ويمكن أيضاً أن يحمل قوله ﷺ: كفار على أنه يجري عليهم في الدنيا أحكام الكفار بالتبعية في النجاسة وعدم التغسيل، والتكفين، والصلاة، والتوارث، وغير ذلك؛ ويخصّ دخولهم النار ودخولهم مداخل آبائهم بمن لم يدخل منهم نار التكليف، والأظهر حملها على التقيّة لموافقتها لروايات المخالفين وأقوال أكثرهم، قال النووي في شرح صحيح مسلم: اختلف العلماء فيمن مات من أطفال المشركين فمنهم من يقول: هم تبع لأبائهم في النار، ومنهم من يتوقف فيهم، والثالث - وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون - أنهم من أهل الجنة واستدلوا بأشياء:

منها حديث إبراهيم الخليل حين رآه النبي ﷺ وحوله أولاد الناس؛ قالوا: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: وأولاد المشركين. رواه البخاريّ في صحيحه.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ولا يتوجّه على المولود التكليف حتّى يبلغ فيلزم الحجّة انتهى.

وروى الحسين بن مسعود البغويّ في شرح السنّة بإسناده عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين، قال: الله أعلم بما كانوا فاعلين. وقال: هذا حديث متفق على صحته.

وروي بإسناد آخر عن صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من يولد يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه وينصرانه، كما تتجوزن البهيمة، هل تجدون فيها جدعاء حتّى تكونوا أنتم تجدعونها؟ قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين.

ثمّ قال: هذا حديث متفق على صحته. ثمّ قال في شرح الخبر: قلت: أطفال المشركين لا يحكم لهم بجنة ولا نار، بل أمرهم موكل إلى علم الله فيهم، كما أفتى به الرسول ﷺ، وجملة الأمر أن مرجع العباد في المعاد إلى ما سبق لهم في علم الله من السعادة والشقاوة.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣ ح ٤٧٣٩.

وقيل : حكم أطفال المؤمنين والمشركين حكم آبائهم وهو المراد بقوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ، يدل عليه ما روي مفسراً عن عائشة أنها قالت : قلت يا رسول الله ذراري المؤمنين؟ قال : من آبائهم ، فقلت : يا رسول الله بلا عمل؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، قلت : فذراري المشركين؟ قال : من آبائهم ، قلت : بلا عمل؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين . وقال معمر ، عن قتادة ، عن الحسن : إن سلمان قال : أولاد المشركين خدم أهل الجنة ، قال الحسن : أتعجبون؟ أكرمهم الله وأكرمهم به . انتهى^(١) .

أقول : فظهر أن تلك الروايات موافقة لما رواه المخالفون في طرقهم ، وقد أولها أئمتنا عليهم السلام بما مر في الأخبار السابقة . ثم اعلم أنه لا خلاف بين أصحابنا في أن أطفال المؤمنين يدخلون الجنة ، وذهب المتكلمون منا إلى أن أطفال الكفار لا يدخلون النار فهم إما يدخلون الجنة ، أو يسكنون الأعراف ؛ وذهب أكثر المحدثين منا إلى ما دلت عليه الأخبار الصحيحة من تكليفهم في القيامة بدخول النار المؤججة لهم ؛ قال المحقق الطوسي رحمته الله في التجريد : تعذيب غير المكلف قبيح ، وكلام نوح عليه السلام مجاز والخدمة ليست عقوبة له ، والتبعية في بعض الأحكام جائزة .

وقال العلامة قدس الله روحه في شرحه : ذهب بعض الحشوية إلى أن الله تعالى يعذب أطفال المشركين ويلزم الأشاعرة تجويزه ، والعدلية كافة على منعه ، والدليل عليه أنه قبيح عقلاً فلا يصدر منه تعالى ، احتجوا بوجوه :

الأول : قول نوح عليه السلام : ﴿ وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا ﴾ والجواب أنه مجاز والتقدير أنهم يصيرون كذلك لا حال طفوليتهم .

الثاني : قالوا : إننا نستخدمه لأجل كفر أبيه فقد فعلنا فيه ألماً وعقوبة فلا يكون قبيحاً . والجواب : أن الخدمة ليست عقوبة للطفل ، وليس كل ألم عقوبة ، فإن الفصد والحجامة ألماً وليس عقوبة ، نعم استخدامه عقوبة لأبيه وامتحان له يعرض عليه كما يعرض على إمرأته .

الثالث : قالوا : إن حكم الطفل يتبع حكم أبيه في الدفن ، ومنع التوارث ، والصلاة عليه ، ومنع التزويج .

والجواب : أن المنكر عقابه لأجل جرم أبيه ، وليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء ، إذا لم يجعل له بها ألم وعقوبة ، ولا ألم له في منعه من الدفن والتوارث وترك الصلاة عليه .

١٤ - باب من رفع عنه القلم، ونفي الحرج في الدين، وشرائط

صحة التكليف وما يعذر فيه الجاهل وأنه يلزم على الله التعريف

الآيات: البقرة (٢): ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٢٥٦). «وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ (٢٨٦).

الأنعام (٦): ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٠٤).

الأنعام (٦) الأعراف (٧): ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١٥٢).

الأنفال (٨): ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٢).

التوبة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْذِلَ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ بُيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ (١١٥).

النحل (١٦): ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩).

الإسراء (١٧): ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَنَا مَتَّبِعُهُ لِلنَّفْسِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥).

طه (٢٠): ﴿وَلَوْ أَنَّا أَفْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ (١٣٤).

الحج (٢٢): ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٧٨).

النور (٢٤): ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٨) «وقال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٩).

الشعراء (٢٦): ﴿وَمَا أَفْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ (٢٨) «ذكرى وما كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩).

القصص (٢٨): ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) «وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٥٩).

الأحزاب (٣٣): ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (٥).

الطلاق (٦٥): ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (١٧).

تفسير: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قيل: هو منسوخ بآيات الجهاد. وقيل: خاص بأهل الكتاب. وقيل: الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً؛ ولكن ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلت الدلائل على أن الإيمان

يوصل إلى السعادة، والكفر يوصل إلى الشقاوة، والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان من غير إلجاء وإكراه^(١) ﴿إِلَّا وَسْعَهَا﴾ أي ما يسعه قدرتها، أو ما دون مدى طاقتها، بحيث يتسع فيه طوقها كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾^(٢).

﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي لا تؤاخذنا بما أذى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة، أو يكون سؤالاً على سبيل التضرع والاستكانة، وإن كان ما يسأله لازماً على الله تعالى، أو المراد بنسينا تركنا، وبأخطأنا أذنبنا. ﴿إِصْرًا﴾ أي عبئاً ثقيلاً يأصر صاحبه أي يحبس في مكانه، يريد به التكاليف الشاقة. ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي من البلياء والعقوبة أو ما يثقل علينا تحمله من التكاليف الشاقة، وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه^(٣): إني لا أطيقه؛ أو يكون الدعاء على سبيل التعبّد كما مرّ.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي ليموت من يموت عن بيّنة عاينها، ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها، لئلا يكون له حجة ومعذرة؛ أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بيّنة، على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام، والمراد بمن هلك ومن حيّ المشارف للهلك والحياة، أو من هذا حاله في علم الله وقضائه^(٤).

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ أي ليسميهم ضلالاً، أو يؤاخذهم مؤاخذتهم ويعذبهم ويضلّهم عن سبيل الجنة^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي يجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ أي من السبيل ما هو عادل عن الحق. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ لولا الأولى امتناعية، ولولا الثانية تحضيضية، وجواب الأولى محذوف، أي ما أرسلناك. قوله تعالى: ﴿فِي أُمَمٍ أَيْ فِي أَصْلَافٍ وَمَعْظَمُهَا فَإِنَّ الْأَشْرَافَ غَالِبًا يَسْكُنُونَ الْمَدَنَ﴾. ﴿إِلَّا مَا آتَيْنَاهَا﴾ أي إلا بقدر ما أعطاها من الطاقة^(٦).

١ - ب: هارون، عن ابن زياد، عن جعفر، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: ممّا أعطى الله أمّتي وفضلهم به على سائر الأمم أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها إلا نبي، وذلك أن الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبياً قال له اجتهد في دينك ولا حرج عليك. وإن الله تبارك وتعالى أعطى ذلك أمّتي حيث يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ يقول: من ضيق. الخبر^(٧).

٢ - ب: البزاز، عن أبي البختري، عن جعفر، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب قال: لا غلظ على مسلم في شيء^(٨).

(١) (٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢١٧ و ٢٣٤. (٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٥٣.

(٥) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢١١. (٦) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٠٧.

(٧) قرب الإسناد، ص ٨٤ ح ٢٧٧. (٨) قرب الإسناد، ص ١١٣. وفيه: لا غلط...

٣- ل: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن محمد بن سنان، عن ابن مسكان، عن موسى بن بكر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يغمى عليه اليوم واليومين والثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك، كم يقضي من صلاته؟ فقال: ألا أخبرك بما يجمع لك هذا وأشباهه، كلما غلب الله عز وجل عليه من أمر فالله أعذر لعبده. وزاد فيه غيره: إن أبا عبد الله عليه السلام قال: وهذا من الأبواب التي يفتح كل باب منها ألف باب ^(١).

٤- سنن: علي بن الحكم، عن أبان الأحمر، عن حمزة الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: اكتب، وأملئ: إن من قولنا: إن الله يحتج على العباد بالذي آتاهم وعرفهم، ثم أرسل إليهم رسولا وأنزل عليه الكتاب، وأمر فيه ونهى، أمر فيه بالصلاة والصوم فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال: أنا أنيمك وأنا أوقظك، فإذا قمت فصل ليعلّموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون: إذا نام عنها هلك؛ وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصحك، فإذا شفيتك فاقضه. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً إلا والله عليه حجة وله فيه المشية، ولا أقول: إنهم ما شاؤوا صنعوا. ثم قال: إن الله يهدي ويضل، وقال: ما أمروا إلا بدون سعتهم، وكل شيء أمر الناس به فهم يسعون له، وكل شيء لا يسعون له فموضوع عنهم ولكن الناس لا خير فيهم، ثم تلا: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ فوضع عنهم ما على المؤمنين من سبيل ^(٢) والله عفو رحيم ^(٣) ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قال: فوضع عنهم لأنهم لا يجدون ما ينفقون، وقال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٤).

شيء: عن زرارة وحمزان ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام مثله.

٥- سنن: محمد بن علي، عن حكم بن مسكين الثقفي، عن النضر بن قرواش قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنما احتج الله على العباد بما آتاهم وعرفهم ^(٥).

سنن: بعض أصحابنا، عن ابن أسباط، عن حكم بن مسكين مثله ^(٦).

٦- سنن: أبي، عن صفوان، عن منصور بن حازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الناس مأمورون ومنهون ومن كان له عذر عذره الله ^(٧).

٧- سنن: ابن فضال، عن ثعلبة، عن حمزة بن الطيار، وحدثنا أبي، عن فضالة عن أبان الأحمر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى

(١) الخصال، ص ٦٤٤ باب ما بعد الألف ح ٢٤.

(٢) المحاسن، ص ٢٣٦ والآيات من سورة التوبة ٩١-٩٣.

(٣) المحاسن، ص ٢٣٦.

(٤) - (٥) المحاسن، ص ٢٧٥-٢٧٦.

يَبْتَغِ لَهُمْ مَا يَنْقُوتُ ﴿١﴾ قال: حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه، وقال: ﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال: بين لها ما تأتي وما تترك؟ وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ قال: عرفناه فإما أخذ وإما ترك.

وسأله عن قول الله: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يشتهي سمعه وبصره ولسانه ويده وقلبه؛ أما إنه هو عسى شيء مما يشتهي فإنه لا يأتيه إلا وقلبه منكسر، لا يقبل الذي يأتي، يعرف أن الحق غيره. وعن قوله: ﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَمَهْدِيَّتُهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ قال: نهاهم عن فعلهم فاستحبوا العمى على الهدى وهم يعرفون^(١).

٨ - سنن: ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ قال: علمه السبيل فإما أخذ فهو شاكر، وإما تارك فهو كافر^(٢).

٩ - سنن: ابن يزيد، عن رجل، عن الحكم بن مسكين، عن أيوب بن الحر بياع الهروي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أيوب ما من أحد إلا وقد يرد عليه الحق حتى يصدع، قبله أم تركه، وذلك أن الله يقول في كتابه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾^(٣).

بيان: الصدع الإظهار والتبيين، وقال البيضاوي في قوله: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي فيمحقه وإنما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلاية المرمي، والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤذي إلى زهوق الروح تصويراً لإبطاله، ومبالغة فيه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك، والزهوق: ذهاب الروح، وذكره لترشيح المجاز^(٤).

١٠ - سنن: أبي، عن يونس، عن حماد بن عثمان، عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: لا؛ قلت: فهل كلّفوا المعرفة؟ قال: لا إن على الله البيان، لا يكلف الله العباد إلا وسعها. ولا يكلف نفساً إلا ما آتاها^(٥).

١١ - سنن: عدة من أصحابنا، عن علي بن أسباط، عن جميل بن دراج، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى ليمن على قوم وما فيهم خير فيحتج الله عليهم فيلزمهم الحجة^(٦).

١٢ - سنن: ابن محبوب، عن سيف بن عميرة، وعبد العزيز العبدي، وعبد الله ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أرى الله أن يعرف باطلاً حقاً، أرى الله أن يجعل الحق في

(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٠٨.

(١) - (٣) المحاسن، ص ٢٧٦.

(٥) - (٦) المحاسن، ص ٢٧٦-٢٧٧.

قلب المؤمن باطلاً، لا شك فيه، وأبى الله أن يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقاً، لا شك فيه، ولو لم يجعل هذا هكذا ما عرف حق من باطل^(١).

١٣ - ل: الحسن بن محمد السكوني، عن محمد بن عبد الله الحضرمي، عن إبراهيم ابن أبي معاوية، عن أبيه، عن الأعمش، عن ابن ظبيان قال، أتني عمر بامرأة مجنونة قد فجرت، فأمر برجمها، فمروا بها على علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ما هذه؟ قالوا: مجنونة فجرت فأمر بها عمر أن ترجم؛ قال: لا تعجلوا، فأتني عمر فقال له: أما علمت أن القلم رفع عن ثلاث: عن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ^(٢)؟

١٤ - يد، ل: العطار، عن سعد، عن ابن يزيد، عن حماد، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: رفع عن أمتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطيرة والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة^(٣).

بيان: المراد بالرفع في أكثرها رفع المؤاخذه والعقاب، وفي بعضها يحتمل رفع التأثير، وفي بعضها النهي أيضاً، فأما اختصاص رفع الخطأ والنسيان بهذه الأمة فلعله لكون سائر الأمم مؤاخذين بهما إذا كان مباديهما باختيارهم، على أنه يحتمل أن يكون المراد اختصاص المجموع، فلا ينافي اشتراك البعض.

وأما ما أكرهوا عليه فلعله كان يلزمهم تحمّل المشاق العظيمة فيما أكرهوا عليه، وقد وسّع الله على هذه الأمة بتوسيع دائرة التقية. وأما ما لا يعلمون فرفع كثير منها ظاهر كالصلاة في الثوب والمكان المفصوبين والثوب النجس، والسجود على الموضع النجس، وجهل الحكم في كثير من المسائل، والجهل بالأحكام التي لم تصل إلينا، ولعل سائر الأمم كانوا يؤخذون بالقضاء والإعادة، واللفظ وإن كان عاماً لكنه مختص بالإجماع بالموارد الخاصة. وأما ما لا يطيقون فقد مرّ بيانه.

وأما الطيرة - بكسر الطاء وفتح الياء وسكونها، وهو ما يتشاءم به من الفال الردي - فيمكن أن يكون المراد برفعها النهي عنها، بأن لا تكون منهيّاً عنها في الأمم السالفة، ويحتمل أن يكون المراد تأثيرها، أو حرمة تأثر النفس بها والاعتناء بشأنها، والآخر أظهر، وسيأتي بيانها. وكذا الحسد يحتمل الوجهين الأولين وثالثاً وهو عدم حرمة ما لا يظهر من الحسد، وهو أظهر كما ورد في الأخبار: ألا إن المؤمن لا يظهر الحسد.

وأما التفكر في الوسوسة في الخلق ويحتمل أن يكون المعنى التفكر فيما يوسوس الشيطان في القلب في الخالق ومبدئه وكيفية خلقه فإنها معفو عنها ما لم يعتقد خلاف الحق،

(٢) الخصال، ص ١٧٥ باب الثلاثة: ح ٢٣٣.

(١) المحاسن، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) التوحيد، ص ٣٥٣ باب ٥٦ ح ٢٤.

وما لم ينطق بالكفر الذي يخطر بباله، أو المراد التفكر في خلق الأعمال ومسألة القضاء والقدر؛ أو المراد التفكر فيما يوسوس الشيطان في النفس من أحوال المخلوقين وسوء الظن بهم في أعمالهم وأحوالهم، ويؤيد الأخير كثير من الأخبار، وقد فصلنا القول فيه في شرح روضة الكافي.

١٥ - بين: فضالة، عن سيف بن عميرة، عن إسماعيل الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: وضع عن هذه الأمة ستة: الخطأ، والنسيان، وما استكروها عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا عليه.

١٦ - بين: عن ربعي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الله عفى عن أمتي ثلاثاً: الخطأ، والنسيان، والاستكراه. وقال أبو عبد الله عليه السلام: وفيها رابعة: وما لا يطيقون.

١٧ - يده: عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام: وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه.

١٨ - بين: عن أبي الحسن قال: سأله عن الرجل يستكره على اليمين فيحلف بالطلاق والعناق وصدقة ما يملك، أيلزمه ذلك؟ فقال: لا. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: وضع عن أمتي ما أكرهوا عليه، وما لم يطيقوا، وما أخطأوا.

عده اعتقادنا في التكليف هو أن الله تعالى لم يكلف عباده إلا دون ما يطيقون كما قال الله ﻋﺰﻩ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ والوسع دون الطاقة.

١٩ - قال الصادق عليه السلام: والله ما كلف الله العباد إلا دون ما يطيقون لأنه كلفهم في كل يوم وليلة خمس صلوات، وكلفهم في السنة صيام ثلاثين يوماً، وكلفهم في كل مائتي درهم خمسة دراهم، وكلفهم حجة واحدة، وهم يطيقون أكثر من ذلك^(١).

٢٠ - ما: جماعة، عن أبي المفضل، عن أحمد بن محمد بن الحسين العلوي، عن محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى، عن عميه علي والحسين ابني موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﷺ قال: يوحى الله ﻋﺰﻩ إلى الحفظة الكرام: لا تكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً^(٢).

٢١ - نهج: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قد بصرتم إن أبصرتم، وقد هديتم إن اهتديتم، وأسמעتم إن استمعتم^(٣).

٢٢ - وقال عليه السلام: قد أضاء الصبح لذي عينين^(٤).

(١) اعتقادات الصدوق، ص ٦٨-٦٩. (٢) أمالي الطوسي، ص ٥٧١ مجلس ٢٢ ح ١١٨٣.

(٣) نهج البلاغة قصار الحكم، برقم ١٥٧. (٤) نهج البلاغة قصار الحكم برقم ١٦٩.

٢٣ - كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي: بإسناده عن يحيى بن سعيد، عن أبيه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنه ليس لهالك هلك من يعذره في تعمّد ضلالة حسبها هدى، ولا ترك حق حسبه ضلالة^(١).

٢٤ - سنن أبي، عن يونس رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس من باطل يقوم بإزاء الحق إلا غلب الحق الباطل، وذلك قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(٢).

٢٥ - سنن التوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل قوم يعملون على ريبة من أمرهم، ومشكلة من رأيهم، وزارئ منهم على من سواهم، وقد تبين الحق من ذلك بمقايسة العدل عند ذوي الألباب^(٣).

٢٦ - شي: عن زرارة وحمزان ومحمد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام قال: في آخر البقرة لما دعوا أجيبوا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال: ما افترض الله عليها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وكذا قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾^(٤).

٢٧ - شي: عن عمرو بن مروان الخزاز قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: رفعت عن أمتي أربع خصال: ما أخطؤوا، وما نسوا، وما أكرهوا عليه، وما لم يطبقوا؛ وذلك في كتاب الله قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ وقول الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٥).

٢٨ - شي: عن محمد بن حكيم رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله أتستطيع النفس المعرفة؟ قال: فقال: لا، فقلت: يقول الله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(٦) قال: هو كقوله: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ قلت: فعابهم؟ قال: لم يعابهم بما صنع في قلوبهم، ولكن عابهم بما صنعوا ولو لم يتكلفوا لم يكن عليهم شيء^(٧).

بيان: أي الغطاء والمنع عن السمع والبصر إنما ترثبت على أعمالهم السيئة، فإنما عابهم على أفعالهم التي صارت أسباباً لتلك الحالات؛ أو المعنى أن المراد بالغطاء وعدم استطاعة السمع والبصر ما سلطوا على أنفسهم من التعصب والامتناع عن قبول الحق، لا شيء صنعه الله في قلوبهم وسمعهم وبصرهم.

(١) الغارات ص ٣٤٢.

(٢) - (٣) المحاسن، ص ٢٧٧.

(٤) - (٥) تفسير العياشي ج ١ ص ١٨٠ ح ٥٣٤ و ٥٣٥.

(٦) سورة الكهف، الآية: ١٠١.

(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٧٧ ح ٨٨.

٢٩ - كاه علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده وسأله رجل عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب: يؤاخذ الله به؟ فقال: الله أكرم من أن يستغلق عبده. وفي نسخة أبي الحسن الأول عليه السلام: يستغلق عبده^(١).

توضيح: قوله: من أن يستغلق عبده أي يكلفه ويجبره فيما لم يكن له فيه اختيار، قال الفيروزآبادي: استغلقني في بيعته: لم يجعل لي خياراً في رده. قوله: وفي نسخة أبي الحسن الأول يستغلق لعله كان الحديث في بعض الأصول مروياً عن أبي الحسن عليه السلام، وفيه كان «يستغلق» بالقاف، من القلق بمعنى الانزعاج والاضطراب، ويرجع إلى الأول بتكلف.

تذييب: قال السيد المرتضى رحمه الله: إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿هَآ كَآؤَآ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَآؤَآ يَبْصُرُونَ﴾ كيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار، وأكثرهم كان يسمع بأذنه ويرى بعينه؟ قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أن يكون المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون، وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق، فأسقطت الباء من الكلام، وذلك جائز، كما جاز في قولهم: لأجزيتك بما عملت، ولأجزيتك ما عملت؛ ولأحدثتك بما عملت، ولأحدثتك ما عملت.

والثاني: أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تذكرها وتدبرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل: ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته إلى فلان، وما يقدر أن يكلمه. ومعنى ما كانوا يبصرون: أن إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها، فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه.

والثالث: أن يكون معنى نفي السمع والبصر راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم، وتقدير الكلام: أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب، ثم قال مخبراً عن الآلهة: ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، وهذا الوجه يروى عن ابن عباس، وفيه أدنى بعد. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن تكون «ما» في قوله: ﴿هَآ كَآؤَآ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم: لأواصلتك ما لاح نجم، ويكون المعنى: أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، أي أنهم معذبون ما كانوا أحياء^(٢).

وقال رحمه الله في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا﴾ قيل: المراد بنسينا تركنا،

(١) روضة الكافي الموجود مع الاصول طبعة الأعلمي، ص ٧٩١ ح ٣٦٠.

(٢) أمالي المرتضى، ج ٣ ص ١٤.

قال قطرب: معنى النسيان ههنا الترك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنُوسٍ﴾^(١) أي ترك، ولولا ذلك لم يكن فعله معصية، وكقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته، وقد يقول الرجل لصاحبه: لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها، وقد يمكن في الآية وجه آخر وهو أن يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم، ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد بيناه فيما تقدم من السؤال على سبيل الانقطاع إلى الله والاستغاثه به وإن كان مأموناً منه المؤاخذه بمثله، ويجري مجرى قوله: ﴿وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ وهذا الوجه أيضاً يمكن في قوله: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إذا كان الخطأ ما وقع سهواً أو عن غير عمد، فأما على ما يطابق الوجه الأول فقد يجوز أن يريد بالخطأ ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيئ، وعن جهل بأنها معاصي، لأن من قصد شيئاً على اعتقاده أنه بصفة وقوع ما هو بخلاف معتقده يقال: قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل، ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين، ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا وفعلنا قبيحاً، وإن كانوا له متعمدين وبه عالمين، لأن جميع معاصينا لله تعالى قد يوصف كلها بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب، وإن كان فاعلها متعمداً، وكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه من الواجبات، ومما فعلوه من المقبحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب، والله أعلم بمراده^(٢).

١٥ - باب علة خلق العباد وتكليفهم، والعلة التي من أجلها

جعل الله في الدنيا اللذات والآلام والمحن

الآيات: الحجر «١٥»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ﴾ «٨٥».

الأنبياء: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ﴾^(١) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَا لَآخِذَةً مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ^(٢) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ^(٣).

المؤمنون «٢٣»: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ «١١٥».

الفرقان «٢٥»: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ «٧٧».

الروم «٣٠»: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ «٨» وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ «٤١».

الأحزاب «٣٣»: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ «٧٢».

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٢) أمالي المرتضى، ج ٤ ص ٤٣.

ص «٣٨»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «٢٧».

الزمر «٣٩»: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ «٥٠».

حمسق [الشورى] «٤٢»: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ «٣٠».

الدخان «٤٤»: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِيْبِيتَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

الجاثية «٤٥»: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ «٢٢».

الأحقاف «٤٦»: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ «٣١».

الذاريات «٥١»: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾﴾.

القيامة «٧٥»: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ «٣٦».

تفسير: قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِيْبِيتَ﴾: وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار، وتذكراً لذوي الاعتبار، وتسيباً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتشبهوا بها إلى تحصيل الكمال، ولا يغتروا بزخارفها، فإنها سريعة الزوال. ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوَكَ﴾ ما يتلهى به ويلعب ﴿لَا تَخَذُّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من جهة قدرتنا، أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة، كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها، وتسوية الفروش وتزيينها. وقيل: اللهو: الولد بلغة اليمن. وقيل: الزوجة، والمراد الرد على النصارى. ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ ذلك، ويدل على جوابه الجواب المتقدم. وقيل: «إن» نافية، والجملة كالنتيجة للشرطية ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ ^(١) الذي من عداد اللهو ﴿فَيَذْمُغُهُ﴾ فيمحقه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك انتهى ^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ استدلال على البعث بأن لذات هذه الدار الفانية لا تليق بأن تكون مقصودة لخلق هذه العالم مع هذه الآلام والمشاق والمصائب المشاهدة فيها فلو لم يكن لاستحقاق دار أخرى باقية خالية عن المحن والآلام لكان الخلق عبثاً ولذا قال بعده: ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَدْعُوا بِكُمْ بِلَا دُعَائِكُمْ﴾ أي ما يصنع بكم أو لا يعتد بكم لولا دعاؤكم إلى الدين، أو لولا عبادتكم، أو لولا دعاؤكم لله عند الشدائد، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٠٨.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ قيل: هي التكليف بالأوامر والنواهي، والمعنى أنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذا شعور وإدراك ﴿فَأَيُّكُمْ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فإن الراعي لها بخير الدارين ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ لَكُمْ ظُلُومًا﴾ حيث لم يراع حقها ﴿جَهُولًا﴾ بكنه عاقبتها. وقيل: المراد الطاعة التي تعم الاختيارية والطبيعية، وعرضها: استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها. والظلم والجهالة: الخيانة والتقصير. وقيل: إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً وقال لها: إني فرضت فريضةً وناراً لمن عصاني، فقلن: نحن مسخرات على ما خلقنا لا نحتمل فريضة، ولا نبغي ثواباً ولا عقاباً؛ ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحملة، وكان ظلوماً لنفسه بتحمل ما يشق عليها، جهولاً بوخامة عاقبته وقيل: المراد بالأمانة العقل أو التكليف، وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن، وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية^(١)، وقد ورد في بعض الروايات أن المراد بها الخلافة والمراد بالإنسان أبوبكر، وسيأتي شرحها في أبواب الآيات النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام.

١- ع: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان، عن عبد الكريم بن عبيد الله، عن سلمة بن عطاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال: أيها الناس! إن الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه فقال له رجل: يا بن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته.

قال الصدوق رحمته الله: يعني بذلك أن يعلم أهل كل زمان أن الله هو الذي لا يخلّيهم في كل زمان من إمام معصوم، فمن عبد رباً لم يقم لهم الحجة فإنما عبد غير الله تعالى عليه السلام ^(٢).

بيان: يحتمل أن يكون المراد أن معرفة الله تعالى إنما ينفع مع سائر العقائد التي منها معرفة الإمام، أو أن معرفة الله إنما يحصل من معرفة الإمام، إذ هو السبيل إلى معرفته تعالى.

٢- ع: الطالقاني، عن عبد العزيز بن يحيى الجلودي، عن محمد بن زكريا الجوهري، عن جعفر بن محمد بن عمار، عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: لم خلق الله الخلق؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليحلب منهم منفعة، ولا ليدفع بهم مضرة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد^(٣).

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٩ باب ٩ ح ١.

(١) تفسير البضاوي، ج ٣ ص ٣٩٥.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٩ باب ٩ ح ٣.

٣ - ع: أبي، عن الحميري، عن هارون، عن ابن زياد قال: قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام: يا أبا عبد الله إنا خلقنا للعجب! قال: وما ذاك الله أنت؟ قال: خلقنا للفناء! فقال: مه يا بن أخ! خلقنا للبقاء، وكيف تفنى جنة لا تبيد ونار لا تخمد؟ ولكن قل: إنما نتحول من دار إلى دار^(١).

٤ - ع: الحسين بن يحيى بن ضريس البجلي، عن أبيه، عن محمد بن عمارة السكري عن إبراهيم بن عاصم، عن عبد الله بن هارون الكرخي، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد بن سلام بن عبد الله مولى رسول الله ﷺ، عن أبيه عبد الله، عن أبيه يزيد، عن أبيه سلام بن عبد الله أخيه عبد الله بن سلام، عن عبد الله بن سلام مولى رسول الله ﷺ قال: في صحف موسى ابن عمران عليه السلام: يا عبادي إني لم أخلق الخلق لأستكثر بهم من قلة، ولا لأنس بهم من وحشة، ولا لأستعين بهم على شيء عجزت عنه، ولا لجر منفعة ولا لدفع مضرة، ولو أن جميع خلقي من أهل السماوات والأرض اجتمعوا على طاعتي وعبادتي لا يفترون عن ذلك ليلاً ولا نهاراً ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، سبحانه وتعالى عن ذلك^(٢).

٥ - ع: السنائي، عن محمد الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن علي بن سالم عن أبيه، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله يَعْبُدُونَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: خلقهم ليأمرهم بالعبادة، قال: وسألته عن قوله يَعْبُدُونَ: ﴿وَمَا يَزَالُونَ يُخْلِفُونَ﴾ ١١٨ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^(٣) قال: خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم^(٤).

بيان: قال الطبرسي رحمته الله في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي لم أخلق الجن والإنس إلا لعبادتهم إيتاي فإذا عبدوني استحقوا الثواب. وقيل: إلا لأمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة، واللام لام الغرض، والمراد أن الغرض في خلقهم تعريض الثواب، وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات، فصار كأنه سبحانه خلقهم للعبادة، ثم إنه إذا لم يعبدوه قوم لم يبطل الغرض، ويكون كمن هباً طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضرُوا ولم يأكله بعضهم، فإنه لا ينسب إلى السفه ويصح غرضه، فإن الأكل موقوف على اختيار الغير، وكذلك المسألة فإن الله إذا أراح علة المكلفين من القدرة والآلة والألطف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتى من قبل نفسه لا من قبله سبحانه. وقيل: معناه: إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً. ثم قال تعالى: ﴿هَآءِ أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقِي وَمَآ أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ لنفي إيهام أن يكون ذلك لعائدة نفع تعود إليه تعالى فيبين أنه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لأنه غني بنفسه، غير محتاج إلى غيره، وكل الخلق محتاجون إليه. وقيل: معناه: ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي، وإنما أسند الطعام

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٢ باب ٩ ح ٥ و ٩.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١١٨ و ١١٩.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٤ باب ٩ ح ١٠.

إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله، ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه^(١).

٦- ع: ابن الوليد، عن الصفار، عن البرقي، عن عبد الله بن أحمد النهيكي، عن علي بن الحسن الطاطري، عن درست، عن جميل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾؟ فقال: خلقهم للعبادة^(٢).

٧- ع: ابن المتوكل، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن الحسن بن فضال، عن ثعلبة، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله عن قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ قال: خلقهم للعبادة، قلت: خاصة أم عامة؟ قال: لا بل عامة^(٣).

بيان: لما توهم الراوي أن معنى الآية أن الغرض من الخلق حصول نفس العبادة فيلزم تخلف الغرض في الكفار، فلهذا سأل ثانياً أن هذا خاص بالمؤمنين، أو عام لجميع الخلق؟ فأجاب عليه السلام بأنه عام، إذ الغرض التكليف بالعبادة وقد حصل من الجميع.

٨- ع: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري قال: إنما جعلت العاهات في أهل الحاجة لئلا يستتروا ولو جعلت في الأغنياء لسترت^(٤).

٩- لي: العطار، عن سعد، عن النهدي، عن ابن محبوب، عن سماعة، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: إن العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفرها به ابتلاه الله تعالى بالحزن في الدنيا ليكفرها [به]، فإن فعل ذلك به وإلا أسقم بدنه ليكفرها به، فإن فعل ذلك به وإلا شدد عليه عند موته ليكفرها به، فإن فعل ذلك به وإلا عذب به في قبره ليلقى الله تعالى يوم يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه^(٥).

١٠- هـ: الغضائري، عن علي بن محمد العلوي، عن الحسن بن علي بن صالح، عن الكليني، عن علي بن محمد، عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن الحسن بن علي عليه السلام قال: إن الله تعالى بمنه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه بل رحمة منه، لا إله إلا هو، ليميز الخبيث من الطيب، وليبلي ما في صدوركم، وليمتحن ما في قلوبكم، ولتسابقوا إلى رحمته، ولتفاضل منازلكم في جنته^(٦). إلى آخر ما سيأتي في كتاب الامامة.

١١- نهج: قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: بعث رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الإعذار إليهم فدعاهم بلسان

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٦٩. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٥ باب ٩ ح ١١.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٥ باب ٩ ح ١٢. (٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٣ باب ٧٦ ح ١.

(٥) أمالي الصدوق، ص ٢٤٢ مجلس ٢٩ ح ٤ وزيادة [به] من المصدر.

(٦) أمالي الطوسي، ص ٦٥٤ مجلس ٣٤ ح ١٣٥٥.

الصدق إلى سبيل الحق، إلا أن الله قد كشف الحق لا أنه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم، ولكن ليلوهم أيهم أحسن عملاً، فيكون الثواب جزاءً والعقاب بواءاً^(١).

بيان: قال في النهاية: الجراحات بواء أي سواء في القصاص، ومنه حديث عليّ عليه السلام: والعقاب بواء؛ وأصل البوء: اللزوم.

١٢ - ل: أبي، عن الحميري، عن هارون، عن ابن زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لولا ثلاث في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء: المرض، والفقر، والموت، وكلهم فيه وإنه معهم لوثاب^(٢).

١٣ - ج: وروي أنه اتصل بأمير المؤمنين عليه السلام أن قوماً من أصحابه خاضوا في التعديل والتجوير، فخرج حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة، وأخلاق شريفة، فعلم أنهم لم يكونوا كذلك إلا بأن يعرفهم ما لهم وما عليهم، والتعريف لا يكون إلا بالأمر والنهي، والأمر والنهي لا يجتمعان إلا بالوعد والوعيد، والوعد لا يكون إلا بالترغيب، والوعيد لا يكون إلا بالترهيب، والترغيب لا يكون إلا بما تشتهيهم أنفسهم وتلذذ أعينهم، والترهيب لا يكون إلا بضد ذلك، ثم خلقهم في داره وأراهم طرفاً من اللذات ليستدلوا به على ما ورائهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم، ألا وهي الجنة؛ وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلوا به على ما ورائهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لذة، ألا وهي النار؛ فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها، وسرورها ممزوجاً بكدرها وغمومها.

قيل: فحدث الجاحظ بهذا الحديث فقال: هو جماع الكلام الذي دونه الناس في كتبهم وتحاوروه بينهم. قيل: ثم سمع أبو عليّ الجبائي بذلك فقال: صدق الجاحظ، هذا ما لا يحتمله الزيادة والنقصان^(٣).

١٤ - ج: روى هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام: لأي علة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ولا مضطر إلى خلقهم، ولا يليق به العبث بنا؟ قال: خلقهم لإظهار حكمته، وإنفاذ علمه، وإمضاء تديره؛ قال: وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحبس عقابه؟ قال: إن هذه دار بلاء، ومتجر الثواب، ومكتسب الرحمة، ملئت آفات وطبقت شهوات ليختبر فيها عباده بالطاعة، فلا يكون دار عمل دار جزاء. الخبر^(٤).

١٥ - هـ: جماعة، عن أبي المفضل، عن عبد الله بن الحسين العلوي، عن عبد العظيم الحسيني، عن أبي جعفر الجواد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: المرض لا

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٤٢ ص ٢٩٢. (٢) الخصال، ص ١١٣ باب الثلاثة ح ٨٩.

(٣) الاحتجاج، ص ٢٠٧.

(٤) الاحتجاج، ص ٣٣٨.

أجر فيه، ولكته لا يدع على العبد ذنباً إلا حظه، وإنما الأجر في القول باللسان، والعمل بالجوارح؛ وإن الله بكرمه وفضله يدخل العبد بصدق النية والسريرة الصالحة الجنة^(١).

١٦- ثوب: أبي، عن أحمد بن إدريس، ومحمد العطار جميعاً، عن الأشعري، عن محمد ابن حسان، عن الحسين بن محمد النوفلي، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علي، عن عيسى بن عبد الله العمري، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين عليه السلام، في المرض يصيب الصبي؟ قال: كفارة لوالديه^(٢).

١٧- شي: عن يعقوب بن شعيب^(٣)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن قول الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ قال: خلقهم للعبادة؛ قال: قلت وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ تُخَلِّفُونَ﴾ (١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^(٤)؟ فقال: نزلت هذه بعد تلك^(٥).

١٨- كشف: من كتاب الدلائل للحميري، عن داود بن أعين قال: تفكرت في قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ قلت: خلقوا للعبادة، ويعصون ويعبدون غيره؛ والله لأسألك جعفرأ عن هذه الآية؛ فأتيت الباب فجلست أريد الدخول عليه، إذ رفع صوته فقرا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ ثم قرا: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ فعرفت أنها منسوخة^(٦).

بيان: هذا الخبر والخبر السابق يدلان على أن آية ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ منسوخة، ولعل المعنى أنه على تقدير تسليم دلالتها على ما يزعمون فهي منسوخة بآيات معارضة لما نزلت بعدها، ويكون المراد بالنسخ البداء، أو التخصيص، أو التبيين.

أقول: إقامة البراهين العقلية على حسن التكليف ووقوع الآلام والأحزان والأمراض ووجوب العوض على الله تعالى فيها، والفرق بين الثواب والعوض موكول إلى مظانها من الكتب الكلامية، والتعرض لها خروج عن مقصود الكتاب.

١٦ - باب عموم التكليف

الآيات: المدثر (٧٤): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٢) قَالُوا لَوْ نَكُن مِن الْمُصَلِّينَ (٣).

١- شي: عن البرقي، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (٧) قال: هي للمؤمنين خاصة^(٨).

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٠٢ مجلس ٢٧ ح ١٢٤٥. (٢) ثواب الأعمال، ص ٢٣٠.

(٣) في المصدر: يعقوب بن سعيد. (٤) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٧٤ ح ٨٣. (٦) كشف الغمة، ج ٢ ص ٤١٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٣. (٨) تفسير العياشي، ج ١ ص ٩٧ ح ١٧٥.

٢ - شيء: عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ قال: فقال: هذه كلها تجمع الضلال والمنافقين وكل من أقر بالدعوة الظاهرة^(١).

بيان: كون ظاهر الخطاب المصدّر بها أيها الذين آمنوا مختصاً بالمؤمنين، أو بهم وبالمنافقين والمخالفين لا ينافي شمول التكاليف بدليل آخر لجميع المكلفين، وقد حقق ذلك في كتب الأصول وكتب الكلام^(٢).

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٩٧ ح ١٧٦.

(٢) الظاهر من الآيات والروايات المباركات والأدلة العقلية، تعميم التكاليف الفرعية لكل من أقر بالدعوة الظاهرة من الشهادة بالوحدانية والرسالة، وغيرهم مكلفون بالأصول أعني الإيمان بالله وبرسوله، ثم التكاليف الفرعية، كما اختاره الكاشاني في الوافي، وصاحب الحقائق في باب غسل الجنابة، والمحدث الأمين الأسترآبادي وغيرهم، واحتجوا بذلك بوجوه ستة عقلية ونقلية. الأول: عدم الدليل على تكليف غيرهم وهو دليل عدم، كما هو المسلّم بينهم، والدليل الذي أقاموا عليه، كما سيجيء إن شاء الله. الثاني: لزوم تكليف ما لا يطاق، إذ تكليف الجاهل بما هو جاهل به تصوراً وتصديقاً عين تكليف ما لا يطاق، وهو مما منعه الأدلة العقلية والنقلية. والثالث: أنه لم ينقل أنه عليه السلام أمر أحداً ممن دخل في الإسلام أن يقضي صلاته وصيامه، وأن يغتسل من الجنابة بعد الإسلام، ولو أمر بذلك لنقل لنا. وما روي من أمر النبي عليه السلام بالغسل لمن أراد الدخول في الإسلام، فخير عامي. والرابع: اختصاص الخطاب في الآيات القرآنية بالذين آمنوا، وورودها أيها الناس في بعض - وهو الأقل - يحمل على المؤمنين حمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، كما هو القاعدة المسلّمة بينهم قدس سرهم. الخامس: الأخبار الدالة على وجوب طلب العلم على كل مسلم فراجع ج ١ مكرراً. السادس: الأخبار الدالة على توقف التكليف على الإقرار والتصديق بالشهادتين: الأولى: ما رواه في الكافي باب معرفة الإمام بسند صحيح بالاتفاق عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال: إن الله تعالى بعث محمداً عليه السلام إلى الناس أجمعين رسولاً وحنة لله على جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمداً رسول الله عليه السلام، واتبعه وصدقه، فإن معرفة الإمام منّا واجبة عليه. ومن لم يؤمن بالله وبرسوله ولم يتبعه ولم يصدقه ويعرف حقهما، فكيف يجب عليه معرفة الإمام وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعرف حقهما؟ الخبر. وهذا كما ترى صريح الدلالة في أنه متى لم تجب معرفة الإمام قبل الإيمان بالله وبرسوله، فبطريق أولى معرفة سائر الفروع التي هي متلقاة من الإمام عليه السلام. قال المحدث الكاشاني في الوافي في شرح هذه الصحيحة بالاتفاق: وفي هذا الحديث دلالة على أن الكفار ليسوا مكلفين بشرائع الإسلام كما هو الحق خلافاً لما اشتهر بين متأخري أصحابنا؛ انتهى. الثاني: ما عن الاحتجاج عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الزنديق الذي جاء مستدلاً بآيات اشبهت عليه، قال عليه السلام: فكان أول ما قيدهم به الإقرار بالوحدانية والربوبية وشهادة أن لا إله إلا الله، فلما أقروا بذلك تلاه بالإقرار لنيته عليه السلام بالنبوة والشهادة بالرسالة. فلما انتقادوا لذلك، فرض عليهم الصلاة ثم الصوم ثم الحج؛ =

كان قبلكم، ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم، وإنما تسرون في أثر بين، وتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم^(١).

١٧ - باب أن الملائكة يكتبون أعمال العباد

الآيات: الأنعام ﴿٦﴾: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ﴿٦١﴾.

يونس ﴿١٠﴾: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ ﴿٢١﴾.

الرعد ﴿١٣﴾: ﴿لَمْ نُعْقِبْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ﴿١١﴾.

مريم ﴿١٩﴾: ﴿كَأَلَّا سَكَتُكَ مَا يَقُولُ﴾ ﴿٧٩﴾.

الأنبياء ﴿٢١﴾: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ

كَاتِبُونَ﴾ ﴿٩٤﴾.

المؤمنون ﴿٢٣﴾: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٢﴾.

يس ﴿٣٦﴾: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ ﴿١٢﴾.

الزخرف ﴿٤٣﴾: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾.

الجاثية ﴿٤٥﴾: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ نَدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ

عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ - ٢٨﴾.

ق ﴿٥٠﴾: ﴿إِذْ بَلَغَى الْأَمْلَاقَ عَنِ الْبَيْنِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿١٨﴾

القمر ﴿٥٤﴾: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾

التكوير ﴿٨١﴾: ﴿وَإِذَا الصُّفُوفُ نُشِرَتْ﴾ ﴿١٠﴾.

الانفطار ﴿٨٢﴾: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

الطارق ﴿٨٦﴾: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ﴿٤﴾.

= ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾ أهي لجماعة المسلمين؟ قال: هي للمؤمنين خاصة. الكافي: عن محمد بن حفص بن خازجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إلى أن قال: والأحكام تجري على القول والعمل فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر. وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله. وفي مسائل الجائليق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: فما الثلاثون؟ قال: ثلاثون ليلة من شهر رمضان صيامه فرض واجب على كل مؤمن إلا من كان مريضاً أو على سفر. واحتج العلامة في المنتهى على ما حكاه في الحقائق بآيات غير تامة الدلالة مخدوشة بما عرفت، فإن المطلقات مقيدات بغيرها وورود الروايات فيها على تفسير بخلاف ما يترأى في بدء النظر منها فلا يجوز الاستدلال بآية مفسرة في الروايات بخلاف ظاهرها، فراجع إلى الحقائق وإلى عوائد الأيام ص ٩٤. [مستدرک السفينة ج ٩ لغة «كلف»].

تفسيره: قال الطبرسي رحمه الله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي ملائكة يحفظون أعمالكم، ويحسونها عليكم ويكتبونها^(١)؛ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾: يعني الملائكة الحفظة^(٢). وفي قوله تعالى: ﴿لَمْ تُعَفِّتْ﴾: قيل: إنها الملائكة يتعاقبون، تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة الليل، وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله. وقيل: هم أربعة أملاك مجتمعون عند صلاة الفجر، وروي ذلك أيضاً عن أئمتنا عليهم السلام؛ وقيل: إنهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا سَكَتُكَ مَا يَقُولُ﴾: أي سنامر الحفظة بإثباته عليه لنجازه به في الآخرة^(٤)؛ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُرْكَبُونَ﴾ أي نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك فلا يضيع منه شيء. وقيل: أي ضامنون جزاءه^(٥)؛ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ يريد صحائف الأعمال^(٦)؛ وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ إذ متعلقة بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أي ونحن أعلم به وأملك له حين يتلقى المتلقيان، وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أراد: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فاكتمى بأحدهما عن الآخر؛ والمراد بالقعيد هنا الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. وقيل: عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيئات. وقيل: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار، وملكان بالليل، ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ أي ما يتكلم بكلام فيلفظه، أي يرميه من فمه ﴿إِلَّا لَدَيْنَا﴾ حافظ حاضر معه، يعني الملك الموكل به، إما صاحب اليمين، وإما صاحب الشمال، يحفظ عمله، لا يغيب عنه. والهاء في لديه تعود إلى القول أو إلى القائل. وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلا كتب واحدة.

وفي رواية أخرى: إن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين: أمسك، فيمسك عنه سبع ساعات، فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء وإن لم يستغفر الله كتبت له سيئة واحدة^(٧).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ أي من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملونه من الطاعات والمعاصي، ثم وصف الحفظة فقال: ﴿كَرَامًا﴾ على ربهم ﴿كَثِيرِينَ﴾ يكتبون

(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ١٧٣.

(٤) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٤٨.

(٦) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٩٨.

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٧٤.

(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٨.

(٥) مجمع البيان، ج ٧ ص ١١٢.

(٧) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٤٠.

أعمال بني آدم يعلمون ما يفعلون من خير وشر فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شيء. وقيل إن الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطراب وإما باستدلال. وقيل: معناه: يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن^(١).

١ - كاه: عذة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمنين إذا قعدا يتحدثان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا فلعلّ لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما؛ فقلت: أليس الله عز وجل يقول: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؟ فقال: يا إسحاق إن كانت الحفظة لا تسمع فإن عالم السر يسمع ويرى^(٢).

٢ - كاه: علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن عبد الرحمن بن سالم، عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني بأفضل المواقيت في صلاة الفجر، فقال: مع طلوع الفجر إن الله تعالى يقول: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٣) يعني صلاة الفجر تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار، فإذا صلى العبد الصبح مع طلوع الفجر أثبت له مرتين، أثبتها ملائكة الليل وملائكة النهار^(٤).

٣ - نهج: اعلموا عباد الله أن عليكم رصداً من أنفسكم، وعيوناً من جوارحكم، وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج، ولا يكتنم منهم باب ذو رتاج^(٥).

بيان: الرصد بالتحريك القوم يرصدون. والرتاج بالكسر: الغلق.

٤ - بين: الحسين بن علوان، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله عن موضع الملكين من الإنسان، قال: ههنا واحد، وههنا واحد. يعني عند شقيقه^(٦).

٥ - بين: ابن أبي عمير، عن محمد بن حمران، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من أحد إلا ومعه ملكان يكتبان ما يلفظه، ثم يرفعان ذلك إلى ملكين فوقهما فيثبتان ما كان من خير وشر ويلقيان ما سوى ذلك^(٧).

٦ - بين: حماد، عن حريز، وإبراهيم بن عمر، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يكتب الملكان إلا ما نطق به العبد^(٨).

٧ - بين: حماد، عن حريز، عن زرارة، عن أحدهما عليه السلام قال: لا يكتب الملك إلا ما

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٨٦.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٣٠ باب المصافحة ح ١٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٤) فروع الكافي، ج ٣ ص ١٤٤ باب ١٧٣ ح ٢.

(٥) نهج البلاغة، ص ٣١٦ خطبة ١٥٥.

(٦) - (٨) كتاب الزهد، ص ١٢١ باب ٩ ح ١-٣.

يسمع قال الله ﷻ : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾^(١) قال : لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد غير الله تعالى^(٢).

٨ - بين : النضر، عن حسين بن موسى، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر ﷺ قال : إن في الهواء ملكاً يقال له : إسماعيل على ثلاثمائة ألف ملك، كل واحد منهم على مائة ألف، يحصون أعمال العباد، فإذا كان رأس السنة بعث الله إليهم ملكاً يقال له : السجل فانتسخ ذلك منهم، وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(٣).

٩ - بين : النضر، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِذْ بَلَغَ الثَّلَاثِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ قال : هما الملكان. وسألته عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ﴾ قال : هو الملك الذي يحفظ عليه عمله. وسألته عن قول الله ﷻ : ﴿قَالَ رَبُّنَا مَا أَطْفَيْتُمْ﴾ قال : هو شيطان^(٤).

١٠ - ج : سأل الزنديق الصادق ﷺ : ما علة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السر وما هو أخفى؟ قال : استعبدتهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازماتهم إيتاهم أشد على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشد انقباضاً، وكم من عبد يهيم بمعصية فذكر مكانها فارعوى وكف، فيقول : ربي يراني، وحفظتي بذلك تشهد، وإن الله برأفته ولطفه أيضاً وكلهم بعباده يذبون عنهم مردة الشياطين، وهوام الأرض، وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله ﷻ^(٥).

١١ - أقول : روي في كتاب قضاء الحقوق وثواب الأعمال ورجال الكشي بأسانيدهم عن إسحاق بن عمار قال : لما كثر مالي أجلس على بابي بواباً يرده عني فقراء الشيعة، فخرجت إلى مكة في تلك السنة فسلمت على أبي عبد الله ﷺ، فرد علي بوجه قاطب مزور، فقلت له : جعلت فداك ما الذي غير حالي عندك؟ قال : تغيرك على المؤمنين، فقلت : جعلت فداك والله إنني لأعلم أنهم على دين الله ولكن خشيت الشهرة على نفسي، فقال : يا إسحاق أما علمت أن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله بين إبهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعين لأشدهما حباً، فإذا اعتنقا غمرتاهما الرحمة، فإذا لبثا لا يريدان بذلك إلا وجه الله تعالى قيل لهما : غفر لكما؛ فإذا جلسا يتساءلان قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا عنهما فإن لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما؛ قال قلت : جعلت فداك فلا تسمع الحفظة قولهما ولا تكتبه وقد قال تعالى : ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؟ قال : فنكس رأسه طويلاً ثم رفعه وقد فاضت دموعه على لحيته، وقال : إن كانت الحفظة لا تسمعه ولا تكتبه فقد سمعه عالم السر

(٢) - (٤) كتاب الزهد، ص ١٢٢ باب ٩ ح ٤ - ٦.

(١) سورة الأعراف، الآية : ٢٠٥.

(٢) الاحتجاج، ص ٣٤٨.

وأخفى، يا إسحاق خف الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن شككت أنه يراك فقد كفرت وإن أيقنت أنه يراك ثم بارزته بالمعصية فقد جعلته أهون الناظرين إليك^(١).

١٢ - سعد السعودي: رواه من كتاب قصص القرآن للهيصم بن محمد النيسابوري قال: دخل عثمان على رسول الله ﷺ فقال: أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ قال: ملك على يمينك على حسناتك، وواحد على الشمال، فإذا عملت حسنة كتب عشراً، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين اكتب؟ قال: لعله يستغفر ويتوب فإذا قال ثلاثاً قال: نعم اكتب، أراحنا الله منه فبشس القرين، ما أقل مراقبته الله ﷻ! وما أقل استحياءه منه! يقول الله: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيدٌ﴾ وملكان بين يديك ومن خلفك يقول الله سبحانه: ﴿لَمْ تُعْقِبْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبرت على الله وضعك وفضحك، وملكان على شفيتك ليس يحفظان إلا الصلاة على محمد ﷺ، وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك، وملكان على عينيك، فهذه عشرة أملاك على كل آدمي، وملائكة الليل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي، وإبليس بالنهار وولده بالليل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى كُفْرَيْنَ﴾ الآية. وقال ﷻ: ﴿إِذْ يَنْفُلِي الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية.

ثم قال السيد رحمه الله: واعلم أن الله ﷻ وكل بكل إنسان ملكين يكتبان عليه الخير والشر. ووردت الأخبار بأنه يأتيه ملكان بالنهار وملك بالليل، وذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ تُعْقِبْتُ﴾ لأنهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً، وإن ملكي النهار يأتيانه إذا انفجر الصبح فيكتبان ما يعمل إلى غروب الشمس، فإذا غربت نزل إليه الملكان الموكلان بكتابة الليل، ويصعد الملكان الكاتبان بالنهار بديوانه إلى الله ﷻ فلا يزال ذلك دأبهم إلى حضور أجله، فإذا حضر أجله قالوا للرجل الصالح: جزاك الله من صاحب عنا خيراً، فكم من عمل صالح أريتناه، وكم من قول حسن أسمعناه، وكم من مجلس حسن أحضرته، فنحن لك اليوم على ما تحبه، وشفعاء إلى ربك؛ وإن كان عاصياً قالوا له: جزاك الله من صاحب عنا شراً، فلقد كنت تؤذينا، فكم من عمل سيئ أريتناه، وكم من قول سيئ أسمعناه، وكم من مجلس سوء أحضرته، ونحن لك اليوم على ما تكره. وشهيدان عند ربك^(٢).

١٣ - وفي رواية أنهما إذا أرادا النزول صباحاً ومساءً نسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيهما ذلك، فإذا صعدا صباحاً ومساءً بديوان العبد قابله إسرافيل بالنسخة التي نسخ لهما حتى يظهر أنه كان كما نسخ لهما^(٣).

١٤ - وعن ابن مسعود أنه قال: الملكان يكتبان أعمال العلانية في ديوان وأعمال السري في ديوان آخر^(٤).

١٥ - كاء: العدة، عن البرقي، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمن ليهم بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة، فإن هو عملها كتبت له عشر حسنات؛ وإن المؤمن ليهم بالسيئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه^(١).

١٦ - كاء: العدة عن البرقي، عن علي بن حفص العوسي، عن علي بن السائح، عن عبد الله بن موسى بن جعفر، عن أبيه قال: سألت عن الملكين: هل يعلمان بالذنوب إذا أراد العبد أن يفعل أو الحسنة؟ فقال: ريح الكنيف وريح الطيب سواء؟ قلت: لا، قال: إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنه قد هم بالحسنة، فإذا فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده، فأثبتها له؛ وإذا هم بالسيئة خرج نفسه متن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد هم بالسيئة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه، وريقه مداده، فأثبتها عليه^(٢).

١٧ - كاء: محمد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم، عن فضيل بن عثمان المرادي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: أربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن إلا هالك: يهم العبد بالحسنة فيعملها فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيته، وإن هو عملها كتب الله له عشرًا؛ ويهم بالسيئة أن يعملها فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء وإن هو عملها أجل سبع ساعات، وقال صاحب الحسنات لصاحب السيئات وهو صاحب الشمال: لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ أو الاستغفار، فإن هو قال: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة، العزيز الحكيم، الغفور الرحيم ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه» لم يكتب عليه شيء، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة ولا استغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات: اكتب على الشقي المحروم^(٣).

١٨ - نهج: قال أمير المؤمنين عليه السلام: فاتقوا الله الذي أنتم بعينه، ونواصيكم بيده، وتقلبكم في قبضته، إن أسررت علمه، وإن أعلنتم كتبه، وقد وكل بذلك حفظة كراماً، لا يسقطون حقاً ولا يثبتون باطلاً^(٤).

١٩ - يب: محمد بن علي بن محبوب، عن اليقطيني، عن الحسن بن علي، عن إبراهيم ابن عبد الحميد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد قضاء الحاجة وقف على باب المذهب ثم التفت يمينا وشمالاً إلى ملكيه فيقول أميطا عني فلكما الله علي أن لا أحدث حدثاً حتى أخرج إليكما^(٥).

٢٠ - ين: ابن المغيرة، عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا هم العبد

(١) - (٣) اصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٧ باب من يهم بالحسنة ح ٢ وح ٣ وح ٤.

(٤) نهج البلاغة، ص ٣٧٢ خطبة ١٨١. (٥) تهذيب الأحكام، ص ١٨٨ باب ١٥ ح ٣.

بسيئة لم تكتب عليه، وإذا هم بحسنة كتبت له^(١).

٢١ - عنه اعتقادنا أنه ما من عبد إلا وملكه ملكان يكتبان جميع أعماله، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة، فإن عملها كتب له عشر، فإن هم بسيئة لم تكتب حتى يعملها، فإن عملها كتب عليه سيئة واحدة، والملكان يكتبان على العبد كل شيء حتى النفع في الرماد، قال الله ﷻ: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لحَفَظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

ومر أمير المؤمنين عليه السلام برجل وهو يتكلم بفضول الكلام فقال: يا هذا، إنك تملي على كاتبك كتاباً إلى ربك فتكلم بما يعينك ودع ما لا يعينك^(٢).

٢٢ - وقال عليه السلام: لا يزال الرجل المسلم يكتب محسناً ما دام ساكناً فإذا تكلم كتب إمّا محسناً أو مسيئاً، وموضع الملكين من ابن آدم الشدقان، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكاً النهار يكتبان عمل العبد بالنهار، وملكاً الليل يكتبان عمل العبد في الليل^(٣).

٢٣ - وروى الصدوق رحمه الله في كتاب فضائل الشيعة: عن أبيه، عن سعد، عن عباد بن سليمان، عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت عليه وعنده أبو بصير وميسر وعدة من جلسائه، فلما أن أخذت مجلسي أقبل عليّ بوجهه، وقال: يا سدير أما إنّ ولينا لعبد الله قائماً وقاعداً ونائماً وحيّاً وميتاً؟ قال: قلت جعلت فداك: أمّا عبادته قائماً وقاعداً وحيّاً فقد عرفنا، فكيف يعبد الله نائماً وميتاً؟ قال: إنّ ولينا ليضع رأسه فيرقد فإذا كان وقت الصلاة وكل به ملكين خلقا في الأرض لم يصعدا إلى السماء ولم يريا ملكوتهما، فيصليان عنده حتى يتبه فيكتب الله ثواب صلاتهما له، والركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين؛ وإنّ ولينا ليقبضه الله إليه فيصعد ملكاه إلى السماء فيقولان: يا ربنا عبدك فلان بن فلان انقطع واستوفى أجله، ولأنت أعلم منا بذلك، فأذن لنا نعبدك في آفاق سمائك وأطراف أرضك؟ قال: فيوحى الله إليهما: إنّ في سمائي لمن يعبدني وما لي في عبادته من حاجة بل هو أحوج إليهما، وإنّ في أرضي لمن يعبدني حقّ عبادتي، وما خلقت خلقاً أحوج إليّ منه فاهبطا إلى قبر ولتي؛ فيقولان: يا ربنا من هذا يسعد بحبك إياه؟ قال: فيوحى الله إليهما: ذلك من أخذ ميثاقه بمحمد عبيد ووصيه وذريتهما بالولاية، اهبطا إلى قبر ولتي فلان بن فلان فصلياً عنده إلى أن أبعثه في القيامة، قال: فيهبط الملكان فيصليان عند القبر إلى أن يبعثه الله فيكتب ثواب صلاتهما له، والركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين، قال سدير: جعلت فداك يا بن رسول الله فإذا وليكم نائماً وميتاً أعبد منه حيّاً وقائماً؟ قال: فقال: هيهات يا سدير إنّ ولينا ليؤمن على الله ﷻ يوم القيامة فيجيز أمانه^(٤).

(٢) - (٣) اعتقادات الصدوق، ص ٨٦.

(١) كتاب الزهد، ص ١٤١ باب ١٢ ح ٨.

(٤) فضائل الشيعة للصدوق، ص ٦٥ ح ٢٣.

٢٤ - ماء: جماعة عن أبي المفضل، عن أحمد بن محمد بن إسحاق العلوي العريضي، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر، عن عميه عليّ والحسين ابني موسى، عن أبيهما موسى بن جعفر، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام عن النبي ﷺ قال: يوحى الله ﷻ إلى الحفظة الكرام: لا تكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً^(١).

أقول: الأخبار الدالة على الكاتبين مبثوثة في الابواب السابقة واللاحقة وفيما ذكرناه هنا كفاية.

٢٥ - محاسبة النفس: للسيد عليّ بن طاووس قدس الله روحه: من أمالي المفيد بإسناده إلى عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إن الملك الموكل على العبد يكتب في صحيفة أعماله، فأملوا بأولها وآخرها خيراً يغفر لكم ما بين ذلك^(٢).

٢٦ - ومنه نقلاً من كتاب الدعاء لمحمد بن الحسن الصفار بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: طوبى لمن وجد في صحيفته عمله يوم القيامة تحت كل ذنب: أستغفر الله^(٣).

٢٧ - ومنه مراسلاً عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا، وفعلنا كذا وكذا، فإن معكم حفظة يحصون عليكم وعلينا.

٢٨ - ومنه نقلاً من تبيان شيخ الطائفة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: روي في الخبر أن الأعمال تعرض على النبي ﷺ في كل اثنين وخميس فيعلمها، وكذلك تعرض على الأئمة عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله: والمؤمنون^(٤).

٢٩ - ومنه نقلاً من كتاب الأزمنة لمحمد بن عمران المرزباني قال: كان رسول الله ﷺ يصوم الاثنين والخميس، ف قيل له: لم ذلك؟ فقال ﷺ: إن الأعمال ترفع في كل اثنين وخميس، فأحب أن ترفع عملي وأنا صائم^(٥).

٣٠ - وبإسناده عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: ما من اثنين ولا خميس إلا ترفع فيه الأعمال إلا عمل المقادير^(٦).

٣١ - ومنه نقلاً من كتاب التذيل لمحمد بن النجار بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله ﷻ ملائكة من السماء إلى الأرض، معها صحائف من فضة، بأيديهم أقلام من ذهب تكتب الصلاة على محمد وآله إلى غروب الشمس^(٧).

٣٢ - ومنه نقلاً من كتب بعض الأصحاب بإسناده إلى عبد الصمد بن عبد الملك قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: آخر خميس من الشهر ترفع فيه الأعمال^(٨).

(١) أمالي الطوسي، ص ٥٧١ مجلس ٢٢ ح ١١٨٣. (٢) - (٤) محاسبة النفس، ص ٢٢-٢٦.

(٥) - (٨) محاسبة النفس، ص ٣٠-٤٣.

٣٣ - ومنه بإسناده إلى شيخ الطائفة، بإسناده إلى عنبة العابد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: آخر خميس في الشهر ترفع فيه أعمال الشهر^(١).

٣٤ - ومنه نقلاً من كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام لعبد العزيز الجلودي قال: إن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عن البيت المعمور والسقف المرفوع، قال: ويلك ذلك الضراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، فيه كتاب أهل الجنة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنة، وفيه كتاب أهل النار عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود، فإذا كان وقت العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما ما عمل الرجل فذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

٣٥ - ومنه نقلاً من كتاب ابن عمر الزاهد صاحب تغلب قال: أخبرني عطاء، عن الصباحي أستاذ الإمامية من الشيعة، عن جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه عليهم السلام قالوا: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الملكين يجلسان على ناجذي الرجل، يكتبان خيره وشره، ويستمدان من غريه وربما جلسا على الصماغين.

فسمعت تغلباً يقول: الاختيار من هذا كله ما قال أمير المؤمنين عليه السلام. قال: الناجدان: النابان، والغران: الشدقان، والصامغان والصماغان - ومن قالهما بالعين فقد صحفهما - مجتمعاً الريق من الجانبين، وهما اللذان يسميهما العامة الصوارين. وقال: سئل عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: نظفوا الصماغين فإنهما مقعد الملكين، فقال تغلب: هما الموضع الذي يجتمع فيه الريق من الإنسان، وهما الذي يسميه العامة الصوارين^(٣).

بيان: روى في النهاية الخبرين عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال: النواجد: هي التي تبدو عند الضحك، وقال الغران بالضم: الشدقان. وقال: الصماغان: مجتمع الريق في جانبي الشفة. وقيل: هما ملتقى الشدقين، ويقال لهما: الصامغان والصماغان والصواران.

١٨ - باب الوعد والوعيد والحبط والتكفير

الآيات: البقرة (٢): ﴿وَمَنْ يَرْكَدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢١٧).

آل عمران (٣): ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا تُخَلِّفُ الْوَعْدَ﴾ (٩)، «وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾» (٢٢) «وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْوَعْدَ﴾» (١٩٤).

النساء (٤): ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (٣١) وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾ (١٢٣).

الأعراف (٧): ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ (١٤٧).

الأنفال (٨): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩).

التوبة (٩): ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٧) وقال: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (١٦٩).

الرعد (١٣): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعَهْدَ﴾ (٣١).

الكهف (١٨): ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ (١٠٥).

العنكبوت (٢٩): ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧).

الروم (٣٠): ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٦) وقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُؤْتُونَكَ﴾ (٦٠).

الأحزاب (٣٣): ﴿وَلَوْ يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَوَفُّوا فَا حَبِطَ اللَّهُ أَعْمَلُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٩).

الزمر (٣٩): ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْعَهْدَ﴾ (٢٠) وقال تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٥).

المؤمن [غافر] (٤٠): ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (٧٧).

محمد (٤٧): ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ﴾ (٩) وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلُهُمْ﴾ (٢٨) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَصُورُوا اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ (٣٢).

الفتح (٤٨): ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (٥).

الحجرات (٤٩): ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢).

التغابن (٦٤): ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ (٩).

الطلاق (٦٥): ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ (٥).

التحريم (٦٦): ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (٨).

الزلزلة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨).

تحقيق: اعلم أن المشهور بين متكلمي الإمامية بطلان الإحباط والتكفير، بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة، بمعنى أن الثواب على الإيمان مشروط بأن يعلم الله منه أنه يموت على الإيمان؛ والعقاب على الكفر والفسوق مشروط بأن يعلم الله أنه لا يسلم ولا يتوب وبذلك أولوا الآيات الدالة على الإحباط والتكفير، وذهبت المعتزلة إلى ثبوت الإحباط والتكفير للآيات والأخبار الدالة عليهما.

قال شارح المقاصد: لا خلاف في أن من آمن بعد الكفر والمعاصي فهو من أهل الجنة، بمنزلة من لا معصية له، ومن كفر - نعوذ بالله - بعد الإيمان والعمل الصالح فهو من أهل النار، بمنزلة من لا حسنة له؛ وإنما الكلام فيمن آمن وعمل صالحاً وآخر سيئاً كما يشاهد من الناس فعندنا مآله إلى الجنة ولو بعد النار، واستحقاقه للثواب والعقاب بمقتضى الوعد والوعيد ثابت من غير حبوط، والمشهور من مذهب المعتزلة أنه من أهل الخلود في النار إذا مات قبل التوبة، فأشكل عليهم الأمر في إيمانه وطاعاته، وما يثبت من استحقاقاته، أين طارت؟ وكيف زالت؟ فقالوا: بحبوط الطاعات، ومالوا إلى أن السيئات يذهبن الحسنات، حتى ذهبت الجمهور منهم إلى أن الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات. وفساده ظاهر، أما سمعاً فللنصوص الدالة على أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً وعمل صالحاً، وأما عقلاً فللقطع بأنه لا يحسن من الحليم الكريم إبطال ثواب إيمان العبد ومواظبته على الطاعات طول العمر بتناول لقمة من الربا، أو جرعة من الخمر. قالوا: الإحباط مصرح في التنزيل، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ﴿وَلَا يُبْطَلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ قلنا: لا بالمعنى الذي قصدتم، بل بمعنى أن من عمل عملاً استحق به الذم، وكان يمكنه أن يعمل على وجه يستحق به المدح والثواب؛ يقال: إنه أحبط عمله كالصدقة مع المن والأذى وبدونها. وأما إحباط الطاعات بالكفر بمعنى أنه لا يثاب عليها البتة فليس من التنازع في شيء؛ وحين تنبه أبو علي وأبو هاشم لفساد هذا الرأي رجعا من التماذي بعض الرجوع، فقالا: إن المعاصي إنما يحبط الطاعات إذا أوردت عليها، وإن أوردت الطاعات أحبطت المعاصي، ثم ليس النظر إلى أعداد الطاعات والمعاصي بل إلى مقادير الأوزار والأجور، فرب كبيرة يغلب وزرها أجر طاعات كثيرة، ولا سبيل إلى ضبط ذلك بل هو مفوض إلى علم الله تعالى، ثم افترقا فزعم أبو علي أن الأقل يسقط ولا يسقط من الأكثر شيئاً، ويكون سقوط الأقل عقاباً إذا كان الساقط ثواباً، وثواباً إذا كان الساقط عقاباً، وهذا هو الإحباط المحض. قال أبو هاشم: الأقل يسقط ويسقط من الأكثر ما يقابله، مثلاً من له مائة جزء من العقاب واكتسب ألف جزء من الثواب فإنه يسقط منه العقاب ومائة جزء من الثواب بمقابلته، ويبقى له تسعمائة جزء من الثواب، وكذا العكس، وهذا هو القول بالموازنة انتهى كلامه.

أقول: الحق أنه لا يمكن إنكار سقوط ثواب الإيمان بالكفر اللاحق الذي يموت عليه، وكذا سقوط عقاب الكفر بالإيمان اللاحق الذي يموت عليه. وقد دلت الأخبار الكثيرة على أن كثيراً من المعاصي يوجب سقوط ثواب كثير من الطاعات، وأن كثيراً من الطاعات كفارة لكثير من السيئات، والأخبار في ذلك متواترة، وقد دلت الآيات على أن الحسنات يذهبن السيئات، ولم يقم دليل تام على بطلان ذلك، وأما أن ذلك عام في جميع الطاعات والمعاصي فغير معلوم، وأما أن ذلك على سبيل الإحباط والتكفير بعد ثبوت الثواب والعقاب، أو على سبيل الاشتراط بأن الثواب في علمه تعالى على ذلك العمل مشروط بعدم وقوع ذلك الفسق بعده، وأن العقاب على تلك المعصية مشروط بعدم وقوع تلك الطاعة بعدها فلا يشيب، أولاً ثواب وعقاب، فلا يهمننا تحقيق ذلك، بل يرجع النزاع في الحقيقة إلى اللفظ، لكن الظاهر من كلام المعتزلة وأكثر الإمامية أنهم لا يعتقدون إسقاط الطاعة شيئاً من العقاب، أو المعصية شيئاً من الثواب سوى الإسلام والارتداد والتوبة، وأما الدلائل التي ذكروها لذلك فلا يخفى وهنها، وليس هذا الكتاب موضع ذكرها.

ثم أعلم أنه لا خلاف بين الإمامية في عدم خلود أصحاب الكبائر من المؤمنين في النار، وأما أنهم هل يدخلون النار، أو يعذبون في البرزخ والمحشر فقط؟ فقد اختلف فيه الأخبار وسيأتي تحقيقها.

١ - سنن علي بن محمد القاساني، عمن ذكره، عن عبد الله بن القاسم الجعفري، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار ^(١).

٢ - كنز الكراجكي: عن المفيد، عن أحمد بن الحسن بن الوليد، عن أبيه، عن محمد بن الحسن الصفار، عن علي بن محمد القاساني، عن القاسم بن محمد الإصبهاني، عن سليمان بن خالد المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن حميد بن زياد، عن عطاء بن يسار، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: يوقف العبد بين يدي الله تعالى فيقول: قيسوا بين نعمي عليه وبين عمله، فتستغرق النعم العمل؛ فيقولون: قد استغرق النعم العمل، فيقول: هبوا له النعم، وقيسوا بين الخير والشر منه، فإن استوى العملان أذهب الله الشر بالخير، وأدخله الجنة، وإن كان له فضل أعطاه الله بفضله، وإن كان عليه فضل وهو من أهل التقوى ولم يشرك بالله تعالى واتقى الشرك به فهو من أهل المغفرة يغفر الله له برحمته إن شاء، ويتفضل عليه بعفوه ^(٢).

عده اعتقادنا في الوعد والوعيد هو أن من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار، إن عذبه فبعده، وإن عفا عنه فبفضله، وما الله بظلام

(١) المحاسن، ص ٢٤٦.

(٢) كنز الفوائد، ج ١ ص ٢٢٣.

للعبيد، وقد قال الله ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١). واعتقادنا في العدل هو أن الله تبارك وتعالى أمرنا بالعدل، وعاملنا بما هو فوقه وهو الفضل، وذلك أنه ﷻ يقول : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢).

بيان : قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرح القول الأخير : العدل هو الجزاء على العمل بقدر المستحق عليه، والظلم هو منع الحقوق، والله تعالى كريم، جواد، متفضل، رحيم، قد ضمن الجزاء على الأعمال، والعوض على المبتدأ من الآلام، ووعد الفضل بعد ذلك بزيادة من عنده، فقال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ زِيَادَةٌ﴾ فخير أن للمحسن الثواب المستحق وزيادة من عنده، وقال : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يعني له عشر أمثال ما يستحق عليها ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يريد أنه لا يجازيه بأكثر مما يستحقه. ثم ضمن بعد ذلك العفو، ووعد بالغفران، فقال سبحانه : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وقال : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ والحق الذي للعبد هو ما جعل الله حقاً له واقتضاء جود الله وكرمه، وإن كان لو حاسبه بالعدل لم يكن له عليه بعد النعم التي أسلفها حق، لأنه تعالى ابتداء خلقه بالنعم، وأوجب عليهم بها الشكر، وليس أحد من الخلق يكافئ نعم الله تعالى عليه بعمل، ولا يشكره أحد إلا وهو مقصر بالشكر عن حق النعمة، وقد أجمع أهل القبلية على أن من قال : إني وفيت جميع ما لله عليّ وكافأت نعمه بالشكر فهو ضالّ، وأجمعوا على أنهم مقصرون عن حق الشكر، وأن الله عليهم حقوقاً لو مدّ في أعمارهم إلى آخر مدى الزمان لما وفوا الله سبحانه بما له عليهم، فدلّ ذلك على أن ما جعله حقاً لهم فإنما جعله بفضله وجوده وكرمه، ولأنّ حال العامل الشاكر خلاف حال من لا عمل له في العقول، وذلك أن الشاكر يستحق في العقول الحمد، ومن لا عمل له فليس له في العقول حمد، وإذا ثبت الفصل بين العامل ومن لا عمل له كان ما يجب في العقول من حمده هو الذي يحكم عليه بحقه ويشار إليه بذلك، وإذا أوجبت العقول له مزية على من لا عمل له كان العدل من الله تعالى معاملته بما جعل في العقول له حقاً، وقد أمر تعالى بالعدل ونهى عن الجور فقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية انتهى^(٣).

وقال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد : ذهب جماعة من معتزلة بغداد إلى أن العفو جائز عقلاً، غير جائز سمعاً، وذهب البصريون إلى جوازه سمعاً وهو الحق، واستدلّ المصنّف رحمه الله بوجوه ثلاثة :

(١) سورة النساء، الآية : ٤٨.

(٢) اعتقادات الصدوق، ص ٨٦.

(٣) تصحيح الاعتقاد، ص ٨٣-٨٥.

الأول: أن العقاب حق لله تعالى فجاز تركه، والمقدماتان ظاهرتان.

الثاني: أن العقاب ضرر بالمكلف، ولا ضرر في تركه على مستحقه، وكل ما كان كذلك كان تركه حسناً، أما أنه ضرر بالمكلف فضروري، وأما عدم الضرر في تركه فقطعي، لأنه تعالى غني بذاته عن كل شيء، وأما أن ترك مثل هذا حسن فضرورية^(١)، وأما السمع فالآيات الدالة على العفو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ فإما أن يكون هذان الحكمان مع التوبة أو بدونها، والأول باطل لأن الشرك يغفر مع التوبة فتعين الثاني، وأيضاً المعصية مع التوبة يجب غفرانها، وليس المراد في الآية المعصية التي يجب غفرانها لأن الواجب لا يعلق بالمشية، فما كان يحسن قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فوجب عود الآية إلى معصية لا يجب غفرانها؛ ولقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ و«على» يدل على الحال أو الغرض كما يقال: ضربت زيداً على عصيانه أي لأجل عصيانه، وهو غير مراد هنا قطعاً فتعين الأول، والله تعالى قد نطق في كتابه العزيز بأنه عفو غفور، وأجمع المسلمون عليه، ولا معنى له إلا إسقاط العقاب عن العاصي انتهى^(٢).

أقول: سيأتي الآيات والأخبار في ذلك.



(١) في المصدر: فضروري.

(٢) كشف المراد ص ٣٩٢-٣٩٣.